دراسات

في

تاريخ

الامبراطورية الرومانية

وحضاراتها

دكتور

عاصم احمد حسين

مقدمة

يعتبر تاريخ روما الحضارى مرحلة من مراحل الإتصال الحضارى بتاريخ وطننا العربى القديم ، حيث كان الرومان من رواد بناء الحضارة الانسانية ، ويمدنا تاريخهم بصور عديدة لها مؤثراتها على باقى الحضارات الأخرى المجاورة .

ولاشك أن روما قد لعبت دورا هاما فى تاريخ البحر المتوسط إذ كان ظهورها قد تأخر بعض الوقت عن غيرها من الأقطار التى كان لها دور هام فى الحضارة الانسانية ، وذلك نظرا لظروفها الخاصة والتى سوف نوضحها فى حينها .

ونظرا لأن البحر المتوسط يمتد بين ثلاث قارات فقد كان مسرحا لأحداث هامة تناولت كثيرا من دول المنطقة . وان شبه الجزيرة الايطالية ، وجزيرة صقلية قد كونتا جسرا يمتد عبر هذا البحر ويشطره إلى قسمين : الحوض الشرقى والحوض الغربى . ولما كان الحوض الشرقى بحكم اتصاله بحضارات الشرق قد مهد لتلك الحضارات التى اتخذت طريقها إلى جنوب أوربا وإلى بلاد الاغريق وروما . وفى حين أن الحوض الغربى ظل بعيدا فترة طويلة عن الاحتكاك بحضارات الشرق ولكن عندما بسطت روما سيطرتها على الحوض الغربى ثم على الحوض الشرقى وأزالت الحاجز بين الحوضين مما حدا بالرومان بأن يدعو البحر المتوسط " بحرنا – Mare nostrum " .

ورغما عن الجهود المتواصلة التى يقوم بها الباحثون منذ أمد طويل ، إلا أن الغموض ما زال يغلف الكثير من مشاكل التاريخ الرومانى بسبب طبيعة مصادره على نحو ما سوف نرى .

ولما كان الهدف من هذه المحاضرات هو إعطاء صورة واضحة المعالم للاطار العام لتاريخ الرومان وحضاراتهم ، لذا فإننى لم أحاول التعرض للافاضة فى التفصيلات أو التعرض لمشاكل التاريخ الرومانى الثانوية ..

ولا شك أن تطور تاريخ روما السايسى من العصر الملكى الى الجمهورى منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد حتى عام ٥٠٩ ق . م قد مربمراحل من التطور السياسى البناء الذى ظهرت ملامحه فى العصر الجمهورى منذ عام ٥٠٩ الى عام ٢٧ ق . م وهى

مرحلة الصراع عن بناء ملامح الامبراطورية التى تحققت ببداية عهدها عام ٢٧ ق . م حتى سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب عام ٤٧٦ م . وهى مرحلة تتسم بالدراسة والتعميق والتحليل من خلال اعمال الأباطرة مع الملامح الحضارية لتلك الفترة .

ولا شك أن تاريخ الامبراطورية الرومانية قد وضع اسس للنظم الوضيعة المختلفة للعالم المتقدم خاصة فى مجال التشريع والقانون والنظم الاقتصادية الى جانب هذا الهيكل الحضارى الهائل الذى كان نقطة ارتكاز فى التطور عبر العصور .

الامبراطورية الرومانية

القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية

(الفترة من ١٤٦ ق . م إلى عام ٣٠ ق . م)

إن روما بعد عام (١٤٦ ق . م) كما قال بوليبيوس - تمكنت من أن تحول البحر الأبيض إلى منطقة نفوذ لها وأن تصل (الحوض الشرقى) بالحوض الغربى لهذا البحر وتغلب على الحوض الشرقى الصفة الهيلينية وعلى الحوض الغربى الصفة الفينيقية ، وبزوال قرطاجو زال الحاجز بين الشقين وسهل على روما أن تعتبر البحر المتوسط بحيرة رومانية وسهل عليها تحطيم الحوض الهيلينية حتى مصر سنة ٣٠ ق . م . وترتب على توسع روما فى البحر الأبيض نتائج هامة :

أولا : أن مجلس الشيوخ الرومانى الذى كان يمثل جماع الفصائل الرومانية والشخصيات الرومانية عجز عن مواجهة الموقف الجديد لأن عوامل الفساد والانحلال سرت إلى أعضاء المجلس من رشوة ورغبة فى الإثراء - وأحسن مثل لهذا الفساد وعدم قدرة المجلس على التماسك (حرب يوجرثا Yugurtha) وهو شخصية افلايقية من تونس ، ثار هذا الملك وانتزع العرش من أولاد عمه واستطاع الثورة على روما وهزيمة جيش الدولة الرومانية ، ثم لما دعى إلى روما للمثول أمام مجلس الشيوخ الرومانى استطاع عن طريق الرشوة أن يحصل على براءته ، وقال أن روما أصبحت سلعة تنتظر من يشتريها ويقصد بذلك شراء ضمائر أعضاء مجلس الشيوخ فى روما . وكذلك تظهر الرغبة فى الإثراء فى أعضاء مجلس الشيوخ واضحة ثم من ورائهم الجيش الرومانى ومن وراء الجيش الرومانى رجال الأعمال وأصحاب السفن والرأسماليين وشركات إقراض الأموال وشركات المقاولات العامة .

وبالرغم من أن القانون الرومانى يحرم اشتغالهم بالمسائل المالية ويحرم اقتناء سفن إلا أنهم عن طريق أقاربهم يؤسسون الشركات ويساغلون النفوذ من وراء الستار ونشأت طائفتان :

١ - طائفة ملتزمى جمع الضرائب (أو شركات جمع الضرائب)

٢ - طائفة جماعة إقراض الأموال (شركات إقراض الأموال) لقراض الأموال للأعيان والأشراف مقابل رهن أموالهم وأطيانهم فى هذه الشركات وأكثر ناس اشتركوا فى هذه العملية هم طبقة الفرسان .

ثانيا : **تدفق الأموال على روما** : ارتبط بهذه الظاهرة ظهور المزارع الواسعة Latifunia وقرضت من قواعد الملكية القديمة كما عرفها الرومان وهى القواعد التى تجيز للأسرة امتلاك أكثر من مساحة معينة من الأرض حوالى ٥٠٠ يوجيرا .

والمزارع الواسعة غيرت من نظام الملكية فيضطر صاحب المزرعة الصغيرة إلى ترك مزرعته إلى جاره صاحب المزرعة الكبيرة ويرحل تاركا أرضه لأغنياء الحرب .

ظهور طبقة جديدة حريصة على إمتيازاتها مقابل طبقة فقيرة معدمة تعيش على معطيات الأغنياء .

ثالثا : هل يمكن أن تستمر الأوضاع والتناقض بين طبقة الأغنياء والفقراء الذين يتمتعون فقط بلقب المواطن الرومانى وهل تستطيع الطبقة الغنية أن تبقى على غناها أما الطبقة الفقيرة وهناك يد من الصراع بين الطبقات ويتركز الصراع (يتمثل) فى عدة مسائل لعل أهمها :

المظهر الأول من مظاهر الصراع :

محاولة إحداث توازن أو إعادة الملكية القديمة إلى ما كانت عليه قبل توسيع روما في البحر المتوسط أو ما يسمى بالاصلاح الوراعى – معنى ذلك ان تصادر الدولة كل مساحات الأرض التى تزيد عن الحد الذى تقرره القوانين الرومانية وتوزع الأرض على المعدومين من المزارعين . ومن أبرز الشخصيات التى ظهرت فى هذا المجال هما الاخوان الجراكيان Gracenius (جايوس جراكوس) ، و (تيبرسوس جراكوس) وهما من أسرة (أسرة نبيلة) وقد تقدما إلى وظيفة التربيون وهى حفظ مصالح العامة ضد طغيان

وتنص القوانين الرومانية على تقديس شخص التربيون (نقيب العامة) وهو من اختصاصه الجلوس على مدخل مجلس الشيوخ ليراقب مناقشة المجلس وله حق الاعتراض على المشروعات وليحمى القانون التربيون أوجب تقديسه وعدم الاعتداء عليه وإلا تعرض المعترض للإعدام .

حاول الاخوان الجراكيان الاشتغال بهذه الوظيفة ليصلحا المجتمع الرومانى واتجها إلى هدفين :

١ – تحديد الملكية الزراعية بشراء الجزء الزائد من الأرض عن الحد المسموح به .

٢ – انشاء مستعمرات جديدة فى افريقيا وصقليه وايطاليا ، ومنحها للعامة .

ولكن الطريقة التى اقترحاها لمعالجة الموضوع فيها مخالفة للدستور الرومانى ، فقد استمرا فى الوظيفة أكثر من عام وفى ذلك مخالفة صريحة للدستور الرومانى الذى لايجيز تولى الوظائف العامة أكثر من عام واحد مما شجع النبلاء على تحريض كل تربيون على الآخر وفى النهاية قتل الاخوان الجراكيان بتحريض من مجلس الشيوخ .

المظهر الثانى من مظاهر الصراع :

المظهر الثانى للصراع بين النبلاء والعامة هو محاولة الانتقاص من نفوذ مجلس الشيوخ والتقليل من شأنه وطريقة تشكيل المحاكم الخاصة بنظر قضايا ابتزاز الأموال من الولايات فإذا اغتصب الأموال أى عامل فعلى مجلس الشيوخ تشكيل محكمة خاصة من الفرسان وذلك لإيقاع الفتنة بين طبقتى الفرسان والسناتو (الشيوخ) .

وكان الهدف من تشكيل محكمة جديدة أن تقضى على محكمة الاشراف فجرائم ابتزاز الأموال كانت موضوع الساعة وكان لها دور كبير فى دائرة روما .

المظهر الثالث من مظاهر الصراع :

هو مطالبة الايطاليين بحقوق المواطنة الرومانية وهذه مسألة خطيرة إلى أبعد الحدود وكان المواطن الرومانى يتمتع بحق الانتخاب والاقتراع وحضور المجالس وكان يتمتع كذلك بالحقوق الخاصة كالمتاجرة والزواج والعمل وكل ما يتعلق بالنواحى الشخصية وتوصلت العقلية الرومانية بمرونتها إلى إمكان تجزئة هذه الحقوق بأن تمنح فقد حقوق المواطنة الخاصة ، وكان لابد من إرضاء الايطاليين بإعطائهم هذه الحقوق باعتبارها مرحلة من مراحل المواطنة الرومانية .

وهنا حاول الاخوان الجراكيان تأييد الايطاليين فى صراعهم ضد النبلات وشرعا قوانين للإيطاليين للمساواة بالنبلاء لأن المواطن الرومانى يعتبر نفسه رومانى أصيل ولايصح أن تمنح الحقوق الرومانية لغير الرومانى (وهو متعصب لفكرته وحقوقه الرومانية) خشية ذوبان المجموعة الرومانية وسط جموع الايطاليين وهذا أدى إلى قيام الحرب الأهلية الاجتماعية – حرب خلفاء روما ضدها – وعندما رفضت روما أن تمنح حقوق المواطنة واضطرت طبقة النبلاء والشيوخ أن تتنازل شيئا فشيئا عن امتيازاتها ، وكانت النتيجة هى دخول روما فى دوامة صراع داخلى من أجل الأرض وحقوق المواطنة .

المظهر الرابع من مظاهر الصراع :

ظهور القادة العسكريين وعلى رأسهم (ماريوس) الذى تدين له روما بناحية هامة وهى أنه خلصها من (يوجرثا Iugurtha) الملك الاغريقى وتدينه له بأنه أنقذها من قبائل الغال القادمين على ايطاليا من فرنسا وانتخب خمس مرات قنصلا وهذا يخالف الدستور الرومانى الذى لايجيز للحكم أكثر من عام واحد وعندما عتب عليه أحد أصدقائه على تكرار الانتخاب كان رده (صليل السيوف يصم الآذان صم سماع صوت الدستور) أى أنه فى وضع يخالف الدستور وكان له أصدقاء فى روما يرشحونه عدة مرات وكان منضما للجبهة الشعبية ولايحارب من أجل الاشراف وكان خصمه السيناتور (سولا Silla) صاحب نظرية (إن ازدواج السلطة فى الدولة خطر عليها) بمعنى أن السلطة موزعة بين هيئتين (الترابنة) و (مجلس الشيوخ) الذى يصون مصالح النبلاء وخير لروما أن يحكمها مجلس ارستقراطى ورث الفضائل الرومانية من أن يحكمها مجلس الشيوخ والترابنة .

وأخطر شئ بالنسبة لتربيون هو أن يعاقب التربيون إذا أخطأ فى طريقة تقديمه مشروع القوانين ويعاقب بفرض غرامات ضخمة عليه ويحاكم أمام مجلس الشيوخ ويقوم على الشخص الذى شغل وظيفة التربيون أن يتولى أى وظيفة عامة بعد ذلك . ومعنى هذا جعل وظيفة التربيون لاقيمة لها وهى التى جعلت الاربيون رقيبا على الاشراف للمصالح العامة .

وتعددت محاكمات الاعدام للطبقة الشعبية فى عهد (سولا) مما أشاع الفوضى فى البلاد ، وقد لجأ سولا ممثل الدكتاتورية العسكرية فى أبغض مراحلها إلى استعمال أبشع وسائل التعذيب والتطرف فى الدكتاتورية ، فإذا كان ماريوس قد تطرف فى خرق الدستور الرومانى فقد تطرف سولا فى القضاء على الطبقة الشعبية .

وقد طلب المنتمون إلى طبقة الشعب إلى (سولا) بأن يعلن أسماء المقدمين للإعدام مرة واحدة خشية الارهاب اليومى ، وقد مات (سولا) ميتة شنيعة وقد مثل الدكتاتورية العسكرية فى أبشع مظاهرها فقد تطرف فى القضاء على الطبقة الشعبية .

وبظهور شخصية بومبى الأكبر وهو الذى لعب دورا بتماشيه مع مبادئ سولا وقع انمجال للمزيد من المخالفات الدستورية فإن العقائد الرومانية والتقاليد تقول بأنه لايصح أن يدخل روما على رأس جيش وقد خالف بومبى الدستور فى هذه الناحية ودخل روما بجيشه .

وبظهور كل من قيصر وانطونيوس واكتـ فيوس وقد اقترف كل منهم مخالفات جسيمة جديدة ضد الدستور كما أعلن اكتافيوس قيام حكم الفرد وانتهى الأمر بأن نصب امبراطورا (اكتافيوس) فى عام ٢٧ ق . م .

نودى على بومبى باسم (الامبراطور) وهى سلطة محددة زاد على عدة مراحل .
يرجع فى ذلك إلى كتاب – التاريخ الاجتماعى والاقتصادى للامبراطورية الرومانية –
– موضوع سلطة الامبريوم – يرجع فى ذلك إلى كتاب تاريخ روما تأليف كارى الفصول ٣٠ ، ٣١ (شكل الحكم)
– أعمال اغسطس المؤلمة Res Gest . E. Augusti

وهى التى كتبها أغسطس ليبرر بها كل السوابق الدستورية التى خالف من اجلها الدستور ولكن النص الأصلى ضاع . وقد عثر على أول صورة من النص سنة ١٥٥٥ أعمال اغسطس المؤلمة منقوشة على معبد فى الناضول وتسمى نقش أنقره .
– المؤرخ تاكيتوس Tacitus .
– الحوليات Annales .
– المؤرخ سويتونيوس Suetonius .
كتاب (حياة اثنى عشر قيصرا) Vit. ued caesarun
– قرارات اغسطس التى أصدرها فى سنة ٢٧ ق . م لمدينة قوينى فى برقه .
– نفوذ اغسطس وأوراق البردى المتعلقة به وبعصره .

نمو الدولة واستمرار اضطراب الأحوال

فى القرن الثانى ق . م . ترك المجال لطائفة كبار الملاك الذين اتبعوا سياسة شخصية أثروا فيها مصالحهم ، وفى القرن الأول كانت الجمهورية الرومانية قد توسعت بدافع من مجلس الشيوخ أو من أعدائه أو من طبقة الفرسان (الرابيون أصحاب الأعمال - رجال الجيش) ووضح ان المركز الول فى الولايات انما كان لأفراد من طبقة الشيوخ أو من طبقة الفرسان أعضاء مجلس الشيوخ هم الحكام فى هذه الولايات ويتمتعون بسلطات تكاد تكون مطلقة وكثيرا ما اتهموا بمخالفة قواعد الأخلاق وكذلك الفرسان الذين تخصصوا فى عملية جمع الضرائب والمكوس كانوا هم أيضا قد انحرفوا ولكن لولا أن مجلس الشيوخ (طبقة الشيوخ) كانت تجمع لهم أى أعمال غير قانونية لما كان فى استطاعتهم أن يذهبوا إلى هذا المدى البعيد من فى المعاملة لسكان الولايات .

تتميز ذلك أن (Consores) (الرقباء) (وهى وظيفة نشأت فى العالم الجمهورى لمراقبة الأخلاق) كانوا فى الواقع يبيعون جمع الضرائب لمن يدفع أكثر (نظام الالتزام) وعن طريق رشوة الحكام ، وكان فى امكانهم امتصاص آخر قطرة من دماء سكان المستعمرات . وكان من غير المجدى ارسال الشكاوى إلى روما لأن الهيئة القضائية وهى بدورها مشكلة من أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان كانت دائما تصدر حكمها لصالح من يدفع أكثر .

وثمة فضيحة أخرى للادارة المالكة تتمثل فى تمكين طائفة من أصحاب رؤوس الأموال من الشيوخ والفرسان فى إقراض الأموال بفائدة فادحة . وكثيرا ما تكون المدينة بأسرها وما تملكه ضمانا لسداد الديون . وكان الغرض من كثير من العمليات الحربية فى آسيا الصغرى إكراه حكامها لأهل بعض المدن على دفع ما عليها من ديون - ولم يتورع

قبل أن نمضى فى دراسة تاريخ الامبراطورية الرومانية علينا أن نستعرض حالة روما وإيطاليا والولايات الرومانية حتى القرن الول ق . م . من الواقع أن روما عانت الكثير من جراء الحرب الأهلية التى سادتها فى الفترة الواقعة بين عامى ٤٦ ، ٣٠ ق . م وقد تميزت هذه الفترة بصراع رهيب بين الدكتاتورية العسكرية تمثلت فى عدد من قادة روما العظام مثل ماريوس وسولا وبومبى Pompay قيصر وانطونيوس واكتافيانوس وبين مجلس السناتو – ونعرف أن بعض القادة مثل بومبى وسولا فى فترة من حياته وقفا إلى جانب (مجلس الشيوخ Senato) ينقلوا السلطة بأكملها من هذا المجلس إلى المجالس الشعبية الأخرى . ولايخفى أن مجلس الشيوخ أدار كفة الحرب البونية ضد القرطاجة وكان صاحب الفضل فى انتصار روما ، ولايخفى أيضا ان هذا المجلس هو الذى أجبر روما على دخول المقدونية الثالثة ، بل انه تحكم فى كل شئ فى روما حتى فى المسائل الاقتصادية البحتة باعتباره مهيمن على الشعب الرومانى . وقد حاول الساسة الديموقراطيون زعزعة نفوذ الطبقة الارستقراطية عن طريق إعادة توزيع الأرض والتوسع فى منح الحقوق الرومانية .

ونعرف أن روما خاضت حربا طويلة عنيفة ضد الحلفاء وسمح بعدها لسكان ايطاليا أن يصبحوا مواطنين رومانين ، أما تحويل السلطة إلى مجالس شعبية وإعادة توزيع الأرض قد أديا إلى صراع طويل نسى فيه المتصارعون المعنى الحقيقى لهذين الهدفين فانقسموا إلى معسكرين – معسكر مجلس الشيوخ وأنصاره ، ومعسكر أعداء مجلس الشيوخ . وفى نفس الوقت كانت الحاجة ملحة إلى تعديل الدستور الرومانى بشكل يتفق مع نمو وتوسع الدولة الرومانية .

كثيرون من مشاهير روما عن الاشتراك فى عمليات من هذا النـوع فمثلا بروتس (قاتل قيصر) كان يقرض أمواله بفائدة تبلغ ٤٨ ٪ .

طبيعى أن كل هذه الفضائح أمدت الزعماء الديموقراطيين بسلاح فعال ضد السناتو (مجلس الشيوخ) ومع ذلك فإن الانتصار الذى أحرزه الحزب الديموقراطى أو النصر المؤقت الذى أحرزه بعض القادة السياسيين لم يؤد إلى أى تغيير ذلك لأن هؤلاء الزعماء كانوا قبل خضوعهم يعتمدون على الجيش اعتمادا كليا ، وهذا الجيش الرومانى أصبح يتألف الآن من جند محترفين أقبلوا على الخدمة العسكرية لإشباع طمعهم فى الأسلاب والغنائم وعند انتهاء مدة خدمة الجند كانوا يمنحون أنصبة من الأرض الزراعية وقد أثبتت التجربة أنه من المستحيل الاعتماد على الجيش لتأييد برنامج سياسى محدد فالجيش الذى آزر ماريوس الديموقراطى هو نفسه الجيش الذى استعان به سولا الارستقراطى ولم تكن تعنيه المسائل السياسية بل الذى يعنيه أولا وأخيرا الغنائم ، لذلك كان من الضرورى تحقيق أطماع الجند من شن أثر الحرب وضم ولاية بعد ولاية .

وهكذا اضطر سولا ومن بعده قيصر وانطونيوس واكتافيانوس أن ينتهجوا سياسة توسعية لمد حدود الدولة وكان من الطبيعى أن يجدوا عونا على ذلك فى طبقة الفرسان والشيوخ الذين لايضعون فى اعتبارهم أى تفكير فى دوافعسياسية .

ونتيجة لذلك التوسع فى رقعة الدولة أن زادت أهمية الجيش الذى لولاه لانهارت الدولة فى الحال ، والجيش لايطمع إلا القائد الذى يضمن له النجاح ونصيبا من المال والأرض . وقد اثر ذلك كله كافة زعماء روما الذين ظهروا على مسرح السياسة فى القرن الأخير ، وإن كان بومبى العظيم حاول أن يتحاشى هذه النتيجة المنطقية فحاول أن يوفق بين الدستور وبين مظهر (شكل) من أشكال الحكم الملكى فحاول أن يحكم روما بوصفه المواطن الأول وفى الوقت نفسه يعمل على أن يكسب ثقة الناس ولكنه فشل وتحول غلى آلة فى يد الدستور الذى كان يحاربه فاضطر أن يحارب قيصر دفاعا عن مجلس الشيوخ واعترف قيصر بصراحة أنه يدين للجيش وبالجيش استطاع انطونيوس واكتافيانوس أن يؤخرا كل محاولات المجلس لتأييد سلطانه وقضوا على هذه المحاولات بالفشل .

وكل منهما (انطونيوس واكتافيانوس) تقلد السلطة العليا عن طريق الجيش وبفضل الجيش أصبح اكتافيانوس هو أقوى شخصية في روما تقرر مصير انطيوخوس عندما بدا ضعيفا من الوجهة العسكرية .

فكرة الحكومة العالمية

طبيعى أن روما أصبحت دولة كبيرة بعد أن كونت امبراطوريتها وظهر عجز مجلس الشيوخ عن معالجة حكومة الولايات (عجز عن ادارة الولايات) وروما تعتمد على هذه الولايات فى مواردها التى استنزفها الشيوخ والفرسان فقل رخاؤها (الولايات) وتوقف التطور الاقتصادى فى الولايات ، وكان المحور الذى دارت حوله اصلاحات سولا هو محاولة منه لايجاد طريقة تمكنه من حكم الدولة الرومانية فى وضعها الجديد .

كما كان على سولا Solla بعبارة أخرى أن يجيب على هذا السؤال :
كيف يمكن أن تحكم الدولة فى وضعها الجديد ؟ وكذلك كان على قيصر أن يجيب ولكن السؤال يبقى بدون إجابة .

إن النظام القديم لروما هو نظام نابع من دستورها عندما كانت مدينة حرة (أو دولة مدينة) وعليها الآن أن تتخذ لنفسها دستورا جديدا مع مراعاة أن أى نظام جديد يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن ايطاليا والمواطنين الرومان لن يتخلوا عن مركزهم الممتاز فى هذه الدولة ، وكذلك يجب أن يحسب للجيش كل حساب نظرا لتزايد أهمية الجيش وأهمية قادة هذا الجيش فهل ينشأ دستور قائم على انفراد شخص واحد بالسيطرة العسكرية ؟ وبمعنى آخر هل كان من الممكن تجنب قيام نظام الملكية ؟

اذن فى القرن الأول كان نظام المدينة الحكومية (الدولة) آخذا فى التداعى واحتلت السلطة من هذا النظام إلى طبقتين ممتازتين هما طبقة الشيوخ والفرسان . وشهد هذا القرن فضلا عن ذلك ظهور نظام جديد يقترب من نظام الملكية وهذا يعنى أن القرن الأول كان فى الواقع فترة انتقال من نظام وفكرة وهى فكرة المدينة التى تمسك بها الاغريق وكانوا من أجل بقائها وكانت واضحة فى الدستور الرومانى فى القرنين الرابع والثالث ق . م .

بدأت هى الأخرى تفسح الطريق لنظرية وافدة من الشرق قائمة على أساس وجود دولة واحدة لها ثقافة موحدة ويحكمها رجل واحد (تضحية المجموع من أجل سعادة المجموع من أجل إقامة حكومة الفرد الواحد) .

وخلال هذا القرن لم تكن التغيرات التى طرأت على الحياة الاجتماعية فى ايطاليا بأقل عمقا من تلك التى طرأت على الحياة السياسية ، فقد عانى سكان الريف كثيرا من الحرب الأهلية ، وحاول الاخوان الجراكيان إحياء نظام الملكيات الصغيرة ، ولم تستطع سياسة إعادة توزيع الأرض بين الجند المسرحين أن تعيد الحالة القديمة إلى ما كانت عليه بالرغم من ماريوس وبومبى وقيصر وانطونيوس واكتافيانوس بالرغم من أن كل هؤلاء اتخذوا اجراءات واسعة النطاق لتحقيق هذا الهدف ، فقد ظهر مئات الألوف من الملاك الجدد وطرد الكثيرون من الملاك القدامى من أراضيهم وذلك لسد حاجة الملاك الجدد . ومع ذلك لم يحدث تغير جوهرى فى نظام الزراعة فى ايطاليا فأفلس كثير من الجند المسرحين الذين لم يعتادوا العمل المستقر المنظم وانتقلت ملكية أراضيهم إلى أصحاب رؤوس الأموال وأولئك الذين احتفظوا بأراضيهم عمدوا غلى استبدالها بأراضى فى مناطق أخرى أو آلت ملكية جزء منها إلى طبقة الملاك المتوسطة التى كان لها الزعامة فى مدن الولايات .

وعلى أى حال فإن توزيع الأرض على الجند المسرحين لم يؤد إلى إيقاف تضخم المزارع الواسعة - وكان يقوم بالعمل فى هذه المزارع الواسعة عبيد أو جماعة من الأجراء يسمون عبيد الأرض وكان يعمل فى أرض سولا أربعون ألف رجل من العبيد المحررين ، واستطاع بومبى أن يجند جيشا بأكمله من زبائن أسرته من الرجال المحررين ليساعدوا سولا ضد الديموقراطيين .

وبالرغم من أن الأرض كانت تنقل ملكيتها من يد إلى أخرى إلا أنها ظلت احتكار لعدد قليل من أصحاب رؤوس الأموال وظهرت كذلك ثروات جديدة خلال فترة الحرب الأهلية ، ولم يحقق الزعماء الثراء لأنفسهم فحسب بل كانوا لأنصارهم الكثير من الأموال وكذلك أثرى حكام الولايات على حساب سكانها .

وعموما زاد عدد أفراد طبقة الرأسماليين المنتمين لطبقة الشيوخ وكذلك الحال بالنسبة للفرسان فلم يعد لقب (الفرسان) مقصورا على هذه الوحدات الثمانية عشر المئوية (وحدات مجموعات الفرسان) الذين سجلوا في كشوف المواطنين ليحاربوا على ظهور جيادهم بل أصبح يتمتع بهذا اللقب أولئك الذين منحوا حقوق المواطنة الكاملة والذين لاتقل ثرواتهم المنقولة (العقارية) عن ٤٠٠ ألف من الستيرات (عملة رومانية Seteraius) وهؤلاء كان عددهم يزداد باستمرار واستطاع كثير من العبيد المحررين أن يكونوا ثروات هائلة خاصة وأن الكثيرين منهم عملوا في جمع الضرائب وإقراض الأموال في ايطاليا وخارجها واشتغلوا في بناء السفن واستطاعوا بما لديهم من إمكانيات أن يشتروا الأراضي المصادرة وغنائم الحرب وخاصة من العبيد .

هذه الثروات استثمرت في التجارة والصناعة . . الخ ، ولكن الأهم من كل هذا أنها استثمرت في شراء الأراضي الزراعية في إيطاليا وخارج ايطاليا ، وزاد من خطورة الموقف أن روما أصبحت مركزا كبيرا من مراكز التجارة العالمية وكثيرا ما كانت تعقد صفقات كبيرة من القمح لروما في السوق الروماني (forum) وكثيرا ما كانت ايطاليا تصدر زيت الزيتون والنبيذ ولم تقتصر إقامة المواطنين الأغنياء على ايطاليا بل انتشروا في شتى أرجاء الامبراطورية الرومانية فكثيرا ما نجد رومان وايطاليين في بلاد اليونان وآسيا الصغرى وافريقيا وبلاد الغال (فرنسا) يعملون في شتى نواحي النشاط التجاري .

ولقد ساعد تدفق الأموال على روما أن تبتلع الملكيات الكبيرة الملكيات الصغيرة ، وكانت الأراضى المنزرعة فى ايطاليا تنتج القمح ولكن بعد توسع روما استطاعت الحكومة الرومانية أن تستورد قمحا من الخارج بسعر أقل مما أدى إلى انخفاض سعر القمح الايطالى وذهب ضحية تركز الثروة فى يد طائفة من كبار الملاك أن تكونت طبقة من أغنياء الريف ذهب ضحية لها رجال من الطبقة الوسطى من ذوى الدخل المنخفض . وكذلك أدت عملية مصادرة الأملاك فى فترة الحرب الأهلية إلى زعزعة الاستقرار الاقتصادى بل والاجتماعى فى ايطاليا ، واضطر الكثيرون إلى الهجرة إلى روما وترك أراضيهم ، وتحول بعض الملاك إلى مستأجرين لنفس الأرض التى كانوا يمتلكونها من قبل ، وفضل بعض الايطاليين ترك ايطاليا كلية والذهاب إلى الولايات الشرقية أو الغربية سعيا وراء فرص أفضل تعوض ما فقدوه فى ايطاليا . اذن هناك هجرات متدفقة على روما ، وهناك الفرص لافساد ضمائر الفقراء – فضلا فى عصر قيصر كان هناك حوالى ٣٢٠ ألف مواطن رومانى يتسلمون منحهم من الدولة وذلك إلى جانب المآدب والحفلات العامة التى كانت تنظم مجانا لاكتساب أصواتهم .

ولم يعد العامة أولئك الذين ينحدرون من أصل رومانى أو ايطالى إنما أصبحوا خليطا من سلالات العبيد المحررين أو أولئك العبيد الذين حرروا ومنحت لهم حقوق المواطن الرومانى باعتبارهم Liperti (عبد محرر يكتسب حق المواطنة) وهم فى الواقع كانوا يمثلون جماعة عالمية لهم صفة العالمية تمثل كل أجناس البحر الأبيض وخاصة العناصر القادمة من الولايات الشرقية ذات الحضارة اليونانية – وينبغى ألا ننسى أن الولايات لم تكن مزدهرة بنفس درجة ازدهار ايطاليا من الناحية الاقتصادية ، ففى الغرب نجد افريقيا (تونس والمغرب) التى تحولت لتكون مزرعة للقمح الذى ينمو فى ضياع النبلاء الرومان .

أما أسبانيا فكانت مسرحا لحروب طويلة وأخذت تفيق من نومها ببطء شديد وكذلك بلاد الغال التى أصابها الدمار على يد (التيتون) ثم على يد قيصر ولكن ليس معنى هذا أن روما لم تستفد اقتصاديا من هذه الولايات بل على العكس من ذلك أصبحت الفرصة متاحة لأصحاب رؤوس الأموال من الرومان والايطاليين لاستغلال أموالهم فى أرض جديدة من الممكن أن تأتى بأرباح كبيرة لهم وبالتالى تعزز الاقتصاد الرومانى ، وسنرى ذلك واضحا فيما بعد فى عصر الامبراطورية (كميات الزيتون والزيت الهائلة التى كانت تأتى من أفريقيا إلى روما كان لها شأن كبير فى الاقتصاد الرومانى) .

من الناحية الحضارية أصبحت كل ايطاليا لاتينية بعد ضم شمال ايطاليا وبعض المدن غير الايطالية مثل مدينة بومبيه Pompai تحولت من مدينة أوسكانية (عناصر أوسكانية) إلى مدينة لاتينية وتغلبت اللاتينية على بلاد الغال وحلت محل اللغة الكلتية التى لم تترك وراءها أى أثر .

وبصفة عامة أثرت ايطاليا بلاتينيتها على الولايات الغربية بحيث أصبحت الثقافة اللاتينية واللغى اللاتينية شيئا ثابتا راسخا . وفى القرن الأول ق . م . تحول جنوب ايطاليا وجنوب بلاد الغال إلى مناطق أشبه ما تكون بمقاطعات ايطاليا نفسها ، وتدفقت عليها هجرة العناصر الايطالية ورؤوس الأموال الايطالية ، وقد ساعد على ذلك أن الثقافة المحلية فى هذه البلاد لم تستطع أن تثبت فى وجه الثقافة اللاتينية .

أما فى الشرق (الهيلينستى) فإن الوضع اختلف تماما ذلك لأن روما اتبعت فى إخضاع هذا الشرق وسائل عنيفة ، وقاسى الشرق من سيطرة شركات الضرائب بغطرستهم والطريقة المعيبة التى كان أصحاب البنوك من الرومان يباشرون بها عملياتهم المالية وأعمال النهب المخزية التى قام بها بروتس وكاسيوس وانطونيوس ، فإن كل ذلك أدى إلى انهيار أكثر البلاد الشرقية ثراء من الناحية الاقتصادية ورزحت المدن تحت نير

الديون الآخذة برقابها ، وحتى مصر التى لم تدمر من الناحية الاقتصادية تدميرا كاملا إلا أنها عانت الكثير من الخلافات الأسرية فى البيت الـ فى القرن الأول ، ومن جشع العملاء الرومان ومن حكم انطونيوس وكليوباترا الجائر . ووضح للمعاصرين أن الشرق أنهك اقتصاديا وأخلاقيا ومعنويا ، وهاجر إلى روما الكثير من العناصر الممتازة وانحطت معنويات الذين لم يستطيعوا الفكاك من بلادهم الشرقية فلجأ بعض هؤلاء إلى المدن يلتمسون فيها العزاء وإلى عقائد فلسفية أو دينية تقيهم بحياة أسعد وأفضل بعد الموت ، بمعنى آخر سادت المجتمعات الشرقية روح سلبية يائسة لاتستطيع أن تتلمس السعادة فى حاضرها .

هذا يفسر بعض الناس عن التفكير فى المسائل المتصلة بالمعرفة او البحث العلمى ولم يعد هناك إيمان بالقوة الخالقة فى الجنس البشرى ، وكان الشعار السائد العزلة عن الحياة . وظهرت المذاهب الفلسفية ومن أهمها الابيقورية والرواقية والكلتية ، كل هذه المذاهب الفلسفية تنتهى إلى فكرة ضرورة أن يركز الانسان الاهتمام فى نفسه والسعى إلى ارضائها ، وينظر إلى الحياة من حوله كأنها شئ لايعنيه . ولم تكن وسائلهم واحدة فالابيقورية تستند إلى أسس مادية صرفة . والرواقية تربط بين رغبة الانسان فى السعى إلى تحقيق حياته الذاتية وبين المثل والأفكار الدينية ، بينما المذهب الكلتى كان يقوم على نقد المجتمع البشرى ومحاولة الوقوف منه موقف الفاحص دون أن يوجد علاجا لضعف البشر .

وكاد ميدان العلم والفكر أن يقفر من رواد بارزين بعد أن كان الاغريق هم الذين تخصصوا فى هذه النواحى فكان آخر عبقرى أخرجه العالم اليونانى هو بوسيدونيوس Psidonius وهو يونانى من سوريا قضى كل حياته فى جزيرة رودس ، وكان مدرسا ممتازا للبلاغة من أحسن مؤرخى عصره فأكمل كتاب المؤرخ بوليبيوس Polybius وتوصل إلى كتابات أصيلة فى علمى الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الاقتصادية وكتب عن حركة المد والجزر ودرس البراكين وقام بدراسة البشرية بشمال أوربا ونبغ فى الرياضة والفلك .

ومع ذلك لم تستطع روما أن تفرض لاتينيتها على الشرق لأن اللغة اليونانية كانت راسخة فى نفوس وضمائر الناس فهى ليست لغة حضارة فحسب بل أصبحت لغة الحياة اليومية فى الشرق الهلينستى ولم تستطع روما إلا أن تكون حامية للحضارة اليونانية .

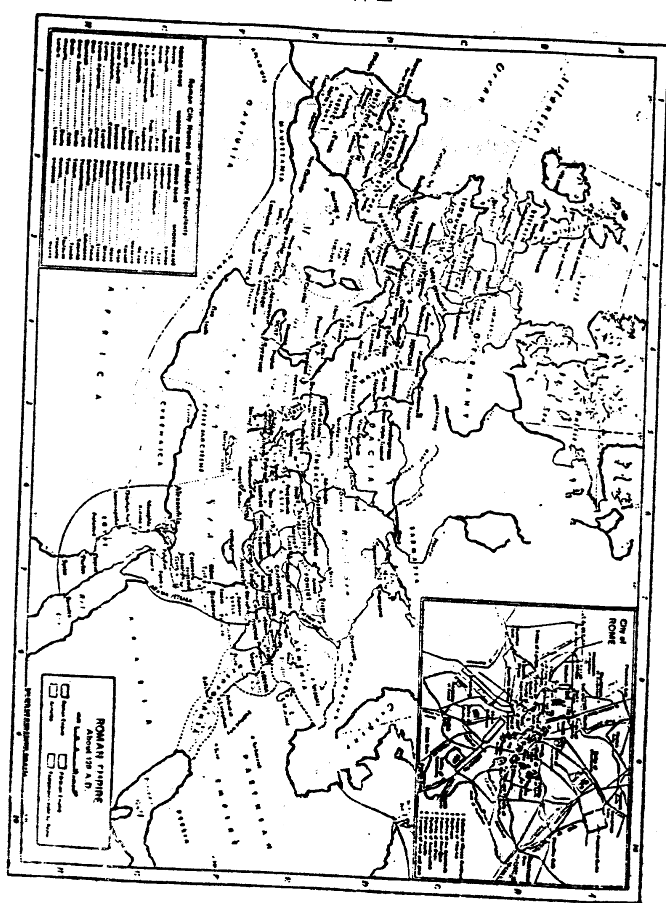
لذلك احتفظت ببعض المكانة الممتازة التى كانت لطبقة المواطنين فى المدن أو كما سنرى فى عصر الرومانية أعطت امتيازات قانونية ومالية لخريجى معاهد التربية (الجمنازيوم Gymnasium) .

وإذا انتقلنا إلى ايطاليا نفسها لوجدنا أن ثمة حضارة مستقلة عن الشجرة بدأت تظهر فيها بعد أن كانت الثقافة الاغريقية قد نجحت فى اغرقة روما (تحويل روما إلى الاغريقية) فى القرن الثالث ق . م .

أما فى القرن الأول فإن الثقافة الرومانية أصبحت ثقافة وطنية حقيقية ، وهذا يبدو واضحا فى الانتاج الأدبى للعصر اللاتينى فى هذه الفترة كان يبدو أكثر انتعاشا واتصالا بالحياة عن الشعر الاغريقى المعاصر ، فهناك الشاعر الغنائى كاتولوس والشاعر والفيلسوف لوكريتوس وظهر فى النثر شيشرون الذى أظهر مدى ما للغة اللاتينية من مرونة وقدرة على التعبير عن المعانى والأفكار التى تذخر بها الفلسفة اليونانية .

ويلاحظ أن الكتاب المعروفين كانوا من الطبقات العليا فى المجتمع الرومانى والمجتمع الايطالى ، ويكفى أن نذكر أن سولا كتب مذكراته وكتب قيصر تعليقاته على الحروب التى خاضها (التعليقات) ووصف غزواته فى بلاد الغال وسجا أحداث الحرب الأهلية . وقد ازدهر أيضا فى التاريخ على يد شيشرون لأنه كان يعتقد أن التاريخ سلاح يسهل استخدامه فى الصراع السياسى والدعاية الحزبية . وكذلك ساير العلم الأدب اليونانى فى التطور وإن كان الرومان قد اهتموا بدرجة أقل بدراسة النتائج التى توصل إليها الاغريق فى العلوم الطبيعية والرياضية ، أما من الناحية الفنية فلا يزال التفوق للاغريق ولم يكن الفن الرومانى قد وجد بعد بل انه كان لايزال فى دور الطفولة فى عهد الامبراطورية وكذلك قنع فن العمارة بتقليد النماذج الاغريقية .

وبالرغم من كل ذلك فإن الحياة العامة فى روما وايطاليا كانت اغريقية فى مظهرها العام فالمجتمع الراقى يتكلم اليونانية وغلبت مظاهر الترف على حياة هذه الطبقة التى اتخذت قصورا فخمة فى أوربا وأصبح لهم عبيد لاحصر لهم وامتلكوا الفيلات (المساكن الريفية) وكانت المآدب تقام بلا حساب وتسمع فيها الموسيقى والرقص ويقصد إلى هذه القصور الفلاسفة والخطباء من الاغريق يلقون الدروس والمحاضرات ويتناقشون باللغة اليونانية ، ومن ناحية أخرى بدأت النساء يلعبن دورهن فى المجتمع الجديد وكثرت الزيجات والطلاق ، ثم إن الرومان شغفوا بالسياسة التى كانت طابع العصر وللأسف لانعرف الكثير عن حياة الطبقات الدنيا وإن كان من غير المحتمل أنها كانت لها مؤثراتها على نواحى الحياة المختلفة .


ROMAN EMPIRE
About 120 A.D.
City of ROME

أوغسطس وحكومة الفرد

من سنة ٢٧ ق . م إلى سنة ١٤ ميلادية

١ – الفترة من ٣٠ : ٢٧ فترة حكومة اكتافيانوس .
٢ – حقبة الصراع بين مجلس الشيوخ والاستبداد العسكرى .
٣ – هل استطاع قيصر أن يوجه للمجلس ضربات مكنته من أن يقيم فى روما حكما لايستند إلى أسس جمهورية (الصراع بين مجلس الشيوخ والقادة العسكريين)
هذه الفترة كانت مؤلمة قاسى منها الرومان والايطاليين والولايات ، وكان من السهل حل مجلس الشيوخ لاصدار تفويض لقائد الدفاع من الجمهورية ضد الاستبداد العسكرى .
٤ – هل يرضى المواطنون الرومان بمنح حقوق المواطنة الرومانية للعناصر الجديدة التى ضمتها الامبراطورية الرومانية ؟
٥ – الصراع بين الشيوخ والفرسان باعتبارهم أرقى طبقات المجتمع الرومانى وأكثرها ثراء .
٦ – من الذى انتصر فى الصراع الذى تلى الفترة بين انتصار اكتافيانوس على انطونيوس ؟
هل من الزعامة العسكرية – مجلس الشيوخ – الفرسان – المبادئ الجمهورية .
٧ – هل يجب الاحتفاظ بوحدة الدولة ؟
إذا تحققت هذه الوحدة فأى شكل من أشكال الحكومة يقبله المواطنون الرومان ؟

طالت فترة النزاع بين مجلس الشيوخ والاستبداد العسكرى ، وبالرغم من أنه كان يلوح أن مجلس الشيوخ قد خسر أمام تصميم قيصر على إقامة حكم فردى إلا أن المجلس لم ييأس تماما من كسب معركته مع يوليوس قيصر وذلك يرجع إلى تصرف قيصر من ناحية ، وإلى استعجاله النتائج من ناحية أخرى .

وقد يفسر تصميم المجلس على السير فى المعركة ضد قيصر أنه (أى هذا القائد) لم يأتى بالا إلى الحياة السياسية التى ألفها الرومان والنظم الدستورية التى استقرت فى وجدان المواطن الرومانى .

ويجب أن نبرز هذه الحقيقة وهى أن يوليوس قيصر تجاهل رغبة المواطنين الرومان فى الاحتفاظ بمركزهم المميز فى الامبراطورية وتجاهل أيضا المركز الثانى الذى وصلت إليه طبقتا مجلس الشيوخ والفرسان .

وإذا كان مجلس الشيوخ قد عقد العزم على تحدى قيصر ازداد أمله فى النصر باغتيال هذا الخصم العنيد ، إلا أن مجلس الشيوخ فشل بعد ذلك لافتقاره للتأييد العسكرى فى محاولته اليائسة إرجاع النظام القديم واستعادة هيبة الشيوخ وسيطرتهم على الحياة السياسية فى روما .

ولايمكن أن ينكر المعاصرون أن النصر فى الصراع الذى كان بين اكتافيوس ، وانطونيوس إنما كان حليف أقوى الفريقين من الناحية العسكرية وأنه لامحل للحديث عن مجلس الشيوخ باعتباره عاملا مؤثرا فى الموقف .

وكانت أهم المسائل التى تحتل المكان الأول من اهتمام المعاصرين هى أساسا :

١ – هل يجب الاحتفاظ بوحدة الدولة ؟

٢ – إذا أمكن تحقيق استقرار روما متمعة بالسيادة فى هذه الدولة الواحدة فأى شكل من أشكال الحكم والسلطان تقبله جموع المواطنين الرومان ؟

كان أمامهم نوعان من الملكية العسكرية : فقد ورث انطونيوس عن يوليوس فكرة تتلخص فى أنه من الممكن أن تكون هناك ملكية عسكرية تستند إلى حكم عسكرى يرتكز على تأييد سكان الامبراطورية جميعا . وفى نظر قيصر أن ايطاليا بأكملها وليست روما فقط وسكان المستعمرات جميعا (الولايات) وليس فقط المواطنون الرومان يجب أن يندمجوا فى هيئة واحدة تعترف بسلطان الحاكم الأعلى .

حدث هذه المرة أن الطبقا تالعليا فى المجتمع مؤيدة بهيئة المواطنين الرومان جميعا تصدت لمقاومة أفكار ونظريات يوليوس قيصر عن الحكم الجديد (المقصود بهيئة المواطنين المرحلة فى تاريخ روما كل الايطاليين وبعض سكان الولايات الذين منحوا الحقوق الرومانية فى فترة الحروب الأهلية) وبينما قبلت هيئة المواطنين بأن تقر بالسيادة العليا فى الدولة لقائد القوات العسكرية إلا أنها لم تكن على استعداد لأن تفرض فى مركزها الممتاز وأن تذوب بين سكان الولايات . وبدا فى ايطاليا شعور الكبرياء القومى فى الظهور وأصر المواطنون على أن يعترف بتفوقهم السياسى والدستورى فى الدولة ، وقد فطن اكتافيانوس إلى حقيقة هذا الشعور واستغله إلى أبعد الحدود ومن أجل ذلك (بفضل ذلك) استطاع أن يوقع الهزيمة بانطونيوس لأنه لم يعلن الحرب على انطونيوس بقدر ما أعلنها على الملكة كليوباترا التى تريد أن تفرض كلمتها على الشعب الرومانى .

ومادام اكتافيانوس قد تمكن من هزيمة انطونيوس معتمدا على هذا الشعور فإنه فى الواقع أصبح مرتبطا مع المواطنين الرومان بعقد غير مكتوب بأن يحافظ بقوة على التفوق السياسى لايطاليا والمظاهر الأساسية للمجتمع الايطالى وألا يسمح بطغيان الولايات على روما وايطاليا . وكانت الدولة الرومانية فى حاجة إلى دم جديد وكانت إعادة الأمور إلى ما كانت عليه أمرا ضروريا بشرط ألا يتعدى الاصلاح هذا الهدف بإدخال عناصر غير رومانية فى بناء الدولة ، ولكن تنبه اغسطس واكتافيانوس إلى أن إقامة دولة جديدة على أنقاض دولة قديمة مهلهلة لم يكن من الحكمة فى شئ ، ولو أنه كان يؤمن بأن روما لم تمت كما ظن المواطنون فماذا ينوحون عليها قبل . وقد شارك اكتافيانوس هذا الشعور عدد كبير من المواطنين الرومان لذلك فهم أنه لم يكن حرا فى وضع دستور جديد بل يجب أن يرقب الموقف بحذر وأن يتصرف إلى عواطف المواطنين ومشاعرهم . وفى هذا كان بعيد النظر فأعد نفسه ليعمل بأمانة ترضى المعاصرين ليجد الحل العملى من خلال الظروف الصعبة التى تعيشها روما وآمن أن الرأى العام على صواب فى ضرورة إعادة الحياة إلى روما وضرورة أن يعود إليها مجدها القديم .

ومعنى ذلك أن على اكتافيانوس أن يوفق بين القوة العسكرية التى ورثها عن الزعماء الذين سبقوا والتى أثبتت هذه القوانين أنها ضرورية لإرجاع النظام والأمن وإقامة حكومة صحيحة صالحة بين رغبة ايطاليا والمواطنين الرومان فى أن يحتفظوا بمركزهم الممتاز إن لم يكن بالمعنى السياسى فعلى الأقل فى مجال العلاقة الاجتماعية والاقتصادية . وبهذه الشروط كانت ايطاليا على استعداد بأن ترحب وأن تزيد حاكما عسكريا كان بمثابة اوستقراط (حكم الفرد) وفى الوقت نفسه كانت الولايات على استعداد لتعترف بأى سيادة تضمن لهم الأمن والطمأنينة دون النظر إلى اعتبارات سياسية أو غيرها – أصبح اكتافيانوس على رأس الدولة الرومانية ، ولإخلاف فى حقه فى ادارة شئونها بعد أن أظهر أنه ينوى ابدا أن يتبع خطوات قيصر فهو فى السنتين الأولى والثانية بعد نهاية الحروب الأهلية يتخذ سلسلة من الاجراءات تستهدف أن يعيد إلى الطبقات الممتازة إلى هيئة المواطنين الرومان مكانتها الأولى ويريد أيضا أن يجدد مدينة روما .

فى سنة ٢٩ ق . م ، سنة ٢٨ ق . م . اتخذ لنفسه ولاجريبا Agrippa سلطة الكنيسور (الرقيب) Consor وذلك ليطهر مجلس الشيوخ فطرد من المجلس حوالى ٢٠٠ من أعضائه وربما كانوا من أنصار انطونيوس وليبدوس وذلك لينخفض عدد أعضاء المجلس من ١٠٠٠ إلى ٨٠٠ عضو ، وربما ضم هذا العدد (عدد المبعدين) عناصر كان قيصر قد رفعها من صفوف الجيش إلى مرتبة الشيوخ ولم يكونوا يوما من طبقته (طبقة الشيوخ) ويبدو أن الطبقات الممتازة قد حمدت لاكتافيانوس هذا العمل لأنه كان خطوة أساسية ليعود مجلس الشيوخ ليمثل أرقى طبقات المجتمع الرومانى وقبل ذلك بعام عمد اغسطس (اكتافيوس) على أن تقتصر هيئة المواطنين على العناصر الرومانية فحسب وكانت نظرية على أساس من واجب هذه الطبقة أن تعمل على بناء نفسها بنفسها وأن تحافظ على الدماء الرومانية والايطالية نقية وذلك عن طريق زواج كل مواطن بمواطنة رومانية أو ايطالية مع منع الزواج من المحررين المعتقين من الرق ، كذلك طبقت قواعد خاصة بمنع الزواج غير المتكافئ

بين الطبقات ، ولكن عمليـا لـم يكـن مـن السـهل تنفيـذ قـرار منـع زواج المحرريـن بالنسبة لجميع المواطنين ولكن كان من الممكن تنفيذه بالنسبة لطبقة الشيوخ .

وفى سنة ٢٨ ق . م . بدأ اكتافيانوس عملية إعادة بناء مدينة روما بتشييد المعابد أو ترميمها (إحياء مجد العاصمة) ولكنـه فـى نفس الوقت كـان يريد أن يعيد للحكومـة الجمهورية كافة المراسم التقليديـة الخاصـة بهـا ومـع ذلك لـم يشـأ أن يـنزل عن سلطاته الاستثنائية .

وفى السنين الأولى من حكمه كان لايزال القائد العسكرى الذى يطيعه جميـع رعيـة الامبراطورية فاحتفظ باللقب الذى اتخذه منذ ٤٠ ق . م . والذى يدل علـى علاقتـه الوثيقـة بـالجيش وهـو لقب الامـبراطور وكـانت السعادة أن يضـاف اسم اكتافيـانوس إلـى اسـمه الأصلى جايوس يوليوس Gaius Aulius .

وعلى سبيل الاختصار أصبح معروفا باسم اكتافيانوس ولكنه لم يشأ أن يستعمل هذا الاسم جايوس استخدم لقب امبراطور ، والمعروف أن هذا اللقب كان يمنح للقائد بمقتضـى قـرار مـن مجلس السـناتو وينـادى بـه الجيـش وذلـك عندمـا يحقـق القـائد نصـرا عسـكريا مشهورا .

اذن دخول اللقب العسكرى ليكون ليس مجرد لقـب بـل يكـون اسـم واختـاره ليميزه عـن السـادة الثـائرين فـى فـترة الحـرب الأهليـة والـذى كـان يحييهـم بـه جنودهـم بعـد انتصـارهم واستعمله كلقب بسيط وواضـح أنـه ارتبـط فـى أذهـان أهـل الولايـات بـأن صاحبه يتمتع بسلطات لاحد لها ولم تكن لديه الرغبة فى أن يغير هذه الفكرة ، وهذا يفسـر لماذا أقسم أهالى الولايات بالولاء له شخصيا عندما استقرت سلطاته نهائيا ثـم أنـه لـم يكـن من عشيرة يولوس بل كان مـن اسـرة اكتافيـانوس وكـان ابنـا لقيصـر بـالتبنى وكـان أيضـا عازفـا عـن اسـم اكتافيـانوس ولكـن المهـم فـى نظـره أن يحتفظ باسـم قيصـر لأنـه ورث عن قيصر حق قيادة الجيش فمـن الطبيعى أن يـؤيـد صلته بقيصـر ، وبـالاضـافـة إلـى ذلك

فإن قيصر اله بعد موته فإذا نسب إليه فهو المؤله ولذلك أصبح اسمه بالكامل قيصر أو ابن قيصر المؤله Caesar - Filius ولكن بينما كان يحتفظ بسلطاته الاستثنائية ولقبه الثورى اختار أن يشغل وظيفته القنصل فكان ينتخب كل سنة لهذه الوظيفة مع زميل له ابتداء من سنة ٣١ ق . م . (وظيفة مزدوج) .

اذن هو لايحكم إلا عن طريق السلطة التى خولها له مجلس الشيوخ والمجالس الشعبية . وبعد مضى عامين رأى اكتافيانوس أن يتوجه عمله بإرجاع الأمور القديمة إلى ما كانت عليه ففى اجتماع مجلس الشيوخ سنة ٢٧ ق . م . تنازل عن سلطاته الخاصة وطلب رسميا العودة إلى العمل بدستور الجمهورية ، لكن المجلس وفى نفس الجلسة أصر على أن يقبل اكتافيانوس عددا من السلطات العسكرية والادارية التى أكدت مركزه كرئيس لمجلس الشيوخ وباعتباره المواطن الأول . وفى هذا اليوم ١٣ من يناير سنة ٢٧ ق . م . كان مولد شكل جديد من الحكومة نطلق عليه كما أطلق الرومان اسم حكومة المواطن الأول وهو Principes وفى نفس هذه المناسبة اتخذ لقبه الاضافى الذى عرف به فى شتى أرجاء الامبراطورية وأصبح اسمه الشخصى عند اخر مجلس الشيوخ أن يضيف إلى اسمه السابق (الامبراطور ابن قيصر) اسم لقب اغسطس

Amperator Caeser Divi Augustus

ولقب اغسطس عند بعض المقربين كان يمنح قديما لبعض آلهة روما ليدل على أنهم أضافوا جديدا أو خلق أشياء لم تكن موجودة من قبل ويتصل بهذه الفكرة ما استقر فى وجدان الرومان من اعتقاد أن هناك قوة دينية للفرد العبقرى هى أساس نجاحه فى عمله أيا كان ، وبذلك يكون اكتافيانوس قد منح هذا اللقب كمجدد لروما والذى أضاف جديدا إلى بناء الدولة منذ أن فوض للسلطة حتى أن بعض المقربين يرى أن كلمة اوكتوريتاس Auctoritas بمعنى السلطة العليا مشتقة لغويا من نفس الأصل الذى اشتق منه اسم اوغسطس Augustus والدولة التى يحكمها اوغسطس تغيرت إلى اسم الامبراطورية

الرومانية كما كان يسميها الرومان انفسهم وهى تعنى ذلك الجزء من العالم الذى أصبحت فيه سيادة الشعب الرومانى هـو القانون الأسمى وأصبح هو المفوض بالسلطة فى هذه الامبراطورية يحمل لقب امبراطور .

ومن هذا يتضح أن عام ٢٧ ق . م . كان بداية حقيقية لعهد جديد وتهيأت كل الفرص لنجاح اوغسطس فى أن يعطى روما والشعب الرومانى والامبراطورية الرومانية نظاما جديدا دون أن يكون ثوريا فى أى اجراء يتخذ من أجل إقامة هذا النظام ذلك لأنه لم يظهر بمظهر يخالف طبيعة مثلا سولا أو بومبى أو قيصر لأن هؤلاء بكل ما قدموه من سوابق تتعارض مع طبيعة النظام الجمهورى إنما فى الواقع أسهموا مساهمة فعالة فى وضع أساس النظام الجديد الذى أراده اوغسطس لروما .

ولكن اوغسطس كان ماهرا فى مزج ما استحدثوا فى بناء واحد (فى نظام واحد) مع احتياطه الشديد ألا يتعرض بشكل واضح للمظاهر الخارجية للحياة العامة التى اعتادها الرومان أثناء عصر الجمهورية .

وهكذا أقام اوغسطس نظامه الجديد وأثبت أنه استطاع أن يستوعب الماضى وأن يقدر القوة الحقيقية فى الدولة وأنه كان يفهم عقلية معاصرة .

فى ٢٣ ق . م . كاد المرض أن يفتك باوغسطس وكادت أن تسيطر عليه فكرة التخلى عن وظائفه الرسمية ، ولكن مجلس الشيوخ توصل إلى الاتفاق معه على أن يتخلى عن وظيفته القنصلية التى ظل محتفظا بها منذ عام ٣١ ق . م . وكان هذا العمل مريحا له إلى أبعد الحدود لأنه تخلص من عبء الاجراءات الروتينية التى كانت تستنفذ منه جهدا كبيرا وفى الوقت نفسه كان تمسكه بوظيفة القنصلية يثير فى بعض الدوائر المحافظة سخطا عليه لأنها حرصت على إظهاره بمظهر الشخص الذى يريد احتكار السلطة ، ومن ناحية أخرى أرضى أعضاء مجلس الشيوخ الذين كانوا يعتبرون وظيفة القنصلية أسمى منصب يلمع فيه الواحد منهم . ولكن مقابل التنازل عن هذه السلطة سمح له بتقلد سلطة التربيونية Tribunia Potistos وهذه السلطة تتيح له الحق فى استدعاء

مجلس الشيوخ للانعقاد وتعطيه الصلاحية والقانونية ليقدم مشاريع القوانين إلى المجلس القبلى Com. Tributa (تراجع أول ظهور للجمهورية) (وهو مجلس أسس فى بداية الجمهورية وسقوط الملكية) ولاوغسطس بمقتضى هذه السلطة التريبونية بعض السلطات أو الصلاحية القضائية وإذا حدث وتقدم إلى مجلس الشيوخ باقتراح فإنه بمقتضى هذه السلطة يكون من حق اقتراحه أن ينال الأولوية فى المناقشة ، ثم منح اوغسطس زيادة فوق ذلك سلطة البروقنصل (Proconsupre Mmperium) .

وكان مجلس الشيوخ قد منحه السلطة الكبرى (مايوس امبريوس) M. Mmperium وذلك فى الولايات التى يحكمها مجلس الشيوخ مباشرة ذلك أن مجلس الشيوخ اقتسم مع اوغسطس حكم الولايات فكان من نصيب مجلس الشيوخ الولايات الهادئة نسبيا ، وكان من نصيب اوغسطس الولايات التى تحتاج إلى جهد عسكرى لإقرار الأمن بها أو لتأمين حدودها وذلك فى ١٧ ق . م . وأعيد التوزيع فى ٢٣ ق . م .

وبعد ذلك تناقض حقيقة ما استحدثه اوغسطس أو ما هو نوع الحكم أو الدستور الذى ابتكره أهو ملكية أم حكومة ثنائية يقتسمها مع مجلس الشيوخ أم هو اعلمة للحكومة الجمهورية القديمة فى رأى روستوفتزف Rostovtzeff أنه لايمكن وصف ما فعله اوغسطس بكلمة واحدة ذلك لأنه يبدو أحيانا بمظهر الرجل الذى أقام نظاما ملكيا صريحا فى روما ، ومن ظاهر الأمور يبدو فعلا أنه اقتسم حكومة الامبراطورية مع مجلس الشيوخ (تجزئة السلطة) .

كان على اوغسطس بعد ذلك أن يواجه عددا من المشاكل تأتى فى مقدمتها تسوية علاقته بالجيش ، وقد كان خصمه انطونيوس يرتكز فى سيادته على قيادته للقوات المسلحة أى أن اوغسطس كان لابد أن يستند أيضا فى سلطته إلى أساس مشابه ، وقد حاول أن يتخلى من قيادة الجيش وذلك عندما تنازل عن سلطاته الاستثنائية فى ٢٧ ق . م . ولكن لم يتنازل عن لقبه العسكرى والذى حدث هو أن مجلس الشيوخ أ.جع

له فى الحال كافة السلطات العسكرية ، بالاضافة إلى ذلك لديه السلطة البروقنصلية التى منحت لمدة عشر سنوات فى الولايات التى تعسكر فيها الجيوش الرومانية فيما عدا ولايتى افريقيا ومقدونيا .

والواقع أن علاقته بالجيش كانت أوثق من أن يوهنها قرار يصدره مجلس الشيوخ ، وحقيقة ورث اوغسطس جيشا ضخم العدد كان من الصعب الانفاق عليه ولكن لم يكن فى استطاعته أن يتخلص من الجيش أو أن يقلل من عدده إلى الدرجة التى تتركه وحيدا لايستند إلى سلطة حقيقية فكل الذى فعله اوغسطس بالنسبة للجيش أنه سرح أكثر من نصف عدد الجيش ولكن دون أن يتركهم بدون تعويض فقد منح لأكثر من ٢١٠٠ جندى مساحات من الأرض وكان بعضها فى الولايات المحتاجة إلى حماية عسكرية .
كان هناك نظام أن يعطى للجندى المسرح أرضا زراعية على حدود الولايات أو فى مراكز الحدود Limos (الجند المسرحين Veterani) .

وينبغى أن نعرف أن اوغسطس لم يعد إلى مصادرة الأراضى التى منحت للجند بل انه حمل عليها بطريق الشراء فأنفق حوالى ٦٠٠ مليون سترات فى شرائها كما جاء فى وثيقته المعروفة ، وأدرك اوغسطس أن روما فى حاجة إلى جيش دائم منظم حسن التدريب وفى الوقت نفسه لايكون هو صاحب آخر كلمة فى شئون روما السياسية وإنما يجب أن يمثل محايدا فى مثل هذه الأمور . وقد أدرك قيصر وانطونيوس أهمية هذا الأمر وحاولا جاهدين تفادى خطر تدخل الجيش فى سياسة روما وذلك بأن يضاف إلى المواطنين الرومان جند سكان الامبراطورية ، وفعلا أدخلا فى فرق الجيش الرومانى (Legio) + Leyunos كثيرا من رعايا الولايات ولكن لم يكن فى استطاعة اوغسطس أن يسلك هذا الطريق، فاذن يجب أن يحمى الامبراطورية جيش قوامه المواطنون الرومان ، ومع هذا كان اوغسطس تغلب على الموقف الذى ورثه بحكم الأمر الواقع مثلا فى ٦٣ ق . م . كان الجندى المواطن الرومانى يخدم فى الفرقة ستة عشر عاما ، وفى ٥٢ ق . م . ارتفعت

مدة الخدمة إلى ٢٥ سنة وبعد هذه الفترة لم يكن كل جندى يمنح شهادة بتسريحه سراحا مشرفا .

وكان من الصعب أن يغرى اوغسطس المواطنين الرومان Honosta Missio الدخول فى مراتب الجيش ، فى الوقت نفسه كان يريد الاحتفاظ بالمقاتلين الذين اكتسبوا خبرة واسعة فى حروب الجمهورية ، وعليه فى الوقت نفسه أن يزود الجند المسرحين بالمال أو الأرض ولم يكن عنده من الموارد ما يسمح بذلك باستثناء موارد مصر التى مكنته من شراء الأراضى التى أشرنا إليها ٢٩ ق . م . لذلك اضطر اوغسطس كما اضطر خلفاؤه إلى أن يبقوا فى الخدمة الذين انتهت مدد خدمتهم . كذلك وجد اوغسطس نفسه مرغما أن يتبع طريقة انطونيوس وخاصة فى الولايات الشرقية فى تجنيد أبناء هذه الولايات مع إدخالهم فى الفرق الرومانية . واحتفظ اوغسطس بحقه فى إصدار الأمر بتجنيد كل مواطن تجنيدا اجباريا للخدمة فى الفرق ، وإن كان فى الواقع لم يستخدم اوغسطس أو خلفاؤه هذا الحق إلا فى وقت الأزمات .

وعمل اوغسطس على ألا تعسكر الفرق الرومانية فى ايطاليا نفسها ، ولكن كان يبعث بها إلى حيث ينشب القتال أو إلى مواطن الخطر فى بلاد الغال وأسبانيا والدانوب وسوريا ومصر وأفريقيا . وكان الجنود يعيشون كما لو كانوا فى حالة غزو أى فى معسكرات محصنة ، ولكن هذه المستعمرات التى أقيمت لمواجهة ظروف مؤقتة تحولت إلى أن تكون معسكرات دائمة ، ولم يكن اوغسطس ليخص ولاية بعينها بفرق معينة بل كان من الممكن أن تنتقل الفرق من ولاية إلى أخرى حسب الحاجة ، لذلك لم يكن يسمح للجندى بالزواج ، وهذا يتعارض مع القوانين التى أصدرها اوغسطس والتى نصت على أنه من واجب كل مواطن رومانى أن يتزوج وأن يعول اسرته .

اصلاحات اوغسطس العسكرية :

نظام الجيش

وكان لايزال هناك نظام الوحدات العسكرية (Cemturiomos) وهؤلاء يمثلون العسكرية الرومانية بكل ما فيها من الطاعة والعمل بقيم عسكرية متعاونة مع القيادة . ولأسباب سياسية فإن جنود هذه الوحدات لم يرتبطوا بالفرق برابطة بل كان من الجائز إلحاقهم بهذه الفرقة أو تلكل حسب الضرورة ، وكان من الممكن قبل عصر اوغسطس أن يرقى الجندى فى هذه الوحدات إلى مرتبة الشيوخ أو الفرسان ولكن اوغسطس لم ير الأخذ بهذا التقليد ، وفى الواقع كان الضباط يختارون من الطبقات الممتازة وكان قادة الفرق المسمون ليجاتى Legati ينتمون إلى طبقة الشيوخ ، وكانوا أحيانا يشغلون وظيفة الكوايستور (القائم على الشئون المالية فى الجيش) أو وظيفة البرايتور ، وكان لايسمح لهم بشغل وظائفهم لمدة طويلة ، وكان يعهد بالسلطة العسكرية العليا فى الولايات التابعة للامبراطور لهؤلاء القادة (الليجاتى) أما الولايات التابعة لمجلس الشيوخ فكان صاحب السلطة العليا هو البروقنصل ، ونادرا ما كانت مدة البروقنصل تزيد عن سنة ونظم للضباط يرمز الوحدات الخاصة Camtntnrienos وانجند بنظام تدريبى معين قبل إلحاقهم بخدمة الجيش العامل وقد أدخل الامبراطور اوغسطس نوعا من التغيير على النظام العسكرى ، ويقضى هذا التعديل بأن أبناء الشيوخ والفرسان يتحتم عليهم اجتياز فترة من الدراسة العسكرية فى روما وينتظمون فى تشكيلات خاصة يرأسهم رئيس فخرى يحمل لقب رئيس الشباب Princepas iuvantutis وفى الغالب يبدو أن هذا الرئيس كان ولى العهد ، فمثلا كان كل من جايوس ولوكيوس وهما حفيدا اوغسطس من ابنته جوليا وزوجها اجريبا Agrippa أول من حمل هذا اللقب وكانا مرشحين للعرش الامبراطورى وكان للمدن الايطالية الأخرى نظم مشابهة تهدف إلى جمع شباب المدينة فى تنظيم واحد أو فى هيئة واحدة .

واستحدث الامبراطور اوغسطس نظام الحرس الخاص لشخصه (كوهورس بريتوريا) الحرس البريتورى . ولما كان القائد الأعلى هو فى الوقت نفسه رئيس الدولة يقيم فى روما اقامة دائمة فكان من الطبيعى أن يكون لحراسه ثكنات خاصة فى روما بالرغم من أن وجود قائد الجيش فى روما فى حد ذاته يعتبر أمرا منافيا للدستور . وتطلب الموقف أن يكون هناك تسع (٩) كتائب زيدت فيما بعد إلى عشر (١٠) يقوم جنودها بالخدمة العسكرية لمدة ١٢ سنة أصبحت بعد ذلك ستة عشر (١٦) عاما . وكان ضباط الكتائب هذه ينتمون إلى طبقة الفرسان وبذلك أصبح فى المدينو نوعان من الوحدات العسكرية : الحرس البريتورى ، وهذه الكتائب العشر . وخصص للمدينة للقيام بعمل البوليس ثلاثة كتائب يجند جنودها من المواطنين ، وكان هناك أيضا سبع (٧) كتائب من رجال المطافئ ويسمح للمحررين من العبيد بالانضمام إليها ، ويختار لقيادة البوليس ولقيادة المطافئ ضباط من بينهم .

ثم اخيرا هناك حرس القصر من الجرمان ، ولم يكن جنود هذا الحرس من بين جنود الجيش النظاميين بل كانوا يتبعون القصر رأسا ، أى أن صلتهم بالامبراطور كانت صلة شخصية . واستحدث اوغسطس أيضا نظاما عسكريا لانستطيع القول بأنه كان جديدا لأن مجلس الشيوخ الرومانى كان يأخذ بهذا النظام فى أوقات الخطر فى أيام الجمهورية .

هذا النظام هو إعداد جيش ثان من سكان الولايات فقط ويتكون من فرق الفرسان وفرق المشاه ، ويقود الفرقة فى هذا الجيش ضابط رومانى من طبقة الفرسان ، وبعد أن يقضى الجندى من أهل الولايات خمسة وعشرين عاما فى خدمة هذه الفرق يكون من حقه عند تسريحه أن ينال حقوق المواطنة الرومانية .

وقد لايشترط تسريحه من خدمة الجيش فيكتسب الحقوق الرومانية بصفة تلقائية بعد قضائه المدة المذكورة .

وتكوين هذا الجيش من مواطنى الولايات إشعار بأن روما أصبحت الآن امبراطورية يتعاون فى حمايتها جند من المواطنين والايطاليين وجند من أهل الولايات .

وإن كان جيش الولايات أقل فى المكانة من الجيش الرومانى وكانت كتائبه تعرف باسم اوجزيليا (Auxilia) (الفرق المساعدة) ولحق بالفرق الرومانية (ليجيوم Ligium) ويبدو أن انشاء الفرق المساعدة كان يهدف أيضا إلى جانب إشراك أهل الولايات فى الدفاع عن الامبراطورية إلى تخفيض عبء الخدمة العسكرية عن المواطنين الرومان .

لذلك جرت العادة فى عهد الامبراطورية أن نصل إلى روما فرق مساعدة يبعث بها من وقت لآخر حكام الولايات وذلك لتدعيم الجيش الرومانى .

وعلى النحو الذى أصبح فيه جيش دائم أصبح هناك أيضا اسطول ، فكانت عمارة بحرية ترسو فى ميزنيوم Misanium فى جنوب ايطاليا وترسو عمارة بحرية أخرى فى ميناء رافينا Ravenna على بحر الادرياتيك ، وكان بحارة الاسطول فى أول الأمر يختارون من عبيد الامبراطور ثم أصبحوا يختارون من الطبقات الدنيا من المواطنين الرومان أو من الذين حرروا من الرق أو من سكان الولايات .

وكان ضباط الاسطول من طبقة الفرسان ، ولم يكن الاسطول كبيرا كما يتبادر إلى الذهن ذلك لأن عدد البحارة والجند والمندقين لايتجاوز عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) رجل وكانت السفن صغيرة وخفيفة لأنها تستخدم أساسا فى مطاردة القراصنة وحراسة سواحل ايطاليا .

أهم ما أدخل اوغسطس على النظام العسكرى الجمهورى أنه سحب نهائيا كافة الأمور المتعلقة بالجيش من مجلس الشيوخ ومن غيره من المجالس ، كما أن المسائل العسكرية لم تعد من اختصاص الموظفين السنويين (أى القناصل والبراترة) وإنما تركزت كلها فى يد الامبراطور ، ولما كانت لاوغسطس سلطة القيادة العليا على الجيش

الرومانى حتى فى الولايات التابعة لمجلس الشيوخ ، ولما كان يقوم على حراسة الحرس البريتورى فإن كل ذلك يعنى أنه قد تحققت له السيطرة الكاملة على كافة القوات الامبراطورية .

وكان مجلس الشيوخ قد منح اوغسطس السلطات البروقنصلية لمدة عشر (١٠) سنوات ابتداء من ٢٧ ق . م . ليحكم بمقتضاها الولايات التى كان أعداء الامبراطورية يرابطون على حدودها ، وقد جددت هذه المدة لخمس أو لعشر سنوات أخرى جديدة ، وهذا مكنه دون شك من أن يسيطر على كل صغيرة وكبيرة فى الجيش الرومانى فهو الذى يعين القادة فى الولايات الامبراطورية وقادة الفرق وقادة الفرق لمساعدة والترابنة العسكريين والقادة (برايفكتوس Praefectus) الذى يقود قوة الفرسان وكل هؤلاء القادة كانوا من طبقة الشيوخ أو من طبقة الفرسان . ومنح اوغسطس وحده الحق فى إقرار توزيع الفرق بين الولايات وتوزيع الاختصاصات العسكرية والمدنية ، وهو الذى يتولى دفع مرتبات الجند ويحدد معاشاتهم ، ونظام المعاش فى الجيش استحدثه اوغسطس .

ولهذا الغرض أقام خزانة خاصة باسم Aerarium Militarae ايرازيوم ميليتارى) وساهم الامبراطور فى هذه الخزانة بنصيب وافر من ثروته الشخصية ، وخصص لها أيضا جزء من الايراد العام للدولة . ويكاد اوغسطس فى هذه النظم التى استحدثها أن يكون شبيها بقيصر ، ولكن الفارق بينهما هو الفارق بين شخصية الرجلين وظروف العصر الذى عاش فيه كل منهما لأن اوغسطس كان أقل تحديا للتقاليد الرومانية من يوليوس قيصر .

ومع ذلك فكل الاجراءات التى اتخذها اوغسطس لم تحل المشكلة الأساسية التى تتمثل فى صعوبة إقامة نظام مضمون ودائم لتموين الجيش ونظام يضمن صلاحية الجند للحرب ، وصعوبة ابعاد الجند عن التدخل فى السياسة لأن هذا الجيش الدائم أصبح يضم جماعة من الذين أقبلوا على الخدمة العسكرية وهم يطمعون إلى تحقيق نوع من الكسب ، أو يتخذون من الخدمة العسكرية وسيلة لكسب العيش وكانوا يقضون معا فترة

طويلة فى الخدمة العسكرية ، وهذا قد يغريهم يوما ما بتكوين شبه اتحاد يضم هؤلاء المحاربين المحترفين الذى يستطيع أن ينعزل عن بقية الشعب ولايستطيع لن يقاوم كراهية الشعب له فقد قلل من قوتهم (الجند) وجود اعتبارات سياسية حالت دون تكوين هيئة من الضباط الذين أحسن تدريبهم ، وحتى إذا وجد هؤلاء الضباط فإنهم قد يفشلون فى إقامة نوع من الترابط أو العلاقة الوثيقة مع الجند ، وأخيرا لم يكن من السهل ضمان بقاء الجيش على الحياد فى المنازعات أو فى النواحى السياسية وكان من المفروض أن يكون للحرس الامبراطورى أهمية خاصة ، وأن يباشر سياسة قوية وأن يدرك الحرس أنه جزء لايتجزأ من كيان الامبراطور ، ومن الطبيعى بعد هذا كله أن يفطن الجيش والقوات لعسكرية على اختلاف أنواعها بما فى ذلك جند الولايات أن الامبراطور لايستطيع أن يفعل بدونهم شيئا وأن عليه أن يعتمد عليهم فى استيفاء كل السلطات فى يده .

المشاكل التى كان على اوغسطس أن يعالجها

الناحية المالية :

فهم اوغسطس المزايا التى توفرت فى ذلك ، مثلا أنه بعد الحرب الأهلية أصبح يعد من أغنى أغنياء الدولة وليس من الواضح لنا طبيعة المصادر التى تحصل منها على ثروته ، ذلك لأن الحد الفاصل بين الملكية الخاصة والملكية العامة لم يكن واضحا بالدرجة التى يمكن ملاحظتها بالنسبة لحالة أى زعيم من زعماء الانقلابات التى حدثت فى روما فى العصر الجمهورى . ولاشك أن ثروة اوغسطس الشخصية زادت بفضل تلك الأموال التى أوصى بها له نفر من أغنياء روما إما بدافع الحب الشخصى أو الاعجاب بمواهبه بأمل أن يحصل هؤلاء الأغنياء بما وهبوا اوغسطس من أموال على وثائق رسمية تثبت ملكيتهم المشكوك فى صحتها لأننا نعرف أن معظم وثائق التمليك فى فترة الحروب الأهلية وما بعدها لم تكن واضحة أو على الأقل لم ترق إلى مرتبة الملكية المشروعة للقانونية ، فأصحاب الأملاك وأصحاب رؤوس الأموال فى حاجة إلى تلك الوثائق القانونية التى تؤكد صحة أو شرعية ملكيتهم ، فإذا قبلنا الرأى القائل بأن مصر أصبحت ملكا خاصا للامبراطور فإن ذلك يوضح من ناحية أخرى كيف تكونت ثروة اوغسطس ، وإن كان اعتبار ولاية معينة ملكا خاصا لرئيس الدولة أمر يتعارض مع تقاليد روما ومع قواعد القانون الرومانى إلا أنها تتفق مع النظرية الهلينستيه التى بمقتضاها كانت مصر ملكية شخصية لملوك البطالمة . وعلى أى حال فإن مركز مصر لم يحدد تحديدا قانونيا دقيقا من وجهة نظر القانون الرومانى لأن مصر نظريا كانت احدى الولايات التى عهد بادارتها إلى اوغسطس وكان يقود فرق الجيش الرومانى التى أعطت اوغسطس هذا الحق قائدا من طبقة الفرسان الذى آلت إليه كل الحقوق الملكية باعتباره مفوضا من قبل الامبراطور شخصيا ، أو بمعنى أصح ان هذا القائد أو الحاكم أصبحت له حقوق البطالمة التى آلت إلى اوغسطس بحكم الفتح فهو بذلك

صاحب السلطة التى فوضه بها اوغسطس ، وطبيعى أن يجدد اوغسطس نفسه مالكا لثروة ضخمة فلابد وأن يجد وسيلة ما تجعله قادرا على التحكم فى شئون الامبراطورية من الناحية المالية . وأكثر من مرة استجاب اوغسطس لرجاء مجلس الشيوخ لينقذ الخزانة ، كما أنه تكفل بنفقات مبانى جديدة فى العاصمة ، وساهم فى تخفيض ثمن القمح بتوزيعه على فقراء المدينة ، وساهم فى معاشات الجند وشراء الأراضى وتوزيعها على المسرحين من هؤلاء الجنود ... الخ .

وليس من المحتمل أن الدولة أسهمت فى سد نفقات الولايات الامبراطورية لأن المفروض أن دخل هذه الولايات كافى لسد نفقات الجيش الرومانى ، وحتى إذا قصرت (موارد الولايات) عن سداد النفقات العامة فعلى الامبراطور أن يكمل النقص من جيبه الخاص ولهذا الأمر خطورته لأنه يعنى كف مجلس الشيوخ عن التدخل فى مالية الولايات الامبراطورية ومناقشة مواردها وميزانيتها مادامت الدولة لاتدفع أى نصيب من نفقاتها . وبذلك أصبحت خزائن هذه الولايات فروعا من خزانة الامبراطور الشخصية وعرفت هذه الخزانة الامبراطورية فى عهد خلفائه باسم حقيبة المال Fiscus وكان الذى يدير هذه الخزانة ويدير الأملاك الشخصية للامبراطور نفر من المخلصين من عبيده أو من المحررين منهم ، وكان هؤلاء يقومون باسم الامبراطور بجمع الضرائب من الولايات وإدارة أملاكه حتى فى الولايات التابعة لمجلس الشيوخ وكان وكلاؤه فى الولايات يسمون Precuratores المفوضين له أيضا عدد كبير من كاتمى أسراره المخلصين وهم الذين يتولون تحرير مراسلاته الخاصة والرسمية ، فلا عجب اذا ان يصبح الدور الذى يلعبه اوغسطس فى مالية الدولة على قدر كبير من الأهمية ولاعجب أيضا اذا رحب أعضاء مجلس الشيوخ بهذه الادارة المالية الامبراطورية التى خففت عنهم عبء المسئوليات المالية الخطيرة ، وكذلك رحب الشيوخ أن يتكفل الامبراطور عن طريق خزانته الخاصة بتنظيم عملية تحصيل ضريبة التركات التى كانت من أبغض الضرائب إلى نفوس الرومان ، وبأن يقوم وكلاؤه بمراقبة الموظفين السابقين مثل الشاغلين لوظيفة البروقنصل والبرايتور والفرسان . وهو ما كان اوغسطس فى الواقع فى أواخر أيامه هو المدير الحقيقى

للامبراطورية الرومانية والمشرف الحريص على ممتلكاتها بحيث يمكن القول بأن ميزانية الامبراطورية كانت أيضا ميزانية سيد هذه الامبراطورية .

وهكذا يتبين أن عنصرين وهما الجيش والمالية كانا الدعامتين اللتين قامت عليهما السلطة الشخصية لاوغسطس ، أضف إلى ذلك أن هذا الرخاء العاد الذى ساد أنحاء الامبراطورية نتيجة للسلام الرومانى لاوغسطس Pax Romana وذلك الرضا الذى كسبه اوغسطس من كافة سكان روما وأهل الولايات نتيجة لتنظيم عملية جباية الضرائب ، وقد رضى عن هذه السياسة بصفة خاصة أهل الولايات لأن بلادهم أخذت تتطلع للعودة إلى انتعاشها القديم قبل أن تخضع لروما ، فلا ندهش إذا رأينا رجالا من الشرق فى وقت مبكر فى عام ٢٩ ق . م . يقدمون لاوغسطس الهبات المقدسة .

علاقة اوغسطس بمجلس الشيوخ (السناتو)

كان من الطبيعى أن يكون مجلس الشيوخ أقل الهيئات رضى عن اوغسطس (قبولا لنظامه) وذلك بالرغم من ان الامبراطور التزم مع المجلس سياسة معتدلة له وكان كريما فى معاملته لأعضائه إذا ما قيست أعماله بما فعله قيصر فقد أبقى للمجلس امتيازاته وزال المجلس صاحب السلطات العليا بالنسبة للصحفين وحرص اوغسطس أن يبقى له وضعه الممتاز فى مناقشة كل المسائل الهامة التى تهم الدولة وترك له مباشرة الحكم فى بعض الولايات ، فكان يعين حكاما فيها أعضاء مجلس بل ان اوغسطس تعمد أن يختار معظم حكام الولايات الامبراطورية من بينهم ، وكثيرا ما كان ينيب عنه فى الخارج والداخل بعض أعضاء الشيوخ فى المهام التى يعهد بها إليه مجلس الشيوخ . وكان من غير الممكن أن يتولى قيادة الفرق العسكرية قادة من غير طبقة الشيوخ ، وكان أبناء الشيوخ يبدأون حياتهم العسكرية ضباط ولاينزلون إلى مرتبة الجند ، وأعضاء طبقة الشيوخ لهم الحق فى شغل الوظائف العامة .... الخ . إلى آخر هذه

الامتيازات التى اكتسبوها فى العصر الجمهورى ، فالمجلس كان فى الأصل مجلسا استشاريا ثم تمكن من أن يفرض نفسه خلال العصر الجمهورى حتى أنه حول موظفى الدولة إلى هيئة تنفيذ ارادته . وكانت عضوية المجلس يسمح بها لمن قضى فترة معينة فى الخدمة العسكرية (الفرق العسكرية) فى وظيفة تريبون عسكرى أو كقائد لكتيبة من الفرسان فى الفرق المساعدة ، وكان فى إمكان من يشغلون الوظائف العامة ووصلوا إلى مرتبة القنصل أن يصبحوا أعضاء فى المجلس ذلك أن سلك الوظائف العامة يبدأ بوظيفة البرايتور فى سن ٢٥ ، وكانت القنصلية هى آخر مراحل هذا السلك . وكان الامبراطور قد اكتسب نفوذا كبيرا بالنسبة لتعيين الموظفين أو التوصية بتعيينهم Com. Nominatio وبذلك أصبح متدكما فى إعداد قوائم أعضاء مجلس الشيوخ بطريق غير مباشر ، واستغل الامبراطور حقه هذا فى التوصية بصفة خاصة بتعيين أشخاص معينين فى منصب القنصل ، ولكن كان إذا شاء يعين لهذين المنصبين أشخاصا قد لاتتوفر فيهم الشروط المعتادة لاكتساب عضوية الشيوخ .

وبالفعل نجح فى إدخال جماعة من الفرسان إلى طبقة الشيوخ (بهذه الطريقة) إلى جانب ذلك (التحكم فى الوظائف) فإن المجلس كان يعلم تماما أنه بالرغم من حقه فى مناقشة المسائل الكبرى إلا أن الرأى النهائى فيها لايكون رأيهم بل هو رأى الامبراطور ، ويكفى أن نقول استنادا لديوكاسيوس (المؤرخ) أن اوغسطس أوجد مجلسا خاصا المواطن الأول Cons. Principis وهذا المجلس كان يضم الامبراطور (المواطن الأول Pricipis والقنصل أو القناصل) والبرايتور والايديل (الأسواق العامة فى أوربا والكريستور وربما تريبون شعبى) و (١٥) شيخا ينتخبون بالقرعة وهذا المجلس مهمته بحث المسائل وتقديمها إلى مجلس الشيوخ ، فضلا عن أنه كان من حقه اقرار اجراءات معينة يكون لها صفة تنفيذية من الناحية القانونية على نحو ما كان لقرارات مجلس الشيوخ Senatus Consupae وهناك مشكلة خاصة متعلقة بمدة عضوية المجلس فقد قال ديوكاسيوس انها (ستة اشهر) ولكن يبدو أن عضوية بعض الأعضاء من غير القناصل كانت تسقط بعد هذه الفترة .

ولكن مع ذلك لم يكن اوغسطس ليسمح بأن يترك فى نفس أعضاء المجلس شعو
بالمرارة ، لذلك أعطى اوغسطس المجلس سلطات قضائية فكان مــن حقـه (المجلس) أ
يتحول إلى محكمة تنظر فى التهم الخطيرة التى قد توجه إلى حكام الولايات أو إلـى كبـا
الموظفين وخاصة فى قضايا ابتزاز الأموال .

ومن ناحية أخرى وجد مجلس الشيوخ أن الامبراطور قد نجح إلـى حد مـا فـى أ
يوجد للشعب الرومـانى وجودا سياسيا محسوسا عن طريق انتخاب الموظفين حتـى ا
الشعب كان لايختار إلا من يزكيه اوغسطس ، وكـان الامبراطور بتفويض خـاص مـ
هذا الشعب يتولـى مراجعة قائمـة أسماء الشيوخ ويبعد منها كل من يـراه غير جدي
بالعضوية .

وحسب رأى الامبراطور كـان يعين هذا العضو مـن أعضـاء مجلـس الشـيو
أو ذلك لقيادة فرقة من فرق الجيش ، أو يتولـى الحكم فـى أى ولايـة امبراطوريـة ، ب
أى ولاية تابعة لمجلس الشيوخ . وكـان الحاكم من طبقـة الشـيوخ يحس وهـو يمـارس
سلطاته كحـاكم للولايـة أنـه ليس حـر التصرف ، بل يشـعر أن هنـاك فـى رومـا مـ
يرقب عمله ، ولذلك كان يمارس سلطاته بكل حذر ، وحسبه ذلك المرتب الكبير الذ
يصرف له ، وعليه أن يتجنب أن يحاكم فى روما ، لأن القـاضى الحقيقى هـو اوغسـطس
نفسه .

وكان الاميراطور كريما سخيا فكثيرا ما كان يمد العون المالى للفقراء من أعضـا
المجلس، إذا كانوا مؤيدين له وأن يكون هو نفسه حريصا على كسب ولائهم ، وكـان مـ
مصلحة هؤلاء الفقراء إرضاء الامبراطور لأنه يجب أن يتوفر فيهم شرط النصاب المـالى
الذى يبلغ مليون سترات .

وهكذا نرى أن مجلس الشيوخ وطبقتهم كانا يعتمدان على الامبراطور وكان من مصلحتعم مسايرة هذه السيطرة الامبراطورية وما كان لهم أن يفعلوا ذلك لو لم يترك لهم امتيازاتهم القديمة ووضعهم الاجتماعى الذى انفردوا به منذ عصر الجمهورية .

موقف اوغسطس من طبقة الفرسان

كان الفرسان الطبقة التى حرصت على مساعدة اوغسطس ومؤازرته بكل طريقة ممكنة ، وكانت فى الواقع هى طبقة أغنياء الطبقة الوسطى من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال ، وقد خرجت من الحروب الأهلية أكثر قوة وأكثر ثراء رغم ضحايا الفرسان الذين سقطوا فى هذه الحروب وكان كثيرا منهم قد زجوا بأنفسهم فى الصراع الدموى بين زعماء وساسة روما ، وكان بعضهم فى خوف من الماضى البشع الذى يطاردهم ، واذلك عملوا على أن يربطوا مصيرهم باوغسطس حفظا على المكانة التى يلقوها بوصفهم فرعا من فروع الاوستقراطية الرومانية وقد كان منهم للمحلفين فى المحاكم وضباط للجيش والوكلاء الماليين للامبراطور ، وكان من بينهم قائد الشرطة الليلية والمطافئ الخاصة بمدينة روما Proef. Vigilium والمدير أو المشرف على تموين المدينة بالغلال Praef. annonae وقائد الحرس البريتورى الذى أصبحت له أهمية كبيرة بعد اوغسطس وخاصة فى فترة الديكتاتورية العسكرية فى القرن الثانى. وكان منهم أيضا حاكم مصر أو والى مصر Praef. Aeggpti ولكن اوغسطس لم يشأ أن يترك لهذه الطبقة أن تمارس نشاطها بدون وضع رقابة عليها ، فعمل على أن يحد من هذا النشاط تدريجيا فأفقدهم السيطرة على جمع الضرائب والتزام جباتها وكان يمنحهم بعض الامتيازات وأحيانا يسحبها منهم كلما رأى ذلك مناسبا وألزمهم بالخدمة العسكرية كضباط فى الجيش . وبصفة عامة نستطيع القول أن طبقة الفرسان كسبت فى عصر اوغسطس من الامتيازات أكثر من تلك التى فقدتها ، ويكفى القول أن اوغسطس كان حريصا على أن يبين بوضوح وجلاء مركز طبقة الفرسان القانونى والاجتماعى فى الامبراطورية وكان يستخدمهم فى شغل الوظائف المالية فى بعض الولايات مثل مصر وولايات الألب الحديثة

التنظيم وكان شرط الالتحاق بطبقة الفرسان يخضع لشروط معينة من أهمها أن يكون الفارس (عضو الطبقة) قد بلغ من العمر ١٨ سنة ، وأن يكون مواطنا رومانيا مقيما فى ايطاليا أو فى الولايات ، وأن يكون نصابه المالى ٤٠,٠٠٠ سترات .

موقف اوغسطس من الشعب الروماني

يتضح لكل من درس عصر الجمهورية أن العامة فى روما (عامة الشعب الرومانى) عانوا الكثير فى فترة الحروب الأهلية وسقط منهم الكثيرون ، وفقد كثيرون من أبنائها ما كان لهم من أملاك إما عن طريق مصادرتها ومنحها للجنود المسرحين ، أو لاضطرارهم التخلى عنها . وقد اضطر باقى الشعب الرومانى للتخلى عن أراضيهم لعدم إمكانهم منافسة أصحاب رؤوس الأموال أو الصمود أمام نظام المزارع الواسعة ، وتقبل الكثير منهم الأمر الواقع وعملوا على أن يوفقوا بين حياتهم تلك والظروف الجديدة التى عاشوا فى ظلها وجاء اوغسطس ليعطيهم أملا جديدا فلم يعمد مثل غيره من قادة روما وزعمائها فى العصر الجمهورى إلى مصادرة الأملاك وأخذها عنوة ، بل كان يشترى الأراضى ليعطيها للجند المسرحين كما سبق القول . وحمد العامة لاوغسطس فترة السلام التى تنفسوا فيها الصعداء وما عادوا يفكرون فى أخطار المستقبل ولاسيما وأن الدولة أوقفت عملية تجنيدهم وإن كانت فتحت أمامهم العمل فى الخدمة العسكرية . ولم تعد الفرق العسكرية تتجول فى ايطاليا وتفرض اقامتها على سكانها ، وشيئا فشيئا عادت الحياة إلى مجراها الطبيعى وانفتح باب المستقبل المشرق أمام سكان ايطاليا ، بل ان الأمن والطمأنينة والسلام كل ذلك تجاوز ايطاليا إلى الولايات التى أصبح من حق ارستقراطيتها بل والطبقات البرجوازية فيها أن تحصل على بعض حقوق المواطنة الرومانية بل والترقى إلى مرتبة الفرسان بقرار من الامبراطور أو عن طريق الخدمة العسكرية أو العمل فى الادارات البلدية Monicipic وقد وفقت الثروة على طبقة العبيد المعتقين التى عمل أفرادها بالتجارة

أو الصناعة وأصبح فى امكـانهم الالتحـاق بالخدمـة العسـكرية فـى الاسـطول أو فـى الجيـش وظهـر منهـم (العبيـد المحررين) طبقـة يمكـن أن نصفهـا بالارسـتقراطية وعرفت باسم Augustueo3 اوقسطية (ارستقراطية) وحتى طبقة النعـ (الرعـاع) البروليتاريا Prolitaria قد راضت نفسها على قبول حياتهم فى ظـل النظم الجديدة مـا دامت الدولـة تقدم لهم القمح ومـا دام اوغسطس وفر لهم العمل أو حتى لبعضهـم مع تسليتهم بالمسارح والملاعب . . . الخ ومنحهم بعض المال من حين إلى حين ، ولذلك لم يحدث بالنسبة لهم أى تغير يذكر ولم يعبأوا بفقدهم مـا كـان لهم من أهمية سياسية فى العصر الجمهورى ، تلك الأهمية التى أفسدت الحياة السياسية فى ذلك العصر .

نخلص من كل ذلك إلى القول بأن سلطة اوغسطس الحقيقية كانت تستند أساسا إلى الجيش وإلى تحكمه فى موارد الدولة وإلى شعبيته وإلى نجاحه فى تحديد علاقته بموظفى الدولة والشيوخ والفرسان بحيث أن حكمه لم يظهر العمل غير الدستورى وكان لايحب أن يسمع عن الدكتاتورية سواء أكانت لفترة محدودة أو لمدى الحياة فهو قد قبل لقب حارس القوانين وراعى الأخلاق ولكنه لم يقبل أن يوصف بأنه دكتاتور .

وأيا كانت السلطات الاستثنائية التى اتخذها لنفسه فقد تنازل عنها فى عامى ٢٨ ، ٢٧ ق . م . وهكذا أعاد الدستور إلى ما كان عليه قبل دكتاتورية قيصر وأعاد روما مرة أخرى من الناحية النظرية طبقا إلى حكم الموظفين ومجلس الشيوخ والمجالس الشعبية .

اوغسطس والمجتمع الرومانى

كان من اهم النتائج المؤسفة التى اسفر عنها الصراع السياسى فى روما والحروب الأهلية فى أواخر العصر الجمهورى من تدهور الأخلاق وتعرض كيان الأسرة للخطر ولم تعد (الفضائل الرومانية) تحتل مكانتها الأولى فى المجتمع الرومانى باعتباره مصدر فخر للمواطنين الرومان ولكن كانت فى رأى بعض المؤرخين الاغريق هى صاحبة الفضل فى أن تحتل روما بهذه السرعة الفائقة المركز السياسى الأول فى البحر الأبيض لذلك اهتم اوغسطس بأن يعيد لروما تشريعات اجتماعية وأخلاقية تبعث من جديد هذه الأخلاق الرومانية وأن يشجع على زواج المواطنين الرومان من الايطاليين وخاصة فى الطبقات العليا فى المجتمع وليؤكد رغبته فى أن يسود العنصر الايطالى فى شتى أنحاء الامبراطورية وذلك عن طريق زيادة نسبة الزواج بين الايطاليين وتشجيع زيادة النسل ولتحقيق هذه الغايات من ثلاثة قوانين :

القانون الأول :

المعروف باسم قانون يوليوس اهتم بمعالجة المحافظة على الأسرة بأن جعل (جريمة الزنا) يعاقب عليها بالنفى ومصادرة الملكية وأحيانا بإعدام الشخص الذى يرتكب هذه الجريمة فى حالة ضبطه متلبسا .

القانون الثانى :

يرتبط بقانون يوليوس والخاص (بتنظيم الزواج من الطبقات العليا) والذى ألحقه بقانون آخر فى عام ٩ ميلادية أمر بأن يكون الزواج متكافئا بين الطبقات مع تجنب ما أمكن تلك العقبات التى كانت تحول بين زواج بعض العناصر الرومانية من طبقة معينة . وكان يهم اوغسطس أن يقلل من حالات عدم الزواج بأن يفرض على بعض غير المتزوجين قيود معينة

فى حين يمنح بعض الامتيازات لمن يكثر نسله من المواطنين ، وقد هوجم اوغسطس باعتبار أن مثل هذه القوانين تعتبر تدخلا فى حياة الناس الخاصة ولكنه فى الواقع كان يريد الخير لمجتمعه الذى لم يعد على نسق المجتمع الرومانى الأول وقد طبق القانون على ابنته جوليا التى عرفت باستهتارها ولاكت الألسن سمعتها فأمر بنفيها من روما .

القانون الثالث :

إلى جانب ذلك أصدر قانونا يحد من الاسراف فى الحفلات أو الملبس أو حتى زخرفة المقابر ، وهذا القانون بالذات لقى أشد المقاومة فى مجتمع عرف بالثراء وحياة البذخ ، ثم ان اوغسطس فى القانون الذى شجع فيه على زيادة النسل كان يعفى السيدة التى تنجب أكثر من طفلين من جانب من الضرائب ويعطيها الحق فى أن تتصرف وحدها فى بعض المسائل القانونية بدون وصى وكذلك منح الأب الذى ينجب ثلاثة أولاد بعض الامتيازات فى ترشيحه فى الوظائف العامة وتفضيله عن الأعزب أو المتزوج الذى لم ينجب . ومن الناحية الدينية أدرك اوغسطس أنه لابد من إحياء التقاليد الدينية القديمة وإحياء المثل الدينية لأنها خير علاج لمجتمع تسرب إليه اليأس والشك ، لذلك اهتم اوغسطس بأن جعل الرومان على التأمل فى ماضيهم المثل فى تلك العبادات والمثل العليا المنبثقة على دينى سليم .

من هنا جاءت عبادة روما واوغسطس باعتبارها روما هى الأصل وباعتبار اوغسطس صاحب العبقرية التى بعثت من وحدة التالى إلى هذا الأمل الجديد الذى يعيش فيه الرومان حاضرهم ، وعموما كانت هذه التشريعات الاجتماعية والدينية إنما قصد بها تقويم الأخلاق والعودة بالمجتمع الرومانى إلى تماسكه القديم .

السياسة الخارجية لاوغسطس

اتبع اوغسطس سياسة خارجية معقولة عززت من مركز حكومته من أنه يوصف بأمير السلام إلا أنه أضاف إلى الامبراطورية الرومانية أكثر مما فعل أى قائد من قادة الجمهورية ولكن فتوحه تمت على أسس دفاعية وحسبما تدعو الضرورة إليها وفى هذا يختلف عن سابقيهإذ كان يهدف إلى أن يكون للامبراطورية حدود طبيعية يمكن الدفاع عنها بطريقة سهلة وفعالة وقد أفادت الامبراطورية من نظام توزيع الجيوش التى ترابط على الحدود حتى ولو لم تكن هذه الحدود مهددة بأى غزو خارجى لأن هذا النظام يضمن استقرار الأمن والسلام من ناحية ويهيئ الفرصة المناسبة من أجل تحقيق أى تطور اقتصادى للولايات ولايطاليا نفسها .

وإذا نظرنا إلى العمليات والحملات العسكرية التى خاضتها روما فى ظل الحكم الجديد لوجدنا أنها موزعة على عدة جهات :

أولا : الغرب (الحدود الغربية – الجهة الغربية)

خاضت الجمهورية الرومانية حربا طويلة مرهقة فى شبه جزيرة ايبريا واستمرت هذه الحرب قرنين من الزمن واستطاع اوغسطس أن يضع حدا لها بأن سيطرت القوات الرومانية على الجزء المستقل من اسبانيا حيث تركزت المقاومة فى المناطق الجبلية وحارب بنفسه هناك فى عام ٢٦ واتم اثنان من قواده وهما انتيستيوس Antistius وكاريسيوس Carisius اتمام مهمة اخضاع هذه المناطق فى عام ٢٥ ق . م . وقسمت اسبانيا (ايبريا) إلى ثلاث ولايات هى :

باتيسكا Batisca تاراكونتيس Tarracontisis لوزيتانيا Luisitania

وعهد إلى مجلس الشيوخ بحكم الولاية الأولى فى حين أنه خص نفسه بحكم الولايتين الثانية والثالثة ولعله كان محقا فى هذا الاجراء لأن حكم باتيكا كان أسهل بالنسبة إلى أنها ولاية اعتادت الأساليب والحياة الرومانية .

ثانيا : الشرق (الحدود الشمالية)

كان الموقف هناك أكثر تعقيدا على الحدود الشمالية حيث الغال ونقصد بالمنطقة الشرقية المنطقة الواقعة على نهرى الراين والدانوب والتى . حف بمقدونيا وولاية اليراكم (اللبريا) وقد خضعت غاليا خضوعا كاملا عندما تحقق لقوات الامبراطورية اخضاع مليس باسم Gallia Comate جاليا كوماتا (منطقة فرنسا وبلجيكا) وذلك فى الفترة ما بين عامى ٢٧ ، ١٣ ق . م .

وقسمت ولايات الغال إلى أربع ولايات هى :

١) جاليا ناريوننسيس Gallia Noraonensis وتتمثل المنطقة الممتدة من جنوب فرنسا المطلة على ساحل البحر المتوسط حتى جبال اللورانس فى اسبانيا منطقة الريفيرا الفرنسية (الساحل الجنوبى) وهذه عهد بحكمها إلى مجلس الشيوخ .
٢) جاليا اكويتانيا Gallia وتشمل جنوب فرنسا فيما يلى جبال شمال جبال البرانس .
٣) ولاية جاليا لوجدنسيس Gallia Lugdinosis بين بلجيكا وشمال فرنسا .
٤) بلجيكا Belgica

وهذه الولايات الثلاث الأخيرة يحكمها الامبراطور .

ولما اطمأن الامبراطور إلى جهة نهر الراين وجه اهتمامه إلى حدود الامبراطورية المشتركة مع القبائل الجرمانية فى الشمال وبمعنى آخر حان الوقت لأن تحسم الامبراطورية علاقاتها مع القبائل الجرمانية وليس من غير المحتمل أن يكون اوغسطس فكر فى أن يدمج جميع القبائل الجرمانية فى الدولة الرومانية ذلك لأن هذه القبائل أو على الأقل الكثير منها كانت تعيش حياة بدائية لم تمسها الحضارة الاغريقية الرومانية .

ومن غير المحتمل أيضا أن يكون اوغسطس قد فكر فى الاستيلاء على أراضيهم وغاباتهم ليضمها إلى الامبراطورية ولكن هدفه كان أكثر تواضعا إذا كان يهدف إلى أن يدخل فى الامبراطورية القبائل الجرمانية التى تقيم بالقرب من نهر الب Elbo وهؤلاء تأثروا تأثيرا واضحا بالحضارة الرومانية وأخذوا بعض أساليبها ومن ثم يستطيع اوغسطس إذا نجح فى هذا الهدف وإذا نجح إلى جانب ذلك فى إخضاع المنطقة الواقعة إلى الجنوب من نهر الدانوب والتى تقيم بها القبائل التراقية والكلية المتأثرة أيضا بالحضارة الرومانية فإن ذلك يعنى أنه يستطيع أن ينشئ خط حدود طبيعى قصير إلى أقصى حد من السهل الدفاع عنه وذلك الخط الذى يمتد من البحر الأسود إلى نهر الدانوب ومن نهر الب Elbo إلى بحر الشمال .

وقد بدأ اوغسطس فى غزو المناطق إلى الجنوب من نهر الدانوب الواقعة إلى الشرق من نهر الراين وكان غزو تلك المناطق يسير بطريقة سهلة إذ لم تصادف القوات الرومانية اية صعوبات أو عقبات ولذلك كان فى استطاعة خلفاء اوغسطس متابعة سياسته فى تلك المناطق بصفة منتظمة .

وفى عام ٢٥ إلى ٣٤ ق . م . قام اوغسطس عندما كان لايزال عضوا فى الحكومة الثلاثية بقيادة جيوش الدولة بنفسه وخاض حربا طاحنة ضد القبائل الاليرية Elliross واستطاع أن يكسب لروما شريطا من الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك بكل ما عليه من مدن اغريقية أو نصف اغريقية ومن ثم بدأ الاتصال بين هذه الأراضى الرومانية الجديدة وبين مواقع القبائل فى أعلى نهر الدانوب .

واتخذ اوغسطس من ساحل الليريا نقطة تقدم للبلقان وليحقق هدفه الذى قلنا انه يتلخص فى اخضاع مناطق الدانوب لسلطان روما وفى الفترة بين عامى ١٥ ، ١٣ ق . م نجح (تيريوس) ، (دروسوس) ولدى زوجة اوغسطس فى اخضاع مناطق جمال الالب وكان اوغسطس قد قاد بنفسه حملة عسكرية هناك فى عامى ٣٥ ، ٣٤ وقسمت هذه المناطق الى مناطق عسكرية ثم حولت فيما الى ولايات صغيرة يحكمها ممثلوا الامبراطور الشخصيون بروكيوراتورس Procuratores وبين عامى ٢٩ ، ٢٧ ق .م نجح حاكم ولاية مقدونيا فى أن يتقدم بحدود الامبراطورية الى نهر الدانوب بالقرب من مصبه وبذلك حمل القبائل التراقية على الخضوع لروما وباستمرار العمليات الحربية فى منطقة الدانوب الادنى اصبحت روما صاحبة الحماية على المدن الاغريقية على الساحل الغربى للبحر الاسود واوحدت ترابطا بين هذه المستعمرات وبين المستعمرات الاغريقية الواقعة على السواحل الشمالية لهذا البحر وكذلك اصبح لروما مركزا عسكريا فى مويزا Moesia .

أما فى جهة نهر الب فقد استمرت روما تتابع العمليات العسكرية لاخضاع المناطق الالمانية (الجرمانية) الواقعة جنوب نهر الب وكان يقود الحملات الرومانية درويس Drui الذى اقيم حاكما على بلاد الغال وعلى مناطق الراين وبدأت العمليات فى مرحلتها الحاسمة فى عام ١٢ ق . م وكانت موقفه الى حد كبير ولم يبدى الجرمان مقاومة تذكر ولم يكن قد تم بعد اخضاع كل مناطق نهر الالب بل أن العمليات العسكرية توقفت الى حين عندما سقط دروس فى عام ٩ ق . م من فوق صهوة جواده فلقى مصرعه .

وفى عام ٦ ق . م كانت العلاقات بين اوغسطس وربيبه تيبريوس قد شابها الجفاء والبرود مما جعل بيريوس يتخلى عن مناصبه فى جهة جرمانيا وتركت السلسة الخارجية فى مناطق الدانوب والراين فى يد الحكام الرومان المحليين ولوشكت روما أن تحقق نجاحا كاملا فى غزو جرمانيا (المانيا) فى جنوب نهر الب ولكن كان يقف حائلا دون تحقيق هذا النجاح وجعل الحدود بين نهر الالب ونهر الدانوب متصلة مملكة ماروبودس

Meropodus (منطقة بوهيميا) الحالية فى تشيكوسلوفاكيا وكانت مملكة على قدر كبير من القوة والمناعة واستمرت الاوضاع على هذا النحو حتى تحسنت العلاقات بين اوغسطس تيبريوس واعدت العدة ليقوم الاخير فى عام ٦ ميلادية بقيادة حملة ضخمة الامبراطورية فى الشمال وستكون هذه القبائل الجرمانية بهجاتها لحد الاسباب الهامة التى أدت الى أنهيار الامبراطورية فى القرن الثالث الميلادى ثم ستكون عاملا هاما من عوامل القضاء عليها فى النهاية .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى المناطق الشرقية من الامبراطورية الرومانية لوجدنا أن اوغسطس لم يتبع سياسة توسعية بل قنع بأن تثبيت دعائم الحكم الرومانى فى مصر وأرسل حملة بقيادة حاكمها جايوس بتروتيوس الى بلاد النوبه مكنته مّن أن يكون لروما مناطق عسكرية على حدود مصر الجنوبية وكذلك حلت حملة بقيادة جاليوس Gellus الى بلاد العرب السعيدة (اليمن) وهذه الحملة بالرغم من فشلها الا أنها استطاعت أن تمهد الطريق أمام التجارة الرومانية مع بلاد العرب والهند واليمن كما نجحت حملة بترونيوس الى تغلغل النشاط التجارى الرومانى الى اواسط افريقيا .

وعند الرومان فى ٢٠ ق .م معاهدة مع البرثيين اعترفت بمقتضاها بارثيا بان نهر الفرات هو الحد الفاصل بين امبراطوريتها والامبراطورية الرومانية كما اعترف البارثيون بحماية روما لمنطقة ارمينيا وقنع اوغسطس بأن يباشر فى ارمينيا نفوذا بطريق غير مباشر عن طريق الملوك المحليين الذين يرتقون المرض بتأييد من الرومان وقد نقى جايوس حفيد اوغسطس ووريثه مصرعه وهو يحاول أن يقيم واحدا من هؤلاء الملوك على عرش ارمنيا .

وفى آسيا الصغرى تابع اوغسطس سياسة سلفيه (بومبى) و (كراسوس) بان ابقى بعض المناطق تحت حكم ملوك تابعين لروما فى حين حول البعض الاخر مثل جلاتيه Glotia الى ولايات رومانية ولم يكن الاغسطس مضطرا الى شن حروب نظاميه هجومية وقائية ضد القبائل التى بالمناطق الداخلية من آسيا الصغرى فهذه العمليات ضد القبائل لا ترقى الى وصفها بأنها حرب نظامية .

أما فى شمال افريقيا فقد نظم اوغسطس شئون منطقة برقة وضمها الى جزيرة كريت وجعل منها ولاية واحدة كما أن ضم مملكة نوميديا (الجزائر) الى ولاية افريقيا البروقنصلية (تونس) وأقام ملك نوميديا السابق (يوبا الثانى) ملكاً على موريتانيا (المغرب) ولم يكن اهل الولايات يهتموا كثيراً بالسياسة الخارجية للإمبراطورية اذ حسبهم أن اوغسطس هيأ لهم فرص السلام والطمأنينه يعينهم من أمر هذه السياسة غير ذلك فركز الامبراطور فى يديه المسائل المتمثلة بالحروب الخارجية ونجح الى حد كبير واختفى خطر الغزو الأجنبى ولم تكن سياسته قائمة على ضم ليغزو من مكاسب الرومان العسكرية فى جهة الراين جهة نهر الب .

ويبدو أن الحظ أخذ يتخلى عن اوغسطس إذ ثارت قبائل بانيونيا جنوب الدانوب وانقضت على مؤخرة الجيوش الرومانية تؤيدها فى ذلك بعض قبائل الليريا وكان هجوم قبائل بانيونيا والليريا من العنف والشدة حتى أن روما أخذت تستعد لمواجهة غارة بربرية على اراضيها تذكر بغارات الغال على إيطاليا وعلى روما .

ولكن اوغسطس واجه الموقف بكل حزم وامر جميع القوات بالتوجه الى مناطق هذه القبائل بل أنه اضطر للمرة الاولى لإعلان التجنيد الإجبارى وفى الواقع كان تيبيوس ، بفضل هذه الإجراءات كما لمواجهة الموقف وقد انضم الى قيادته جرمانيكوس ابن اخيه دروس ونجح الرجلان بالفعل فى أن يعيدا السلام والأمن الى مناطق الدانوب ولكن ينبغى الا ننسى أن قبائل بانيونيا اوقعت خسائر فادحة بالرق الرومانية حتى أنه اصبح من الصعب على إيطاليا أن تمد الجيش الرومانى بعناصر ايطالية مقاتله ولم تكد الأحوال تهدأ فى الدانوب حتى حلت بالقوات الرومانية كارثة فى جهة الراين كانت تعتبر القاضية لكل احلام اوغسطس ولكل خططه فى الجهة الشمالية ذلك أنه فى عام ٩ م كانت الفرق الرومانية فاروس Varus تقوم بدورياتها العسكرية السنوية المعتاده لتعيد الطرق وتنشىء مزيداً من المعسكرات فقامت بعض القبائل الجرمانية التى كان يقودها ارمنيوس Arminus واصله امير جرمانى تلقى تدريبا عسكريا رومانيا بنصيب كمين للقوات الرومانية فى غاية تيوتوبورج Teutuburg ووقع فى الكمين فاروس Varus وكل قواته العسكرية المؤلفة من ثلاث فرق رومانية وعدد من الكتائب المساعدة او جزيليا وقتل

فاروس وقضى تماماً على جميع قواته وهكذا ذهبت سدى كل جهود اوغسطس فى جرمانيا وذهبت كل خطط دروسس المتسمه بالإثارة والصبر لإخضاعها ، وعندئذ أمر اوغسطس سحب القوات الرومانية من جهة نهر الب وامر بتركيز كل الجهود فى تحصين حدود الامبراطورية على نهر الراين بالرغم من أن الرومان كانوا يسيطرون تماماً على جهة نهر الدانوب .

وهذا الاجراء الذى بدى للمعاصرين كما لو كان اجراء مؤقتا اصبح عملاً دائماً وخطة اساسية فى كل خطط روما العسكرية حتى بعد عصر اوغسطس ولو كان اوغسطس يقدر أن هذا العمل أن يكون فى صالح الامبراطورية لفكر اكثر من مرة قبل أن يتخذ هذا الإجراء ذلك لأنه ترتب على التحصن وراء نهر الراين ترك القبائل الجرمانية تعيش بحرية تامة فى هذه المنطقة الحساسة بالنسبة لحدود ولايات جديدة فلامبراطورية رغبة منه فى توسع حدودها كما فعل قادة الجمهورية ولكنه اراد أن يضمن لروما وللولايات وخاصة المتطرف منها حياة هادئة بعيدة عن اخطار الحرب والغزو .

وبذلك ارتفعت سمعة اوغسطس بوصفه حارس الدولة المدافع عنها وصاحب الفضل فى تحقيق السلام الرومانى .

ادارة الولايات (نظام الحكم فى الولايات)

سياسة اوغسطس فى الولايات الأخرى :

كفل تقسيم الامبراطورية فى ٢٧ ق .م (الى ولايات امبراطورية واخر يديرها مجلس الشيوخ) الحماية السياسية لأوغسطس ولنظامه الجديد من طموح القناصل والقادة العسكرين ويتمثل تقلد اوغسطس للقب البروقنصل وتمتعه بسلطاته الواسعة استطاع أن يركز فى يديه الهيمنه على القوى العسكرية الأساسية للدولة وترتب على ذلك بطبيعة الحال هيمنة الامبراطورية على السياسة الخارجية للأمبراطورية وحقيقة كانت بعض

الفرق العسكرية يقودها فى الولايات التابعة للشيوخ فى كل من أفريقيا ومقدونيا و اللبريكوم) لليريا قادة يحملون لقب البروقنصل غير أن كان فى استطاعة الامبراطور (يتحكم فى هذه الولايات بفضل تمتعه بالسلطات الكبرى مايوس امبريوم Maius Ampevium) وفى داخل الولايات استمر اوغسطس فى ممارسة السياسة الرومانيه التقليدية فى دعم الطبقات التى يمتلك افرادها الأراضى الزراعية وغير الزراعية وفى احتضان الحكومات المحلية التى سمح لها بنوع من الإستقلال المحلى .

فى الوقت نفسه عمل اوغسطس على أن يحول دون استمرار مساوىء ادارة الولايات فى عصر الجمهورية ولا شك فى أن ابتزاز الأموال من سكان الولايات كان يشكل العيب الرئيسى فى عهد الجمهورية وكان من عيوب هذا العصر أيضاً أن مدة هذا الحكم لا تزيد عن سنة .

أما فى العصر الإمبراطورى أصبح الحاكم يتقاضى مرتبا كبيرا ثابتا وأصبحت الخدمة فى الولايات عملا مرضيا ومشرفا يضمن لصاحبه إذا اثبت كفاءته تقلد المراكز الكبرى فى الدولة .

وكان من الطبيعى أن تتحسن الأحوال بالنسبة لطريقة الحكم فى ولايات مجلس الشيوخ تبعاً لهذا التحسن فى ولايات الامبراطور (ارجع الى نقض قورينى الخاص بعلاقات الامبراطور بهذه الولايات التابعة لمجلس الشيوخ) وكان الامبراطور يحكم بمقتضى السلطات البروقنصلية . وكان يحكم أيضاً عن طريق الحكام الذين يعينهم فى الولايات الامبراطورية ويعرفون باسم (ليجاتى اوجستى بروبرايتور Legati Augusti Propraotore ليجاتوس مندوب - مبعوث - قائد الليجريوم مبعثوا اوغسطس الذين يحملون لقب بروبو يتورى (بريتوريس سابقين) . وذلك بصرف النظر عن الوظائف التى كانوا يشغلوها فى روما .

أما حكام الولايات التابعة لمجلس الشيوخ فكانوا يحملون لقب (بروقنصل) أيا كان المنصب الذى يشغلونه فى روما .

وقد جرت العادة على الا يرسل الى آسيا أو افريقيا الا القناصل السابقين فقط ومع ذلك فأنه بالرغم من اللقب السامى الذى يحملونه الا أنهم كانوا أقل فى المكانة من حكام

الولايات الامبراطورية ألا أن هؤلاء الحكام كانوا يشرفون على قيادة الجيش على عكس حكام ولايات الشيوخ وكان حكام الولايات يشرفون على معظم جوانب الحياة والنظم الإدارية ويتمتعون بإختصاصات قضائية فى القضايا المدنية كما كانوا يفعلون فى القضايا الجنائية إذا كان اطراف النزاع من الأجانب فقط (الأجانب = Porerrini مواطني Cives) ومن حق أهل الولايات أن يستأنفوا من أحكام حكام الولايات الامبراطورية أمام الامبراطور أما بالنسبة للولايات التابعة لمجلس الشيوخ فأن حق الاستئناف يرفع إلى مجلس الشيوخ او الامبراطور (راجع النص) الخاص بقرارات اوغسطس لمدينة قوريني

مشكلة وراثة العرش ونهاية اوغسطس

كان اوغسطس يستمد سلطاته (بوصفه المواطن الأول) من مجلس الشيوخ ومن الشعب الرومانى أيضاً وكان من الطبيعى أن يترك مهمة اختيار خلف له لهذا المجلس للشعب ولكنه لم يشأ ان يترك عرش الامبراطورية شاغراً حتى يتم هذا الاختيار فيعول على أن يكون خلفه واحدا من بيته يستطيع أن يرث سلطاته ولم ينجب اوغسطس ولداً من زوجاته الثلاثة كلوديا وسكيروبيوتا وليفا Livia وقد رزق من سكربيونيا هى (جوليا) Gulia وكان لزوجته ليفيا من زوجها الأول ولدان هما تبريوس دروسس وقد احب دروس وتبناه ولكنه مات فى مقتبل العمر وكان من المفروض ان يتبنى اوغسطس اخاه تبيريوس ولكنه فى الواقع لم يكن يحبه لعجرفته وإعتداده بنفسه وأن كان يحترمه لكفاءة وقدرته العسكرية الفائقة فى ادارة المعارك ووقع اختياره على ماركلوس ابن اخته كتافيا ليكون ولياً للعهد بالرغم من حداثة سنه.

وما زال اوغسطس بأخته اوكتافيا حتى جعلها تضغط على ابنها ليطلق زوجته ويتزوج من جوليا ابنة اغسطس من سكربيونيا ولكن ماركلوس توفى هو الآخر بعد سنتين .

وما لبث اوغسطس أن تبنى اجريبا ساعده الايمن وصاحب الفضل فى انشاء الأسطول الرومانى وفى كسب موقعة اكتيوم .. الخ وقد منحه فى ١٨ ق.م سلطة الامبريوم البروقنصلية وسلطة التربيونية لمدة خمس سنوات وكان قد اشركه معه فى تطهير مجلس الشيوخ فى ٢٧ ق.م

وقد نسب الى اجريبا أنه زود روما بالماء الجارى والحمامات وهياكل الربه (فينوس Venus) والاله مارس Mars كما انه أنشأ الكثير من المبانى وشق الطريق والاهم من ذلك أنه رسم المعالم الرومانى خريطة ملونة نقشها على المرمر (هذه الخريطه لها أهمية فى تحديد مناطق الآثار الرومانية ولكنه هو الآخر ما لبث أن مات فى ١٢ ق.م ولم يتجاوز من ٥٠ سنة بعد أن انجب من جوليا gulin خمسة ابناء لذلك لم يجد الامبراطور بداً من الاتجاه الى تيبيوس

ابن ليفيا Livia فحمله على الطلاق من زوجته بنت اجريبا وزوجـة من جوليا gulin فـى ٩ ق م وكانت جوليا بعـد وفـاة اجريبـا قد مضـت سـائرة وقطعت شـوطا بعيدا فـى الابتذال والاستهتار فأصبحت موقع نقد وتجريح فى المجتمع الرومانى ولسم تقم وزنا لسمعة ابيها ولـم تحـترم قوانينه ولم يشأ تيريوس وكان على يقين من خيانتها ان يقيم عليها دعوى الزنى بمقتضى قانون يوليوس لانه كان يأمل هو وامه ان يتبناه اوغسطس ولكنه لما ايقن ان الامبراطور سيفضل عليه حتما

حفيدته جايوس قيصر ، لوكيوس قيصر (من جوليا وزوجها اجريا) اعتزل (تيبريوس) مناصبه العامة ورحل الى رودس وتفرغ لدراسة الفلسفة والتنجيم .

وما لبث اوغسطس ان امر بنفى جوليا لما هدده اصدقاء بتيريوس بـأنهم سيقيمون الدعوى باسم الزوج المخدوع لأن القانون ينص كما مر بنا انه فى حالة عدم تقدم الزوج بالدعوه فان الاب ملزم باقامتها والا اصبح من حق اى مواطن رومانى اقامتها .

وفى ٥ ق .م بلغ جايوس قيصر من الخامسة عشر واحتفل فى روما وفى الولايات بارتدائه مـا يسمى بعينـاءة الرجولـة toge Virilis وكذلك بلـغ اخـوه هذه السن فـى ٢ ق .م ومنحهما اوغسطس لقب زعيم الشباب Princeps Iuve nbutis ومن حق حامل هذا اللقب أن يصبح رئيسا لطبقة الفرسان .

وكان هدف اوغسطس هذا تجنب مرور حفيدته بكـل الوظـائف العامـه ولكـن فـى ٢ ميلادية مات لوكيوس وهو فى طريقه الى أسبانيا وفى ٤٠ ق .م مات جايوس متأثرا بجراحة عند حضارة لاحدى القلاع فى ارمينيا كما مربنا .

وهكذا وجد اوغسطس نفسه وحيـدا لا وريث لـه فـى الوقت الـذى سـاءت فيـه الاحـوال فـى جرمانيا وبانونيا وبلاد غاله فاضطر الى استدعاء تبريوس وتبنيه واشراكه فى الحكم : ومنحه السلطة التربيونية وجعله يتبنى بدوره جرمانيكوس ابن اخيه دروسـوس وزوج جرمـانيكو اجريبنا الابنه الصغرى لجوليا واجريبا وفى يوم ١٩ اغسطس ٢٤ م مات اوغسطس فى مدينة نولا Nola فى كمبانيا من العمر ٧٦ سنة وكان تلك السنة قد اجـرى احصـاء لسكان الامبراطوريـة كمـا أنـه سجل اعماله المجيدة فى وثيقة .

اعتاد بعض المؤرخين ان يطلق على فترة القرن ونصف قرن التى تلت وفاة اوغسطس حتى عصر الامبراطور ماركوس اوربليوس اى من ١٤ الى ١٩٢ اسم فترة السلم الرومانيـة ذلك لان عهد ماركوس اوربليوس شهد اغارات القبائل المتبربرة على حدود الامبراطوريـة وهـذا الوصف قد يكون غير دقين تماما على أى حال نتيجة للدعاية لنظام الامبراطوريـة مـن ذلك مـا كتبـه احد الكتاب وهو ابكتيتوس Epictetus من سنة ٢٠ الى ١٢١ عاما الامبراطورية لمدها بالسلام فلم تعد هناك حروب او موانى او عمال القرصنة بل فى استطاعتها أن ترحل عبر الطرق او تبحر فى من شروق الشمس الى مغربها وكتب المؤرخ الحديث جيبون Giobon اذا كان على الاسس ان

يكتب عن الفترة التى تمتع فيها الجنس البشرى بأقصى حد من السعاده والرخاء فأنه به ادى تردد ستحدث عن الفترة التى تلت وفاة الامبراطور ومتيانوس حتى توليه الامبراطور كرمودوس Cormodus ولكن يجب أن نذكر ان السلام الرومانى أنما كان يستند الى قوة الجيوش الرومانية والى ما يمكن ان تقدمه الشعوب المغلوبة على امرها لروما فهذه الفترة فى نظر بعض الدارسين انما فترة استغلال الشعوب المغلوبة فى حماية الحراب الرومانية دون أن يكون هناك مكان للحديث عن الحضارة الرومانية بالنسبة لهذه الشعوب .

ولا شك فى أن اوغسطس ارسى قواعد حكومة المواطن ولا شك ايضا فى أن هذه الحكومة قد احدثت تغييرا عميقا فى التاريخ السياسى لروما فلم يعد من الممكن استمرار السياسة التى اعتاد الرومان لها اثناء حكم الجمهورية ففى ظل النظام الجديد لا محل للأحزاب المتنافسة ولا محل للساسة من ذوى البرامج السياسية المتعارضة لذلك فان التاريخ السياسى لروما فى عهد الامبراطورضاق حتى اوشك ان يكون تاريخا للعلاقات الخارجية بين روما وغيرها من الامم والشعوب واصبحت الحوادث التى تجرى فى العاصمة من حيث انها كانت نتيجة لسعى مساعدى المواطن الأول وموظفيه لتحقيق الغاية فى المجالس ... اصبحت هذه الحوادث هى موضوع التاريخ الرومانى وبالرغم من أن الوقت لم يحن بعد للقول بأن ارادة المواطن الأول هى القانون الا أننا لا نشك فى أن هذا المواطن الأول نجح فى التحكم فى سياسة الدولة واضفى على قوانينها من شخصيته .

ولذلك فأن شخصية الحاكم كانت مسألة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للأمبراطورية ككل ولها تأثير كبير على رخاء الرومان واهل الولايات ومن أجل ذلك لا ندهش ونحن نقرأ لمؤرخى عصر حكومة المواطن الأول اذا رأيناهم يركزن اهتمامهم على العلاقات الشخصية للأباطرة مع اسرهم وموظفيهم ومجلس الشيوخ والحروب التى يخوضونها متجاهلين التطورات الهامة التى حدثت فى النظم الإدارية فى القانون والدين والمجتمع والحياة الاقتصادية هذه التطورات التى كانت تبدو وبطيئة لاتلفت النظر ولا تجذب الاهتمام .

بعد وفاة اوغسطس نشأت مشكلتان على جانب كبير من الأهمية ويجب الفصل فيهما : -

أولاً : هل ينبغى أن يستمر نظام حكومة المواطن الأول . هذه مسألة ؟
ثانياً : اذا كان الرد بالإيجاب من هو المواطن الأول الجديد الذى سيخلفه ؟

كان اوغسطس ابنا بالتبنى هو (تيبريوس يوليوس قيصر) وكان تيبروس بحكم سنه وخبرته وقيامه بالفعل بممارسة سلطات عسكرية وإدارية المرشح المرتقب لرئاسة الحكومة وفعلاً بمقتضى البروقنصلية بعث برسله الى الجيوش الرومانية ليعلن وفاة اوغسطس وكان بحكم مولده واحداً من عشيرة كلوديوس وكان بحكم التبنى واحدا من عشيرة يوليوس فهو بذلك يمثل اتحادا بين هاتين العشيرتين العريقتين وسنرى انه من فرع كلوديوس سيرتقى اربعة عرش الامبراطورية واذا اردنا ان نحلل شخصيته لامكننا ان نعرف الكثير عن الفترة المبكرة من حياته عندما خدم اوغسطس بكل اخلاص وحارب كقائد عرف لحكمته وبعد النظر ولكنه لم يلق الا اقل اجر على عمله ونعرف ان زواجه من جوليا العابثة والذى فهم منه تيبريوس أن الغرض منه هو ان يكون وصيا على حفيدى اوغسطس من اجريما ثم سلوك جوليا المشين كان صدم تيبويوس ووضعا حدا لصبره فتخلى فجأة عن مسئوليته فى الاضطلاع وفى سن السادسة والثلاثين وقد تملكه شعور من الإشمئزاز والمراره فاختار حياة العزله فى جزيرة بقى ثمان سنوات دارسا ومتأملا واستطاع ان يتابع دراساته فى الادب والفلسفة حتى انه ليعد من القلائل الذين جمعوا اقدم ما فى حضارتين الإغريقية والرومانية وكان شغوفاً بالرسم والنحت واتخذ مكانه من الشعراء وعلماء الرياضة واهديت له المؤلفات والأشعار ووقع تحت تأثير اسيللوس Thrasyilus الذى جمع بين دراسة الفلك والفلسفة وتعرف ان حفيدى اوغسطس لبثا ان ماتا فاقدم الامبراطور على تبنيه والزمه فى الوقت نفسه يتبنى جرمانيكوس ابن دروسوس Drusus وشقيق تيبريوس وكان على تيبريوس بعد ذلك ان يخوض حرباً استمرت ثمان سنوات فى المانيا وبانونيا حتى ٢١ اكتوبر من عام ١٢ م عندما عاد الى روما وسمح له اوغسطس ان يحتفل بالنصر الذى احرزه طوال هذه السنوات .

بعد وفاة اوغسطس كان تيبريوس قد بلغ سن الخامسة والخمسين شخصا بائسا متعبا وكان فى الوقت نفسه متحلى بصفات القائد فى الخبرة والكفاءة وعلى علم دقيق بما تحتاجه

الامبراطورية ولكنه لم يعتد مركز القيادة العليا اوالزعامة ذلك لقد كان يمارس سلطته بوصفه تابعا اومنفذ السياسة غيره (قيص) ٠

وبالرغم من أن تيبريوس كان قائدا حذرا ماهرا الا انه لم يكن يشعر بالاطمئنان وهو يتعامل مع مجلس الشيوخ او عندما ينزل الى خصم الحياه المدنية ليعيش كغيره من الناس كانت تلك السنوات الطوال التى قضاها يباشر سلطات بتوجهه شخص اقوى منه قد جعلت انسانا حيي خجولا كثير انتقد لنفسه فاذا طلب منه مواجهة موقف طارىء او ليفصل فى وضع لا سابقة له يتردد ولا يستطيع بسهولة ان يصدر قرارا حاسما وقد اتخذ لنفسه قله من الاصدقاء الذين وثق فيهم ثقة كبيرة وهم تراسلوس لنجدس Lengos وسيانوس Seian وكان فى صحبة غيرهم يبدو وتحفظا تنقصها اللباقة كما كان غير راغب فى أن يشارك فى بذخ النبلاء واسرافهم وعرف عنه القدرة على التحكم فى نفسه بدرجة يبدو فيها هذا التحكم عملا غير انسانى وغير محتمل وكان يشعر بانه غير محبوب على عكس جرمانكوس مثلا الشاب الوسيم الشجاع الذى كسب قلوب الرومان بصفات كان يفتقدها تيبريوس ولذلك كان موقف تيبريوس يبدو حرجا عندما بدأت الدوائر الحاكمة فى روما تفكر فى اختيار خليفة لاوغسطس كان أول عمل به هو الاعداد لجناز اوغسطس وضمان عودة الجهاز الحكومى للعمل ورفض مناقشة كل ما يتصل باختياره حاكما للأمبراطورية وتولى دعوة مجلس الشيوخ الى الانعقاد بوصفه متقلدا لسلطة التريبيونيه ولعل ثمة محاولات قد بذلت لاقناعه بقبول مركز القيادة فى الامبراطورية ولكنها كلها باءت بالفشل ونقرأ فى ديوكاسيوس ان الوصية التى كانت محفوظة لدى عذارى معبد فستا قد احضرت وفحصت اختامها ثم قرأت فى اجتماع مجلس الشيوخ ونصت الوصية على أن يرث تيبريوس ثلث تركة اغسطس وأن ترث ليفيا (زوجة الامبراطور الثلث الأخر كما أنه اوصى بمنح مالية لطائفة من الاشخاص الذين ارتبطوا به فى حياته من هؤلاء بعض الشيوخ وبعض الفرسان بل وبعض الملوك التابعين للامبراطورية وترك للشعب الرومانى مبلغ ٤٠ مليون ستريوس وترك مبالغ اخرى للحرس البيرتورى وقد استمع تيبريوس للجملة الافتتاحية للوصية والتى يقول فيها اوغسطس (حيث ان القدر القاصى قد حرمنى من ولدى جايوس ولوكيوس فليكن تيبريوس قيصر وريثى)

وبعد أيام احرق جثمان اوغسطس واطلق نسر ليلحق عاريا فى السماء رمزا لارتفاع اوغسطس ليحتل مكانه بين الخالدين ٠

ثم اجتمع مجلس الشيوخ فى ١٧ سبتمبر واعلن ان اوغسطس اصبح خالدا وعين للاشراف على عبادته جماعة من الكهنة وجعل من ليفيا التى أصبحت تدعى جوليا واوغسطس كاهنة لهذه العبادة الجديدة وسمح لها بأن يكون لها ليكتور (هو حامل عصبة الـ عندما تمارس مهام وظيفتها المقدسة .)

وبذلك أصبح أوغسطس يعرف باسم اوغسطس المؤله (دفيوس اوجستوس Divus Augustus) وقد مضى الان اربعة اسابيع على وفاة اوغسطس ولايزال منصب المواطن الأول شاغرا ولم يتحدد بعد شكل الحكومة الجديدة وكان اوغسطس قد منح تيبريوس السلطة البروقنصلية التى تساوى سلسلته هو وفى وصيته خلع عليه لقب اوغسطس فبرز تجاه بين اعضاء مجلس الشيوخ بانتخابه مواطنا أول تماشيا مع روح الوصية ، فأقسم القنصلان قسم الولاء لتيبريوس وجعل مجلس الشيوخ والفرسان والشعب يقسمون هذا القسم - قد لا تكون له دلالة دستوريه ولكن له تأثيرا ادبى كبير دون شك .

ومن ناحية اخرى كان تيبريوس قد عرفناه ذلك الشخص المتردد الذى لا يجرؤ على النهوض بالمسئولية بهذه السهولة يحرص على أن يختار مجلس الشيوخ والشعب الرومانى بحرية تامه وهذا ما حدث بالفعل بالرغم من أن تاكيتوس لا يعطينا تفصيلا لعملية اختيار تيبريوس مواطنا أول لذلك يفترض ان القنصلين تقدما الى مجلس الشيوخ بأقتراح مؤداه انه يجب اختيار تيبريوس برنكيس سنتاتوس P. senatus ليحل محله اوغسطس المؤله Divus Augustus مع حقه فى الاحتفاظ لمدى الحياة بسلطتى البروقنصل والتربيونيه ، وأن يفرض كافة السلطات التى تمكنه من حماية الدولة ، تلك السلطات التى كانت لأوغسطس من قبل وقد عارض تيبريوس هذا الاقتراح ثم بعد الحاح شديد قبل ان يكون الحاكم الجديد للإمبراطورية .

وكان تيبريوس يمثل بقايا الاخلاق الرومانية القديمة المتمثلة فى شدة الشعور بالمسئولية والنهوض بالواجب وكان يرى انه بالرغم من كل شىء يجب أن يكون الى جانب مجلس الشيوخ حاكم قوى تعلو سلطاته سلطة هذا المجلس ولذلك عندما قيل ان يكون امبراطورا اعرب عن امله فى أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه مجلس الشيوخ عندما تتقدم به السن ان يعفيه من منصبه ويمنحه الخلاص من المسئولية وليخلوا الى الراحة وقد ترك هذا التردد تأثيرا عميقا فى المعجبين به وفى الكارهين لشخصيته بالمعجبون اعربوا عن تقديرهم لتواضعه اما الاخرون فقد رأوا ان

تيبريوس يمثل مهزلة مخزية ويعدو نموذجا سيئا للنفاق والرياء ، أما مجلس الشيوخ نقـ فهم ..
تيبريوس انما ان ينصب سباكا لم يجرؤ على منافسته لمركز المواطن الأول ولذا فان علاقات
بينه وبين المجلس لم تكون علاقات طيبه .

سياسة تيبيريوس الداخلية والخارجية وعلاقته بمجلس الشيوخ

تابع تيبيريوس لسياسة اوغسطس والتقاليد التى وضعها لنظام الحكم فى الامبراطورية ولذلك فأن كل ما أصدره تيبيريوس من قرارات وما اتخذ من اجراءات تشهد بصدق على احترامه الضقيق للتقاليد الاوغسطسية .

وحقق تيبيريوس نجاحاً ملموساً استمر عددا من السنين وكل المصادر تتفق فى الاقرار بأن الفترة الاولى حتى سنة ٢٦ كانت فترة طيبة على عكس الفترة التالية لذلك العام عندما نسحب تيبيريوس من روما وترتب على ذلك نتائج خطيرة فهذه الفترة الاولى بالنسبة للسياسة الداخلية اظهرت قوة الوسائل التى اتبعها وكشفت فى الوقت نفسه عن نواحى الضعف فيها والاخلاص لمبادىء اوغسطس تعنى التعاون الصادق مع مجلس الشيوخ بأن هذا المجلس يجب أن يكون شريكا فى الحكم على نحو ما رسم اوغسطس ولا نزاع فى أن اعضاء الشيوخ اكتسبوا خبرة وتجربة عن طريق ادارة الولايات التابعة للمجلس .

وقد اضاف اوغسطس اليه ايضاً اختصاصات تشريعية وقضائية جديدة بالنسبة لإيطاليا وبالنسبة للولايات وكان المجلس يفصل فى القضايا الجنائية الهامة وخاصة اذا كان المتهم فيها شخصية كبيرة ذات نفوذ – وهكذا ازدادت أهمية مركز الشيوخ فى بداية عصر تيبيريوس وأصبح يزداد قوة يوم بعد يوم سيما وأن تيبيريوس حول الى المجلس سلطة انتخاب الموظفين بعد أن كان هذا الانتخاب من حق الجهة التربيونية (كوستيا كورنتريانا) وان كان بعض المؤرخين يرى أن تيبريوس لم يفعل غير تنفيذ ما كان اوغسطس قد قرره قبيل وفاته .

وعلى أى حال اصبح مجلس الشيوخ هو الهيئة الإنتخابية ذات الأهمية ولم يكن فى إمكان الشعب أن يرفع صوته لاحتجاج فى معظم الأحوال وكان تيبريوس مواظبا على حضور جلسات المجلس وكان يدخل الى قاعة الاجتماع متواضع تام وفى غير صحبة الحرس وكان ينهض لتحية القنصليين لافساح مكان له .

واذا كون لجنة لبحث اى مشكلة نأنه كان يضم اليها كثيراً من أعضاء المجلس أو يجعلها مقصورة على هؤلاء الأعضاء وعندما اراد ان يمنح ابنه دروسوس سلطة تربيونيه فى سن ٢٢ تقدم لمجلس الشيوخ يطلب منه الموافقة على هذا الإجراء وذلك جريا على سنة اوغسطس .

وقد أصدر المجلس فى السنوات الاولى من حكمه عدداً كبيراً من القرارات يتفق بعضها مع أراء الإمبراطور لو مع الإراء التى يميل اليها من ذلك مثلا تلك القرارات التى تقضى بإتخاذ عقوبات رادعة ضد محترفات البغاء من الطبقة العليا فى المجتمع اليونانى او تلك التى تعطى المتهم الذى ادين فى إحدى الجرائم مهلة عشرة أيام قبل تنفيذ العقوبة فيه .

وكانت تيبريوس يعطى لمجلس الشيوخ مكانتة اللائقة به مع إظهار إحترامه الكامل بشتى الوسائل وكان يستشيره حتى فى المسائل الصغيرة التى لم تكن لها أية أهمية مثل تجنيد الجنود او تسريحهم وهذا أمر لم يسبق لمجلس الشيوخ أن بحثه من قبل كل ذلك مع حرصه على اطلاق حرية الرأى والتعبير فكان لا يتصرع فى ابداء رأيه حتى لا يتأثر به المجلس وهو بسبب حث ى مسأله معروضة عليه .

كذلك كان يستشير المجلس فى المسائل الدينيه وكان غيورا على دين الدولة وكثير ما كان يعارض فى الأديان الأجنبية التى ازداد تسللها الى المجتمع الرومانى .

مثلا فى سنة ١٩ حدثت فضيحة تتصل بعبادة الربة المصرية ايزيس فأصدر أحكام بصلب كهنتها والتى قامت فى نهر التيرودور معبدها وأرغم اتباعها على حرق ملابسهم ومثال ذلك ن بعض اليهود احتالوا على سيدة رومانية فأستولوا على اموالها فأقنع مجلس الشيوخ بإصدار قرار بطرد اليهود من كل ايطاليا .

ولم يكن تيبريوس يبدى اهتماما كبيرا بالحفلات والمباريات لأنه كان يكره التبزير ولم يكن يحب الشعب ولما رفعت الشكاوى لمجلس الشيوخ من تصرف بعض الممثلين امر الامبراطور بطرد الممثلين من إيطاليا سنة ٢٣ وحدد عدد المصارعين الذين يسمح لهم بعرض العابهم وكذلك قلل من انتهاء المسارح الدائرية حتى ان المصارعين تظلموا من عدم اعطائهم الفرصة لإظهار قوتهم ومن الطبيعى ان كل هذه الأعمال لا تجعل منه شخصا محببا لدى الجماهير الرومانية .

وكان عليه ايضاً أن يواجه المشاكل التى ترتبت على تنفيذ قوانين اوغسطس خاصة بالتنظيمات الاجتماعية لأن اوغسطس كما نعرف كان حريصاً على أن يؤكد نقاء سكان ايطاليا الحرار مع مراعاة الفوارق الطبقية وعدم اغراق ايطاليا بالدم الأجنبى كما انه اهتم بمسألة العبيد المحررين .

ظهرت نتيجة لتطبيق هذه القوانين طائفة من المخبرين والذين كانت تصرف لهم مكافأة سخية واستفحل شر هذه الطائفة حتى ان الشعب اليونانى ضاق بهم زرعا وساد شعور بعدم طمأنينه فتدخل تيبريوس وأمر بتشكيل لجنة خاصة من أعضاء الشيوخ لوضع حد لمفاسد هذه الطائفة وادخال التعديلات المناسبة على القوانين والاجراءات المترتبة عليها وقصد الامبراطور أيضا معالجة المشاكل التى نتجت عن ظهور طبقة العبيد المحررين واحدث بضرورة اصدار تشريعات جديدة لتنظيم الأوضاع القانونية الخاصة بهذه الطائفة ذلك لأن العبد المحرر الذى لم يكن قد ولد حرا كان لا يطمع الى شغل الوظائف سواء فى البدايات ام فى روما ولكن طبقة العبيد المحررين كانت تمثل طائفة نشطه قادرة على ادارة الأعمال ويتحتم تشجيعها فأصبح من حق الأمبراطور منح أحد افراد هذه الطبقة قرارا بأنه ولد حرا .

ويصبح من حق هذا الشخص أن يلبس خاتما ذهبيا ولكن لما زاد عدد الذين حصلوا على هذا الحق وخاصة اولئك الذين اكتسبوه بوسائل غير قانونية اضطر مجلس الشيوخ ان يصدر قرار ليحدد عدد اولئك الذين من حقهم اتخاذ هذا الخاتم الذهبى وجعله قاصرا على اولئك الذين يستطيعون اثبات انهم ولدوا احرارا وان اجدادهم لمدة جيلين على الاقل كانوا احرارا وانهم يستوفون الشروط الواجب توافرها فى طبقة الفرسان - ولكن هذا القانون وهذا القرار لم يكن واضحا ووصف بأنه قرار جعى وبالفعل ادى الى مزيد من الاضطرابات ومن ثم اصدر فى العام التالى احد القنصليين قانون اسمه ليكس فيسلليا Lex. vicellia الذى ينص على منح حقوق المواطنة الرومانية لكل اولئك الذين حرروا بناء على قانون ليكس جونيا . هذا القانون ينسب لاوغسطس فينص على تحرير كل اولئك العبيد الذين فازوا بحريتهم بطريقة غير رسمية وكان وضعهم القانون يشبه وضع سكان المستعمرات اللاتينية ولذلك عرفوا باسم لاتينيتاس جونيانا L.goniena واشترط القانون الجديد ان يكون العبد المحرر بمقتضى قانون ليكس جونيا قد خدم فى جماعة الشرطة الليلية ورجال المطافى جماعة Vigilex لمدة ستة سنوات على الأقل من القانون ايضا على عدم الاعتراف لاى عبد محرر لا يستطيع ان يثبت انه حر المولد من مناصب الدولة ومناصب البلديات (ما لم يكن الامبراطور قد منحه حق اتخاذ الخاتم الذهبى) .

بهذه المسائل كان تيبريوس يعمل بانسجام تام مع مجلس الشيوخ وكان بالتزامه الحكمة والتروى والاعتدال مثلا طيبا للحاكم الذى يستطيع تجنب الوقوع فى الخطأ وكان ايضا حريصا

على تجنب اكتساب سلطات غير عادية او اتخاذ القاب او قبول اى تكريم وذلك ليستطيع ان يمضى بالدولة بكل سهولة ويسر فى ظل قوانين اوغسطس وتشريعاته ورفض ان يجدد له قسم الولاء كل عام وفى الفترة التى حكمها لم يشغل منصب القنصلية غير ثلاث مرات وكانت مدة قنصلية فى كل مرة لاتتجاوز نصف عام وكان يشغل هذه الوظيفة لتنفيذ اغراض معينه وهى تتعلق اصلا بمنح وريث او شريك له فى الحكم بعض سلطات :

وهذه المراحل الثلاث هى :

١ - فى سنة ١٨ بالنسبة لابن لخيه جرمانيكوس .
٢ - فى سنة ٢٩ بالنسبة لابنه هوتيبريوس (دروسوس) .
٣ - فى سنة ٣١ بالنسبة لمساعدة المفضل عنده سيجانوس .

وكان الامبراطور عند ممارسته سلطاته القضائية يدعو الى مشاركته النظر فى القضايا عددا من أصدقائه الذين يكونون مجلسا يسمى مجلس الامبراطور ولم يستخدم تيبريوس لقب الامبراطور كأسم اول له كما فعل اوغسطس ورفض لقب ابو الشعب (باتتيباترايای) ولم يسمح لغيره عبيده بمخاطبته بلقب المولى او السيد وقال (أنا دومنيوس " سيد ") لعبيدى والامبراطور لجنودى ونقيب لبقية الناس .

الشئون الخارجية على عهد الامبراطور تيبريوس:

صحب ارتقاء الامبراطور العرش حركتان خطيرتان :

أولهما : حركة عصيان قام بها الجيش الرومانى العسكرفى اليريكوم وكانت الاسباب التى ادت الى هذا العصيان تنحصر فى فشل الامبراطور فى ايجاد نظام لتسريح الجند الذين اكملوا مدة الخدمة العسكرية وترجع اينما الى قوة الخدمة العسكرية نفسها فعهد الامبراطور الى ابنه " دروسير " لقمع حركة العصيان هذه ونجح هذا الابن الى حد كبير فى تهدئة ثائرة الجند .

ثانيهما : كانت حـركة عصيان الجند ايضا للاسباب المتقدمة فى جهة الراين فبعث ابن اخيه جرمانيكوس الذى استطاع ايضا ان يلزم جيش الراين بالطاعة للامبراطور غير انه عالـــج للموقـف بطريقة قضى بها على حياة الجند الرتيبه فى معسكراتهم دون ان يحـصـــل على اذن من الامبراطور بالموافقة على القرار الذى اتخذه ونفذه بالفعل وهو عبور نهر الراين والقيام بحملات عسكرية فى جرامانيا وهذا كما نعلم يخالف السياسة التى رسمها اوغسطس .

- وكان لجرمانيكوس وضع خاص فهو زوج اجريبنتا ابنه جوليا واجرينا وتبناه تيبريوس بامر من اوغسطس فى سنة ٤ فهو اذن يعتبر وليا للعهد فضلا عن انه كان يتمتع بشخصية كبيرة بين اعضاء الشيوخ ويزيد عن دروسوس ابن الامبراطور كفاءة وذكاء هذا ما اوقع الحسرة فى نفس الامبراطور ويبدو ان جرمانكوس كان يفى الى حقيقة وضعه فتصرف هذا التصرف وقابلته القبائل الجرمانية بكل عنف اذ لا تزال هذه القبائل متحالفة فيما بينهما منذ هريمانـاروس ولا يزال لومنيوس زعيما لها ومع ذلك فأن جرمانيكوس استطاع بفضل حملات ثلاث فى الفترة مابين سنة ١٤ الى سنة ١٦ أن يوقع عدم هزائم شديدة بالجرمان ولكنه تعرض بعد ذلك لخسائر فادحة وتعرض احد جيوشه لنفس المصير الذى لقيه فاروس غير انـه استطاع ان ينجو بمعجزة من الكمين الذى نصب له وكذلك تعرض الاسطول الرومانى فـى بحر الشمال لخسائر كثيرة بسبب العواطف والانواء لذلك بادرتيبريوس باستدعاء جرمانيكوس وفضل ان يحل الموقف فى جرمانيا ومنطقة الغال بالطرق السياسية العادية فجعل من ولايات الغال الثلاثة ولاية واحدة .

واستحدث على الضفة اليسرى لنهـر الراين منطقتين ادرايتين جديدتين واحدة باسم المانيا العليا والثانية باسم المانيا السفلى ويحكم كل منهما موظف برتبة قنصـل ومـن حسن حظ الامبراطورية ان القبائل الجرمانية دخلت فى صراع عنيف مع قبائل الماركومانى Marcomani واستطاع ارمننييوس ان يوقع بها الهزيمة ولكنه هو نفسه سقط صريعا ضحية لغيرة زعماء القبائل فى سنة ١٩ .

وفيما عدا هاتين الحركتين تعرض السلام الرومانى للخطر مرة اثناء ثورة لم تستمر فى بلاد الغال طويلا فى سنة ٢١ ومرة اخرى فى توميديا عندما تزعم الثورة ضد الحكم الرومانى زعيم نوميدى اوليبى يدعى تاكفوريناس Tacfornres وكان ضابطا فى الجيش الرومانى واتقن اساليب

الحرب التى يطبقها الرومان فى معاركهم ولذلك استقرت ثورته فترة طويلة من سنة ١٧ الى سنة ٢٤ وعمت كل اقليم نوميديا ومنطقة قبائل الجرامنتس Gremantis فى منطقة فزان فى جنوب ليبيا.

الموقف بين (تيبريوس) و (جرمانيكوس) :

بعد ان انتهى جرمانيكوس من مهمته فى بلاد الغال او فى جهة الراين ارسله تيبريوس لتسوية بعض المشاكل فى الشرق وفرضه مجلس الشيوخ بسلطة مايوس ابيريوم التى تفوق سلطة حكام الولايات وكانت المشكلة الاساسية هى وضع حد للمنازعات على عرش ارمنيا و عدة النفوذ الرومانى الى هذه المنطقة وبعد ان نجح فى مهمته نفوذا تحمل صورته وهذا عمل لا يقره الامبراطور ثم تحدى الامبراطور مرة ثانية عندما دخل مصر بدون موافقة مخالفا تعليمات اوغسطس .

ثم جاء المشكلة الثالثة عندما وقع الخلاف بينه وبين بيسو Bisso حاكم سوريا و سبب هذا الخلاف هى :

أولاً : ان هذا الحاكم رفض ان يمد جرمانيكوس بقواته لاتمام مهمته فى ارمينيا .

ثانياً : عملت زوجة بيسو على الاتصال بالجند لتحدى ارادة حرمانيكوس يبدو انه اصدر امراً بإبعاد بيسو عن ولاية سوريا وان كان الموقف قد صور ان برجو اراد ان يغادر سوريا جرمانيكوس بمقتضى السلطة لممنوحة له على هذا الطلب فى حين ان مغادرة اى حاكم لولايته يجب ان تكون بموافقة الامبراطور الشخص .

- وبعد ذلك بقليل فاجأ المرض جرمانيكوس فى مدينة انطاكيا ويرجع انه اصيب بنوع من الحس ولكنه كان يعتقد ان " بيسو " حاكم سوريا قد دس له السم وبهذا الاحساس يضرع زوجته اجريبينا بان تنتقم لمصرعه وما أن مات حتى عجلت اجريبينا بحرق جثمانه وحملت رماده فى سفينة الى روما بالرغم من موسم الشتاء ولم يقتصر الامبراطور على ذلك فأمر بأن يصحب الرماد الى روما كتيبتان من الحرس البريتورى .

وفى رأى كثير من المؤرخين ان موت جرمانيكوس لا يعتبر فى الواقع خسارة فادحة للامبراطورية لانه اذا جرد من شعبيته ومن شخصيته الجذابة ومن حب اصدقائه الذين قارنوا موته فى سن الشباب الغض بموت الاسكندر الاكبر فان جرمانكوس يعتبر شخصا عاديا متواضع الذكاء والكفاءة .

ولكن بفضل دروسوس ابن الامبراطور دون شك وكل هذا لم يمنع ما شعرت به روما والولايات من حسرة واسى - والذى يهمنا ان موت جرمانيكوس المبكر افسد العلاقات بين تيبريوس اجريبنا .

واضطر الامبراطور آخر الامر الى استدعاء بيسو الى روما لمحاكمة امام مجلس الشيوخ بأنه دس السم لجرمانيكوس وكانت اجرينيا تتهم الامبراطور بأنه دبر هذه المؤمرة للتخلص من جرمانيكوس واستند بيسو بأن شعبيته جرمانيكوس ستحول دون برائه فأثر الانتحار وكانت اجريتيا تتهم الامبراطور بدافع من غيرته بأنه مسئول عن موت زوجها ودبرت مؤمرة مكشوفة للقضاء عليه ولتضمن العرش لولديها نسيرون ودوروسوس ولكن هذه المؤامرة عجلت بنهايتها ونهاية ولديها فى سنة ٢٣ فحدث ان مات درووسوس الذى كان من المتوقع ان يتولى العرش بعد ابيه وخاصة منذ وفاة جرمانيكوس وسنتبين فيما بعد ان سيانوس Seyanus قائد الحرس البريتورى فهو الذى دس السم وكان نيبريوس حزينا لوفاة ابنه منزعجاً لسلوك اجريتيا وخاصة انها لم تعدل عن موقفها بعد ان اصبح احد ولديها (نيرون ودروسوس) هو المرشح لعرش الامبراطورية ومن ثم انسحب فى سنة ٢٦ ليقيم فى جزيرة تايرى فى خليج نابولى .

ومن هنا تبدأ الفترة الثانية من حياة تيبريوس وبدأت العلاقات تسوء بينه وبين مجلس الشيوخ واستغل سيانوس ابتعاد الامبراطور عن العاصمة ليمضى فى مؤامرته التى رسمها ليستوى بنفسه على منصب المواطن الاول فيمد ان نجح فى اغتيال دروسوس ابن الامبراطور بدأ يدبر لتخلص من ولدى اجريبنا اى من فرع جرمانيكوس فاتهم اجريبنا وابنها نيرون بالخيانة فصدر الأمر بنفيهما خارج ايطاليا ثم حمل نيرون على الانتحار وصدر الأمر بسجن دروسوس فى روما الذى مالبث ان مات فى سجنه واستطاع سيانوس ان يصل الى منصب القنصلية كشريك لتيبريوس ومنحه مجلس الشيوخ السلطة البروقنصلية فى الولايات واراد ان يوافق الامبراطور على زواجه

من حفيدته جوليا وان هذا الطلب بدأ يثير الشك عند الامبراطور فى حقيقة نواياه فأثر ن يعمس ببطء وفى صمت حتى تأكدت شكوكه وأن سيانوس دس السم لابنه دروسوس ثم تتابعت الادلة الادلة على تآمر سيانوس على سلام الامبراطورية وامنها فالقى القبض عليه وعلى طائفة من أصدقائه الذين اعدموا وتركت اجريبنا لتموت فى منفاها .

وهكذا وجد الامبراطور نفسه بعيدا عن اصدقائه بعد ان فتح فى سيانوس وبعيد عن اهله مما اثر فى قواه العقلية وبدأ تنفيذ قانون الخيانة ليكس دى مايتاس Lex de Maistes بكل عنف وصرامه ولقى الكثيرون حتفهم وعاش مجلس الشيوخ فى خوف دائم من المبلغين او المخبرين ولذلك شعروا بكثير من الإطمئنان عندما وصلتهم انباء موت الامبراطور فى ٦ مارس ٣٧ وكان عمره ٣٨ وقد جعل مؤرخين مثل تاكيتوس سبتنيوس من تيبريوس من سنين حكمه الاخيرة طاغية عنيفا عربيدا وبذلك حجبت هذه الصورة العامة خدماته الحقيقية للامبراطورية بوصفه حاكما يشعر بمسئوليته واداريا ناجحا فى ادارة الشئون المالية للدولة وان كان تبذيرة فى الأموال العامة قد جعل منه شخصا غير محب بالنسبة لغوغاء المدينة ولكنه فى الواقع كان بالنسبة لاهل الولايات بركة ورحمة .

الامبراطور جايوس (كليجولا من ٣٧ - ٤١

••••••••••••

لوصى الامبراطور تيبريوس بأن يتولى شئون الامبراطورية من بعده جايوس الابن الوحيد لجرمانيكوس الذى بقى على قيد الحياة وكان حفيداً لتيبريوس بحكم التبنى وتيبريوس جمليوس Gomellus ابن دروس وهو الحفيد الحقيقى للامبراطور بحكم الدم .

ولكن مجلس الشيوخ رأى ان يقصر منصب البرنكبس (المواطن الأول) على جايوس الذى كان قد بلغ من العمر ٢٥ سنة على أن يتبنى جايوس تيبريوس ووافق جايوس على ذلك حيث ان امر بإعدامه وبدى للشعب الرومانى كما لو كانت الأشهر الأولى فى حكم جايوس انما هى بشيرا للعصر جديد على حكم تيبريوس فقد امر الامبراطور بالعفو عن المذنبين السياسين ونفى المبلغين

(المخبرين) وخفض الضرائب وعرض العامه عن تقصير تيبريوس بالاتفاق بسخاء على الحفلات العامه وكان من أثر هذه السياسة ان اصبح صديقا لمجلس الشيوخ والجيش ولنعامه ولكنه من ناحية اخرى كان يعطل الصحة وسقيم اليدين مختل العقل وكان يعانى من مرض خطير بسببه له افراطه الشديد فى شهواته التى اسلمته الى نوع من الخبل وعدم الاتزان .

وقد نشأ الامبراطور فى بيت انطونيا (جدته) ابنه ماركوس انطونيوس من اوكتافيا فى رفعة امراء شرقيين مثل هيرود اجريبا مما جعله ينظر الى وظيفة الرتكبس (المواطن الأول) وحكومته على أنها نوع من الاتوقراطية ذات الطابع الهلينستى ولكن جنونه وخبله جعل من هذه الحكومة حكومة استبدادية وتطرفة تثير السخرية من شخص الحاكم ولم يصنع بأن يطالب لنفسه ولشقيقاته باعتراف الدولة باليهم بل اعتبر الآله جوبتراظ له واقام جسرا بين تلى البلاتيين Ppatins والكابتول Capitol ليتسنى له الاتصال بجوبتر Gopiter وحس على أن يخاطب بلقب دومنيوس (السيد) وديوس (الآله) وأقام علاقات غير مشروعه مع شقيقاته وتزوج من واحده منهن وذلك تقليدا لما جرى عليه ملوك البطالمة .

فى مجال السياسة الخارجية قام ببعض العمليات الحربية عبر نهر الراين وكان يريد الحرب لغزو بريطانيا فوصل بالزحف الرومانى حتى مضيق دوفر .

وفى شمال افريقيا تدخل فى الشئون الداخلية لمملكة موريتانيا وأمر بأعدام ملكها بطليموس (احد احفاد كليوباترة) وذلك للاستيلاء على خزائنه واعتبر مملكته ولاية رومانية وبضم موريتانيا اصبحت الامبراطورية الرومانية تحيط بالبحر الابيض احاطة كاملة وادى اسراف هذا الامبراطور الى أن تنضب الخزانة له الامبراطورية التى تركها تيبريوس عامرة بالمال وليوفر للدولة موارد جديدة امر بزيادة الضرائب فى روما وايطاليا والولايات وباسم القانون امر القتل فى الاغنياء وصادر املاكهم وحمل الكثير منهم على ان يوصوا له بجانب كبير من تركاتهم وقد ادى الخوف من حكمه وعنف اسليبه الى تنظيم المؤتمرات لاغتياله .

وفعلا فى يناير سنة ٤١ لقى مصرعه على يد تريبون من الحرس البريتورى الذى لقى أشد الاهانات من الامبراطور وانضم الى هذا التريبون متآمرون اخرون كانوا فى خوف من أن يذهبوا بدورهم ضحايا لنزواته وأكد المتامرون مصرعه للشعب الرومانى الذى لم يكن يصدق أن ينتهى الامبراطور على هذا النحو بقتل زوجته وابنته الطفلة .

الامبراطور كلوديوس
من ٤١ - ٥٤
••••

حدث فى روما بعد مصرع جايوس نوع من البلبة واختلف اعضاء الشيوخ فى الطريقة التى يجب ان يعالج على اساسها مشكلة الحكم فى روما فكان الرأى السائد انه فى امكان أعضاء المجلس الان اعادة الجمهورية وانعوا فى هذا الاتجاه حتى تبين لهم انهم لا يستطيعون وحدهم التحكم فى الموقف لان هناك الحرس البريتورى الذى لا يرضى بأى حال بعودة الجمهورية واكتشف بعض ضباط الحرس كلوديوس السن مختفيا فنادوا به امبراطور ووجد مجلس الشيوخ نفسه مضطرا الى ان يمنحهم لقب اوغسطس مع تفويضه سلطات المواطن الأول وكان الامبراطور الجديد الحرس البريتورى سخية فأوجد بذلك سابقة لو عرف الامبراطور النتائج التى ستسفر عنها مستقبلا لندم وكان كلوديوس قد نيف على الجيش عاما من عمره ولم يكتسب فى حياته الطويلة اى خبرة عن الحياة السياسيةالعامة وتسبب مظهره المنفر والشعور بالعجز الذى اوجده حوله باعتباره شخص غير كفء لمنصبه مما جعله بالفعل خاضعا لسيطرة من هم اقوى منه ارادة وخاصة المحررين من عبيدة وازواجه الاربعة .

كان كلوديوس يعتبر من أكثر الرومان تعسفا فى دراسة التاريخ الرومانى ولعل هذا جعله يميل الى أن يكون محافظاً فى سياسته العامة والى ان يحكم الامبراطورية على نسق يوليوس قيصر وليس كما حكمها اوغسطس اوتيبريوس واظهرلمجلس الشيوخ احتراما لا مزيد عليه وبذل كل مافى وسعه ليدفع هذا المجلس أن يقوم بدور فعال فى الشئون الإدارية والحكومية .

ومن ناحية اخرى بذل جهدا كبيراً فى وضع حد لمساوىء تطبيق قانون الخيانة ومساوئ المخبرين الرسمين وبالرغم من ذلك فان كثيراً من أعضاء مجلس الشيوخ ومن طبقة الفرسان لقوا حتفهم لاتهامهم بالخيانة العظمى وكان هذا الاتهام حيا بالنسبة لاولئك الذين اندمسوا فى المؤتمرات فى حين ان اعدام البعض كان نتيجة لوشاية عبيد الامبراطور المحررين وشاية زوجتيه سللينا Mieseslins اجريبنا Agtrippins وقد استطاعت هاتان الزوجتان على التوالى من ستخدام المحكمة الامبراطورية فى التخلص من كل من تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقها .

فى سنة ٤٧ تقلد الامبراطور لقب الكينسور (رقيب) الذى عزف اوغسطس عن شغله وحرص على ان ينتخب معه فى هذا المنصب زميل آخر احتراما للتقاليد الجمهورية وهذا المنصب يجعل من شاغله بطريقة تلقائية عضوا فى مجلس الشيوخ اعفى الامبراطور مجلس الشيوخ فى ادارة خزانة الامبراطورية والاشراف على الطرق العامة والموانى سواء فى ايطاليا و فى الولايات وكان الامبراطور حريصاً اشد الحرص على أ، يضمن تزويد روما بالقمح لذلك انشأ ميناء جديد أ فىاوستيا Ostis ميناء روما على البحر الأبيض عند نهاية التير عند منصبه .

وقد استحدث الامبراطور نظاما اداريا هاما هو نظام السكرتارية المزودة بالموظفين الاكفاء التابعين له شخصيا بمعنى انهم ليسوا بموظفين فى الدولة واختارهم من بين عبيدة المحررين وكان من الطبيعى ان يشغل الوظائف الحساسة فى الدولة نفر من هؤلاء المحررين الموحين ومن هؤلاء مثلا شخص يدعى باللاسير Psllssir الذى اصبح سكرتيرا للخزانة الامبراطورية وفسكوس Fiscus الذى كان يستقبل كل الايرادات العامة التى يتم تحميلها عن طريق الامبراطور وموظفيه وكان هناك ايضاً فاركسوس Farcisus الذين عين سكرتير للمواصلات الامبراطورية (Epistula رسالة Epistuls) وكان هناك ايضا موظف مشرف تلقى الالتماسات التى ترفع للامبراطور (مكتب الشكاوى) Lipellis وعين من عبيدة سكرتيرا خاصا ليشرف على التحقيقات القضائية Congintio nious وكذلك كان هناك سكرتيراً على المكتبة الامبراطورية Stillius وبذلك اصبح لعبيد الامبراطور المحررين وخاصة من يشغل منهم الوظائف الاربعة الاولى نفوذ كبير فى كل ما يصدر من الا مبراطور من قرارات وتصرفاتهم ولكنهم كانوا يفتقدون الصفات الاساسية التى كانت لطبيقة النبلاء الرومان الذين مارسو لمدة اجيال متعاقبة الوظائف العامة فى الدولة ولذلك عرفان كثيرا من هؤلاء العبيد المحررين كونوا الثورات الضخمة لعدم تصرفهم وعن طريق بيع ذممهم وعين بعض هؤلاء العبيد فى وظيفة بروكروتور Precuratur (الوكلاء) بل ان بعض هؤلاء الوكلاء كانوا يتمتعون فى الولايات بسلطات قضائية فى كل ما يتصل بمصلحة الخزانة العامة .

- اهتم الامبراطور بتنفيذ مشروع ضم بريطانيا الى املاك الامبراطورية الرومانية وفى عمله هذا كان مقلدا ليوليوس قيصر وربما دفعه الى هذا العمل (غزو بريطانيا) .

ما ذكره عن موارد الجزيرة البريطانية وأن كان تقدير مواردها جاء بطريقة مبالغ فيها كثير ولكن كان الدافع الامبراطورى أيضاً لغزو بريطانيا وأن بعض القبائل البلجكية المقيمة فى الجزيرة كانت كثيرا ما تغير على سواحل بلاد الغال – على أى حال فى سنة ٤٣ قام ثلاثة من القادة الرومان من بينهم فلافيوس فسباسيانوس F. vespasiesnus بغزو بريطانيا ونجحوا فى الوصول الى نهر التيمز وكان الامبراطور شخصيا صاحب القيادة الاسمية للجيوش الرومانية وعندما عبرت هذا النهر واحتلت مدينة كومولودونيوم Komolodonium (كليستر Kleister) الحالية مركز الحكم الملكى البلجكى وقد حولت الى مستعمرة رومانية (كولونيا – Kolonia) وأصبحت عاصمة لولاية بريطانية – دخلت العبادة الإمبراطورية لبريطانيا بانشاء معبد لروما واوغسطس فى تلك المدينة وبعد عودة الامبراطور الى روما امتدت السيادة الرومانية لتشمل مناطق وسع من الجزيرة البريطانية .

أما فى شمال افريقيا فقد وجد الامبراطور ان عليه مواجهة ثورة للقبائل الوطنية فى موريتانيا تلك القبائل التى ارادت ان تعود ببلادهم الى وضعها السابق كمملكة مستقلة وبعد سنتيز من حرب عنيفة احمدت مقاومة الاهالى وقسمت موريتانيا الى ولايتين امبراطوريتين وذلك فى عام ٤٢ وهما :

١ – موريتانيا القيصرية فى الشرق .

٢ – موريتانيا تنجاتيا فى الغرب .

فى سنة ٤٦ بعد وفاة ملك تراقيا الذى كان تابعا لروما ضمت بلاده الى الامبراطورية وكذلك ضمت مناطق كبيرة من أرض يهوذا (فلسطين) فى سنة (٤٤) بعد وفاة الملك هيرود جريبا وأصبحت تابعة لوكيل الاعمال الامبراطورية بركيور ايتور فى كل الولايات الرومانية بصفة عامه نشط الامبراطور الى انشاء المستعمرات فى الرقى بمدن للولايات الى مرتبة البلديات الرومانية أو اللاتينية واستطاع الامبراطور أن يدافع بكل قواه امام مجلس الشيوخ فمن حقه بوصفه كنسور (رقيب) فى منع الحقوق الرومانية لغير الايطاليين واستطاع بذلك ان يدخل فى طبقة اعضاء الشيوخ بعض النبلاء من الغال واستطاع ايضاً ان يفتح ابواب الوظائف العامة فى بلاد الغال امام كل المواطنيين الرومان وبذلك (هذا يعنى) انهم اصبحوا يعاملون على قدم المساواه مع الرومان المقيمين فى ايطاليا ومن حقهم ان يكونوا اعضاء فى مجلس الشيوخ (طبقة

الشيوخ) وفى تعداد سنة ٤٧ – ٤٨ (Sint) تبين ان عدد المواطنين الرومان مبلغ ٦٩٤ر٠٠٠ مواطن اى بزيادة مليون تقريبا عما كانوا عليه ايام اوغسطس .

واهتم كبوديوس اهتماما كبيرا بالمسائل المتصلة بإدارة الولايات واظهر نفسه بمظهر الحاكم الكفء الذى كان كل همه ان يكون مرؤسيه فى الولايات على درجة كبيرة من الكفاءة والامتياز (راجع رسالة الامبراطور كلوديوس لمواطنى الاسكندرية كنموذج واضح عن كفاءة هذا الامبراطور) .

نهاية الامبراطور :

فى سنة ٤٨ حدثت ازمه فى نيتكلود يوس ذلك ان زوجته مساليتا Missalina تعلقت بحب نبيل شاب هو جايوس سيليوس Gaussilus وشك فى انهما يديران مؤامرة ليستولى العشيق على منصب البرينكيس Principa وفطن عبيد كلوديوس المحررون الى خطورة المؤامرة اذ ثمت لذلك كان من مصلحتهم ازالة الامبراطور من الطريق فأوعز ناركسوس Narcisus الى الامبراطور بإصدار حكم بإعدامها واستجاب لنصح باللاسفى الزواج من اجيرينا ابنة جرمانيكوس وكان له من زوجته مسالينا Masselina ابنا عرف بإسم بريتاكيوس Britsncius وابنه هى ستافيا وصمت اجرينا على أن تحرم ابن الامبراطو من حقه فى العرش ليؤل الى إبنها دومتيوس Domitus زوجها الأول

وفعلا فى سنة ٥٠ جعلت الامبراطوريتين ابنها باسم نيوروكلوديوس قيصير Neroclodus ثم منحه فيما بعد عندما بلغ من العمر ١٣ عاما لقب زعيم الشباب ثم منحة سلطة الامبريوم البروقنصلية خارج روما وهكذا اصبح معروفا من الذى سيخلف الامبراطور وفى سنة ٥٣ تزوج نيرون من اكتافيا ولم ييأس ناركسوس من مقاومته لاطماع اجريبنا التى خشيت ان ينجح فى قدس لها لدى الامبراطور لذلك عجلت بدس السم للامبراطور نفسه لتجنب اى اخطار بالنسبة لإبنها فى المستقبل .

الامبراطور نيرون من ٥٤ الى ٦٨ .

كان من المعروف أن نيرون سيتولى عرش الامبراطورية لذلك لم يصادف تعيينه فى منصب البرنكيس اى معارضة ولم يحدث اى تأخير وأن كانت اجريبنا قد اهتمت بالحصول على ضمانات بولاء الحرس البريتورى وذلك مقابل منح سخيه لافراد هذا الحرس وينبغى ان نذكر ان نيرون كان لايزال شابا لم يتجاوز عمره ١٦ سنة فكان من لطبيعى ان يقوم بإدارة شئون الدولة جماعة من المستشارين على رأسهم بروس Burrus قائد الحرس البروتورى وكان اصلا من بلاد الغال .

وكان من بين مستشاريه ايضا الكاتب الفيلسوف لوكيوس انيايوس (سنيكا) Seneca وهو من اسبانيا وقد اختارته اجريبنا ليكون راعيا واستاذ لابنه نيرون سنة ٤٩ وكانت الحكومة الرومانية تتميز فمن السنوات الخمس الاولى من حكم نيرون بالكفاءة والحرص على ارضاء مجلس الشيوخ داخل الولايات وأن كانت ذات طابع اتوقراطى وكانت اجريبنا هى الرأس المفكرة وراء كل ذلك ولم تعتقد انها ستحل يوماً على التخلى من ممارستها سلطة الحكم او النفوذ الذى اكتسبته فى السنوات الاخيرة من حياة الامبراطور كلوديوس ولكن نيرون كان على رأس المعارضين لتدخلها وانجاز الى جانب مستشاريه الذين رأوا أنه يجب على اجريبنا أن تترك لهم مسئولية الحكم وذلك ليضمنوا استمرار سيطرتهم على شخص الامبراطور .

ويبدو أن هذا الامبراطور قد تعرض كثير من الاضطرابات الجديدة فى حكمه فى سنة ٥٥ قد دس السم لآخيه بالتبنى بريتاكوس ابن الامبراطور كوديوس الصغير ثم وقوعه تحت تأثير عشيقته سابينا Sabina التى كانت زوجة لقائد رومانى أما العمل الثالث فكان اقدامه على قتل امه سنة ٥٩ ثم اقدامه على الطلاق لزوجته اكتافيتا التى امر بنفيها ثم قتلها وبذلك خلى له الجو وتزوج سابينا .

وما أن بلغ نيرون سن ٢٢ حتى عمل على تجميع كل السلطات فى يديه وخاصة بعد وفاة بتروس فى سنة ٦٢ وتخلصه من تأثير سنيكا Senece واتخذ لنفسه مستشارا فى شخص تيجلينوس Tegiliinus قائد الحرس البريتورى مع أنه كان شخصية تافهة لاقيمة لها بالنسبة لفيلسوف مثل سنيكا . وكان بروس وسنيكا حريصين كل الحرص على ارضاء مجلس الشيوخ ولكن نيرون قلب الآية واصبح عدو للمجلس الذى جرد من كل سلطان وكذلك أصبح خزانة خاوية نتيجة لا سرافه الشديد الذى لم يعد بخضع لاى قيد كان كل همه ان يرضى نزواته الشاذه مهما كلفه ذلك من امر والذى يقرأ تاكيتوس يجد انه بصدد امبراطور يعتبر نفسه رسولا للهلينية يريد ان يدخل تقاليد هذه

الحضارة الى روما ولعل ابرز محاولته فى هذا السبيل ادخال الجمنازيوم ونظم التعليم المتصلة به وتقليد المباريات التى تدور فى حلبته وتقليد المدارس الفنية ذات الطابع الهلينتى .

ونستطيع ايضاً ان نحس بأن نيرون كان يظن نفسه ملكا لمواهب فنية متعددة الجوانب جديرة بالإعجاب اذا لما عرضت على الشعب الرومانى وفعلا فى سنة ٦٥ ظهر على المسرح ممسكا بقيثارته منشدا ومغنيا وعازفا وكان من الطبيعى أن يجر عليه هذا التصرف السوء احتقار للطبقات الراقية فى المجتمع الرومانى بل انه كان شغوفا بان يكرر عرضه الفنى فى بلاد اليونان التى تستطيع وحدها فى رايه ان تقدر فنه فقام فى سنة ٦٦ بزيادة كريت واستعرض مواهبه الفنية فى المباريات الاولمبية والبوثية والكونثية واعلن الامبراطور منحه الحرية للمدن الاغريقية مكافئة لها عن استقبالها العظيم له فيها ، (دور المرسيس الحوريات Muses) .

حريق روما سنة ٦٤ .

فى سنة ٦٤ شب فى روما حريق استمر ايام متتالية وبعد ان تخمددت النار عادت مرة اخرى الى الاشتعال ودمرت اجزاءاً كبيراً من المدينة واتهم نيرون انه المدبر لهذا الحريق ولكن لم يكن ثمة دليل على ذلك .

ذلك أن نيرون كان كثيراً ما يردد انه غير راضى عن تخطيط المدينة اذا كانت تبدو قبيحة اذا قورنت بأى مدينة يونانية التى يقوم بتخطيطها على اسس ثابتة ولكن هذا لا يثبت ان نيرون دبر هذا الحريق ليعيد تخطيط روما من جديد بالفعل انه افاد من هذا الدمار الذى لحق المدينة فجدد ما تقام من مبانيها وخطط شوارعها واحيائها على اسس جديدة وتخلص من الاحياء التى كان يعتقد انها معادية له ولسياسته واقام قصره الذهبى الشهير على تل الاسكويلينى Esquiline والحق بالقصر بستانا ضخما ولكن الرأى العام كان لا يزال يلح فى طلب محاكمة المسئول عن هذا الحريق ولم يجد الامبراطور غير المسيحين يقدمهم كبش الفداء فاتهمهم بانهم وراء الحريق وقدم عدداً كبيراً منهم للمحاكمات وكانت المحاكم تحكم بادانتهم بسبب ما ثبت لديها من نزعتهم الفوضوية وكان هذا هو اول اضطهاد للمسيحية تنظمه الحكومة الرومانية الامبراطورية .

السياسة الخارجية للامبراطور نيرون

أولا : مشكلة ارمينيا : الفترة من سنة ٥١ : ٦٧ :

فى سنة ٥١ استطاع بولوجاسيس Pqiogasis وهو رجل طموح ان يقوم نفسه ملكا على عرش بارتيا (فى اعالى الفرات) ومن اخيه تريارانيس Thridites ملكا على ارمينيا وكان هذا العمل عند اول تولى نيرون عرش الامبراطورية .

وكان على الامبراطورية أن تؤكد هيبتها لذلك بادرت روما الى مقاومة مشاريع هذا الملك واستطاع الجيش الرومانى ان يقيم عرش ارمينيا ملكا ترضى عنه روما ولم يستطيع ملك بارتيا ان يفعل شيئا اذ شغل بثورة خطيرة فى بلاده واراد ان يصل الى التفاهم مع روما عن طريق المفاوضات ولكنه ما قوبل بعدم الترحيب من الجانب الرومانى وفشلت المفاوضات قاد حملة قوية لغزو ارمينيا وحاصر حاكم كباوشيا الرومانى الذى قبل اخلاء ارمينيا وتسليمها له مقابل فك الحصار عن الجيش الرومانى المحاصر وذلك فى سنة ٦٢ وتقدم حاكم سوريا الرومانى ووقف فى وجه ملك بارتيا وجعله على قبول شروط روما اذا اراد ان يعيد تنصيب أخيه ملك أرمينيا وقبل الملك هذه الشروط التى تتلخص فى اعتراف ارمينيا وسيادة روما وبالفعل قدم هذا الملك الى روما وتسلم التاج من يد الامبراطور .

وذلك فى رأى البعض كان نيرون عن طريق مستشاريه وبفضل حنكة قواده مرفقا فى حل هذه المشكلة .

ثانيا : الموقف فى بريطانيا

فى عهد الامبراطور كلوديوس كان الرومان قد مد وسيطرتهم فى بريطانيا الى نهر الهمبر Himber والى الغرب من اقليم كونوول منطقة ويلز نشبت بين القبائل البريطانية وخاصة قبائل ايكين وقبائل ترينوفانتيس Frinovantes وكانت تعيش بالقرب من نهر التيمز وذلك بسبب قسوة الحكم الرومانى واستطاعت جاه الضرائب فى تحصيلها وتزعمت الثورة السيدة بودكا Boudicca

ملكة قبائل ايكينى Icini ونجحت الثورة فى مراحلها الأولى ودمرت المدن الرومانية وهى كولود ينوم العاصمة (كنشتر) ومدينة لوندنيو Lundinun (لندن حاليا وذكر ان ٧٠ الف من الرومان لقو حتفهم ولقيت فرقته رومانية بأكملها هزيمة قاسية على يد الرومان فاضطر الحاكم الروماني ان يجمع شتات القوات الرومانية وفلولها وأن يكر على قوات الثوار مدعما بامدادات جديدة وبذلك انقذ ولاية بريطانيا من الضياع .

مؤامرات ضد نيرون

مؤامرة بيسو " Bisso "

حوالى سنة ٦٢ كانت روما تتجه للحكم القائم على الارهاب والبطش قد تعرضت لاعمال الخيانة والمؤامرات التى كانت تدبر للتخلص من حكم الامبراطور نيرون ولعل السبب الأول هو الشك الذى بدأ يخيم على دوائر الحكم والخوف الذى كان من الطبيعى ان يلازم هذا الشك .

ويمكن أن تفسر هذه الحركات برغبة المتآمرين فى التخلص من نيرون الذى كان طامعا فى الاستيلاء على املاكهم بأن طبقة اعضاء مجلس الشيوخ لم يعودوا فى مأمن من غدر الامبراطور حتى انه ليقال أن الكثير من أعضاء المجلس قتلوا غدرا أو حملو على الانتحار .

ومن أبرز المؤامرات تلك المؤامرة التى نظمها بجايوس كليورنيوس G . C . biso عضو مجلس الشيوخ ومن سوء حظه ان المؤامرة اكتشفت وذلك فى سنة ٦٥ ولدين عدد كبير من الشخصيات البارزة فى المجتمع الرومانى وكان من بين الذين لقوا حتفهم الشاعر لوكان Luqan عم الفيلسوف سنيكا وكذلك اجيرنسنيكا على الانتحار وقتل اثنان من اعضاء مجلس الشيوخ الرواقين الذين اعتبر نيرون صمتهما وعدم التحدث عن سياسته دليلا صارخا على معارضتها لارادته .

ثورة القائد فنداكس Vindex سنة ٦٨ :

قام القائد الرومانى جايوس بوليوس فيندكس بثورة عنيفة فى بلاد الغال منحيا ارادة الامبراطور ومعلنا عن معارضته لسياسته وايده فى ثورته اهل ولاية لوجدونتشيس (شمال غرب فرنسا) الذين ضاقوا ذرعا بشدة الحكم الرومانى ورقه الضرائب وانضم القائد سلبيكرس جاليا (Selbecus) Galba حاكم ولاية اسبانيا وبعض القادة الاخرون وهزم ضد اكس على يد روفوس القائد الرومانى لمنطقة جرمانيا ولكن لم يستطيع هذا القائد ان يوقف الثورة التى امتدت الى جنو واخيرا اكتب نيرون .نهايته بجهنه وخيانة الحرس البرويتوى وانتحر ولم يتم عملية الانتحار فتقدم احد محرريه فساعده على اخماد الختجر فى رقبته .

وبصرع نيرون انتهى حكم فرع الاسرة البولية الكلودية وبعد ذلك اتى على روما عام يعرف باسم عام الاباطرة الاربعة ٦٨ / ٦٩ اذ شهد هذا العام تولية اربعة اباطرة اختا كل منهم طائفة من رجال الجيش .

عام الاباطرة الاربعة ٦٨ / ٦٩ :

أ – جاليا سنة ٦٨ ساتو Otto من يناير الى ابريل سنة ٦٩ .

ب – فيتللوس Vitallius من ابريل الى ديسمبر سنة ٦٩ .

جـ – فسيا سبانوس ديسمبر سنة ٦٩ اعترف بمجلس الشيوخ ودخل روما فى سنة ٧٠ واهية هذا العام انه ابرز حقيقة هامة وهى ان الحرس البريتورى لم يعد وحده العامل المؤثر فى الوقف بل اصبح فى امكان جيوش الامبراطورية حينما تعسكر ان تعلن تأييدها لامبراطور معين ينتزع السلطة من الامبراطور الحاكم فى روما كما أن اختيار الاباطرة الجدد يظهر انه ليس بالضرورة ان يكون الامبراطور من ابناء روما نفسها .

فسباسيان وابنه الامبراطور تيتوس من ٦٩ / ٨١ .

(حكم اسرة الفلاڤين) نسبة الى عشيرة فلاڤيوس

أولاً : الامبراطور فسباسيان :

لم تكن مهمة حكم روما بعد الاضطرابات السابقة حكما سهلا فقد ورث فسباسيان ازمتين خطيرتين اولهما ثورة قامت فى بلاد الغال والثانية ثورة اليهود فى بهوذا (Jedio) ولكن فسباسيان بما اوتى من صفات وكفاءة استطاع ان يتخلص من النتائج التى ترتبط على هاتين الثورتين واعداد النفوذ الرومانى وهيبة روما الى بلاد الغال والمانيا وترك لابنه تيتوس عملية اكمال حصار اورشليم ونجح تيتوس بالفعل فى مهمة فى سنة ٧٠ ق . م وشيد فى روما قوس بسجل تيتوس على بهوذا .

نجاح فسباسيان فى ادارة الامبراطورية :

كان أول امبراطور لا ينتمى الى أسرة النبيلة القديمة فهو مواطن لمدينة ريتاى (Reate) وهى بلد من البلديات الايطالية وكان ابواه من طبقة الفرسان ولكنه إستطاع ان يصل الى عضوية مجلس الشيوخ واتخذ لقب قيصر الذى اصبح يدل على ان صاحبه يشغل منصب الامبراطور اكثر منه دلاله على اسم اسرة بعينها (وذلك ليوجد نوعا من الصلة مع الاسرة اليولية الكلودية التى تنتمى بالفعل الى اسم قيصر) وفضلا عن ذلك سن تقليدا جديدا باضافة لقب امبراطور فى اول الاسم الامبراطورى وكان خلفاء اوغسطس باستثناء نيرون قد تجاهلوا استعمال هذا اللقب ولم يكن فسباسيان بالعبقرى ولكنه رجلا متواضعا عاملا مجدا واسع الصدر قائد اكفا يحترم مهنة الجندية وكان فى نفس الوقت خبيرا فى الشئون المالية وتقلد منصب الكينسور (الرقيب) فى سنة ٧٤ واشرك ابنه معه فى هذا المنصب (تيتوس) وفى هذه السنة امر باصدار احصاء عام فى الامبراطورية (تعداد سكان) ويلاحظ ان الامبراطور اهتم بتعيين اعضاء جدد فى مجلس الشيوخ بدلا من اولئك الاعضاء الذين قتلوا فى فترة الصراع على السلطة كما أنه توسع فى منح الحقوق الرومانية للشخصيات الممتازة فى الولايات وجعل من حقهم ان يختاروا اعضاء فى مجلس الشيوخ الرومانى وكذلك توسع فى منح الحقوق اللاتينية للعناصر غير الرومانية فى اسبانيا وذلك تمهيداً لاستكمالهم الصبغة الرومانية فيما بعد .

ولم يشأ فسباسيان ان يقلل من شان مجلس الشيوخ فاحتفظ باختصاصاته القضائية ولكن فى الوقت نفسه اشعر المجلس ان الامبراطور السيد الحقيقى للدولة وعمل على ان يعود الاطمئنان الى نفوس اعضاء المجلس وقف عمليات التبليغ والوشايات ومقاومة المبلغين (المخبرين) وعود المجلس نفسه على تقبل الوضع الجديد بحيث أنه يمكن ان يقال ان بعض اعضاء المجلس ليس للامبراطور كانوا مسئولين عن اى خلاف حدث من المجلس وبين الامبراطور وحدث ان احد اعضاء المجلس وهو برسكوس Priscus وكان رواقى المذهب نظم عبادة لكل من بروتس وكاتو الصغير (من زعماء روما فى عصر الجمهورية) وذلك رغبة فى احياء بعض المظاهر التى تذكر الناس بعصر الجمهورية وقف من فسباسيان موقف عدائيا وتطرف فى عدائه له متعمدا سبه واهانته فى المناسبات العامه مستغلا صبر الامبراطور وعدم رغبته فى اصدار احكام الاعدام واخيرا اضطر الامبراطور الى نفيه خارج ايطاليا ولما لم يتوقف عن تأمره ام بإعدامه .

وارد ان يحمى المجتمع الرومانى مقام الاتجاهات غير المقبولة عند الفلاسفة من اصحاب المذهب السلبى وكان هؤلاء الفلاسفة لايرحبون برجود اى حكومة منظمة قوية وفعلا اصدر الامبراطور امرا بنفيهم وبنفى المنجمين منهم .

وكان على الامبراطور أن يعالج عدد من المشكلات الهامة تاتى على رأسها دون شك المشكلة المالية التى نشأت عن سفة الاباطرة السابقين واسرافهم الذى لا مبرر له مما ادى الى ن تتصب مواد الخزانة والى ارهاق الولايات وذكر ان الامبراطور كان فى حاجة الى مبلغ يساوى ما قيمته الفامليون من دولار (٢٠٠٠ مليون دولار) وهذا المبلغ كبير دون شك ويحتاج الى تفسير ولكن هناك من معلومات كافية تسمح بمناقشة هذا القول والذى يهمنا فى الامبراطورية عمد الى فرض ضرائب جديدة مع الاقلال ما امكن عن المصروفات الدولة ونجح فعلا فى انقاذ الخزانة كما أنه اتفق مبلغ طائل فى انشاء مبانى ضخمة فى ايطاليا والولايات واعاد بناء معبد الاله جوبتر الكابيتولينى الذى كان قد دمر فى فترة الصراع مع فيتلليوس ووجد ان من مهمة الدولة الاتفاق فى مجال التعليم فرتب رواتب لمعلمى الخطابة من الاغريق فى روما .

المشكلة الثانية :

========

وهى اعادة النظام والطاعة الى صفوف الجند وقد لمس الامبراطور أن ولاء الفرق لمساعدة امر غير مأمون العواقب كما تبين ذلك فى ثورة الفرق المرابطة فى المانيا لذلك رأى الامبراطور ان يقتصر اختيار الجند على جماعات المواطنين فحل صرح الفرق الاربعة فى جهة الراين واستبدالها بفرق جديدة وكذلك فعل بالنسبة للحرس امبريتورى فاعاد تكوينه على اساس اختيار جند من العناصر الايطالية بدلا من الاعتماد على جند الفرق وعين ابنه تيتوس قائد او (بريتكتوس) لهذه الحرس .

المشكلة الثالثة :

تنظيم الولايات .

تمثلت كفاءة الامبراطور وامانته فى طريقة اختيار الموظفين الذين عينوا لمباشرة الحكم والعمل فى الولايات اذ ان الامبراطور شعر بان عملية مسئولية قبل سكان الولايات والحد من المظالم التى طالما اشتكى منها سكان هذه الولايات وفى رايه ان نيرون تجاوز حدوده عندما منح بلاد اليونان حريتهما فاعادها مرة اخرى كولاية تابعة لمجلس الشيوخ وكذلك اخضع سردينيا وكورسكا لحكم الامبراطور المباشر وأنشأ ولاية جديدة فى اسيا الصغرى ويبدو ان هدفه من ذلك التنظيم الدفاع عن حدود الامبراطورية وفى عهده نجح الرومان فى ان يدمجوا حكمهم فى بريطانيا بالتقدم الى شمال نهر الهمبر والتوسع فى جنوب ويلز .

ونتيجة لسياسة الامبراطور الجديدة زاد اقبال القبائل الجرمانية على اصطناع بعض العادات الرومانية وضم الى الامبراطورية المناطق الواقعة بين نهر الراين والى الدانوب وذلك ليسهل عملية الاتصال بين الجيوش الرومانية المرابطة فى المانيا وفى ولايات الدانوب .

وفى الشرق دعم جهة نهر الفرات امة ولاية جديدة وتوزيع الحاميات فى المواقع الاستراتيجية على الطريق المؤدية الى ارمينيا ووسع من حدود ولاية سورية وجعلها تمتد شرقا لتضم مناطق جديدة من بينها بالمسير (تدمر) مركز التجارة والقوافل .

وكذلك بسط الأمن والسلام فى شمال افريقيا بقمعة ثورة قبائل الجرمانتيز (الجرمانيين) فى جنوب ليبيا كما نجح نتيجة لهذا العمل فى أن يبسط السلام فى المناطق الواقعة فى جنوب خليج سرت (فى ليبيا) .

ثانيا : الامبراطورتيتوس من ٧٩ - ٨١ :

عندما توفى فسباسيان كان تيتوس قائد للحرس البرتورى ومتقلدا لسلطة الاميرية والسلطة والتربيوتيه كزميل لوالده ولذلك كان من السهل اتخاذ الاجراءات المناسبة ليخلف والده على عرش الامبراطورية واظهر فى الواقع كفاءة ممتازة فى تلك المدة القصيرة ويبدو انه كان مستقلا عن سياسة والده اذا استمر ينسج على منواله فقاوم اعمال المخبرين ورفض عقاب المتآمرين ضده وكان كريما غير انه كان متهما بامر الخزانة ومالية الدولة .

وفى عهده حدثت كارثتان :

اولهما سنة٧١ عند ماثار بركان فيزوف الذى دفن مدن بومبى Pompei وميركولانيوم Merca lonus وستابى Stapi بالقرب من خليج نابلى تحت كثيفة من (الرماد والحمم البركانى " للافا ") .

اما الكارثة الثانية : فهى الحريق الذى اصاب روما مرة اخرى واستمر ثلاثة ايام دمرت اثناءه كثير من المبانى وخاصة معبد فسباسيان الجديدة الذى اقامه للآلهة جوبتروميات الامبراطور بالحمى فى سبتمبر سنة ٨١ وحزن عليه العالم الرومانى كله حزنا عميقا وخلدت ذكراه بوصفه الامبراطور المثالى والحاكم الذى بذل كل ما يستطيع لرفاهية الامبراطورية وقد امر مجلس الشيوخ بتاليهة كما فعل بالنسبة لوالده فسباسيان .

فتزويد روما بالمياه النقية وفى الوقت نفسه اعاد تشييد المبانى التى دمرت فى الحريق من بينها معهد جوبتر والمكتبات العامه التى كان يهتم بها اهتماما شخصيا .

وبالرغم مما قيل عنه فأنه كان حاكما كفأ كفل لها جهاز اداريا قائما اساسا على الكفاءة ومع الاهتمام بامر الخزانة التى لا شك كانت قد ارهقت لكثر اعمال البناء الذى قام بها الامبراطور ومن قبله الامبراطور فسباسيان وتيتوس .

نتابع الحديث عن الامبراطور دومتيانوس (بعض ملاح من سياسته الداخلية) لم يكن هذا الامبراطور مثل فسباسيان مقترا فى النواحى المالية ولكنه مع ذلك لولاها اهتماما كبيرا ومما يعرف عنه انه امر بالتجاوز عن ضرائب امتنع اصحابها عن دفعها لفترة خمس سنوات ولكنه اصدر اوامر بوجوب تحصيل الضرائب كاملة فى المستقبل مهما كانت الظروف - الامر الثانى ان الامبراطور اتهم بان الحافز له على اضطهاد اعضاء مجلس الشيوخ هو الرغبة فى مصادرة املاكهم ولكن ليس هناك من دليل على ان هذا هو السبب الحقيقى فى اضطهاده لاعضاء هذا المجلس .

ثالثاً : تميزت القوانين والتشريعات التى صدرت على عهده بانها كانت مزيجا من القوانين الرومانية القديمة التى لم تعد تلائم مقتضيات العصر ومن القسوة البالغة التى لامبرر لها فيكون دومتيان بذلك قد سار على نهج بعض الاباطرة الذين يتعلقون بأهداف الماضى .

رابعاً : حاول دومتياس ان يخلص المجتمع الرومانى من كل مظهر لا يتفق مع الفضيلة وإن كان هو شخصيا متهم فى سلوكه الخلقى لذلك امر باتخاذ اجراءات معينة من بينها مثلا منع العروض المسرحية التى تمثل الشخصيات بطريقة هزليه وتستخدم فيها النكات الخارجية عن الذوق العام - وأمر باعدام كل من شرط فى عزريتها من الكاهنات عن عزارى الربه فستا وهى ربه الناس وكذلك حد من عملية تحرير العبيد حرصا على المجتمع الرومانى بأن وضع قيودا شديدة تجعل عتق العبد عملية صعبة

خامساً : بالرغم من أنه اعتمد على جهاز من الجواسيس او المخبرين التابعين له شخصياً الا أنه لا يتسامح على الاطلاق مع اى مبلغ يرفع اليه وشاية كاذبة . وهكذا استطاع ان يوفر بعض الضمانات للمواطنين واصبحت العدالة تسير سيرا طبيعيا ولا يقع القضاء تحت تاثير الرشوة او الحزبية .

سادساً : اتخذ بعض الاجراءات لانصاف صغار المزارعين بمنحهم نصيبا من الارض التى لا يمتلكها احد .

سابعاً : اراد ان يكثر من الاراضى التى تزرع القمح وذلك بالحد من التوسع فى زراعة الكروم ولكن فى راى الخبراء الزراعيين فى عهده ان هذه العملية غير مؤسسة على

اساس سليم .

السياسة الخارجيه :

أولاً : استمر دومتيانوس فى السياسة التى وضع اسسها فسباسيان (والده) وهى انعاش الولايات عن طريق اختيار اكفأ العناصر لحكمها وكذلك نفذ سياسة ابيه فيما يتعلق بنشر الحضارة الرومانية عن طريق توفير الأمن والاطمئنان لسكان هذه الولايات .

ثانيا : فيما يتعلق بمشكلة الدفاع عن الحدود لم يخرج دومتيانوس كثيرا عن القواعد التى سنها اوغسطس وهى تتلخص فى المحافظة على الوجود الرومانى فى مناطق الحدود التى ينبغى ان تتفق مع الحدود الطبيعية الى جانب عدم التوسع لذلك فأنه اتبع سياسة تتلخص فى المحافظة بكل قوة على حدود الامبراطورية ودفع الخطر عنها مهما كلفه ذلك من تضحيات وقد يتهمه خصومه بأنه كان يريد ان يحقق نجاحاً عسكرياً يسند به حكمه اوتوقراطى ولكن ايضاً هذا الاتهام غير دقيق .

١ – فى افريقيا :

فى شرق ولاية طرابلس (ليبيا الحالية) كانت هناك قبائل قوية تعرف بأسم نساموس Nasamones وكانت لا تقيم فى منطقة بعينها بل تتنقل حسب المواسم فمرة تذهب الى الدواخل وتارة تعيش على الساحل وكانت تشكل خطر على السفن التى تسير حذاء الساحل وعلى القوافل التى تسير فى الداخل والنتيجة انهم شكلوا خطرا على حدود الامبراطورية وهددوا بعزل مناطق النفوذ الرومانى فى منطقة ليبيا – وكذلك ضاقت هذه القبائل بالقيود التى وضعها جهاة الضرائب على تنقلاتهم لأن جهاة الضرائب من مصلحتهم ان تستقر هذه القبائل فى مكان ثابت ومن ثم ثارت على الحكم الرومانى فأرسل الامبراطور جيشا قويا استطاع ان يقضى عليهم فى عام ٨٥ : ٨٦ م وكذلك شدد الامبراطور الهجوم على القبائل الرعوية فى مورتانيا التى قاومت سياسة الادارة الرومانية فى الإكثار من الغابات على حساب الراعى .

٢ - في بريطانيا :

كان الهدف من التوسع العسكرى فى بريطانيا هو تامين سلامة الولاية الرومانية ولكن القائد الرومانى لجريكولا الذى حكم هذه الولاية من عام ٧٧ : ٨٤ استطاع ان يمد الزحف لرومانى الى اسكتلندا وقبل ان يقدم على غزو ايرلنده استدعاه الامبراطور الى روما .

٣ - جهة الدانوب والراين :

ادرك الامبراطور انه لا بد ان يشدد قبضة الرومان على منطقة الحدود فى هذه الجبهة وكان مصدر الخطر هم قبائل الشمالية ، وقاد الامبراطور جيشاً عبربه نهر الراين ووفق الى حد كبير فى معاركة ضد هذه القبائل واحتل منطقة لا يأس ،، بها تقع بين نهرى لان Lahn والماين والتى تمتد حتى جبال تاولس واتبع ذلك فى اقامة سلسلة من الحصون وابراج المراقبة لحساية لمنطقة وذلك فى عام ٨٣ ميلادية ولكن هذه القبائل انتهزت فرصة ثورة القائد الرومانى ساتورناينس Saturninus ضد الامبراطور فجددوا نشاطهم وما ان اخمدت الثورة فى عام ٨٩ حتى عادت الجيوش الرومانية للسيطرة من جديد على منطقة الحدود واضطر دومتيانوس حرصا منه على عدم تكرر تجربة هذا القائد ان يضع لكثر من فرقة عسكرية فى لمعسكرات الدائمة التى تنام فى منطقة الحدود .

ولضمان استقرار اكثر فى منطقة الحدود فصل الادارة المالية للولايتين الرومانيتين عن ادارة ولاية جاليا بلجكا وكذلك اقام خطا من المراكز الحصينة فى المنطقة الممتدة من أعلى الرين حتى الدانوب وذلك ليقصر من عملية المواصلات وتدعيم الدفاع عن الجهة وعبر الدانوب الاوسط والادنى مجموعة من الشعوب القوية لم يصادف دومتيانوس نجاحا كبيرا فى مواجهتها وهى قبائل ماركومانى Marccmamini وقبائل الكيادى Qiadi وهى قبائل جرمانية تعيش فى اقليم بوهيميا ثم هناك قبائل الازاجوس Lazxgus بين الدانوب ونهر زايس thies وشعوب الداكيين وكانت هذه الشعوب الاخيرة اشد القبائل المقيمة على حدود الامبراطورية خطررة واكثرها نظاما وكن

يحكمها ملك قوى استطاع فى عام ١٨٥ ان يعبر نهر الدانوب فى ولاية ماليزيا Maelze حيث قتل الحاكم الرومانى واضطر الامبراطور ان يأتى بنفسه ليعد هذا الهجوم ونجح فى دفع القبائل الى ما وراء نهر الدانوب ولكن الجيش الذى ارسله لتعقبها فنى مع قائده وفى عام ٨٨ امكن للجيش الرومانى ان يستعيد مكانته فى منطقة هذه القبائل ولكن لشعوب الا رى وهى السالفة الذكر تحالفت ضد رسيا فجاء الامبراطور مرة اخرى واوقع بهم الهزيمة واخيرا ايقن انه يستطيع عن طريق التفاهم والدبلوماسية ان يتخلص من التهديد الذى يأتيه من منطقة نهر الدانوب فعقد صلحاً مع ملك اكيين وتسلم الاسرى الرومان مقابل اعتراف الملك بسيادة الرومان رسمية على اى حال فان الامور لم تعد الى وضعها الاول من الهدوء الا فى عام ٩٣ وستثبت الاحداث المقبلة ان تسوية دومتيانوس لم تضع حدا لخطورة القبائل التى ستصبح خطرا مسلحاً يهدد حدود الدولة الرومانية . على أى حال فان موليزيا قسمت الى ولاتين العليا والسفلى .

مصرع دومتيانوس اشتدت حركة العداء ضد الامبراطور خاصة آخر ايامه وكثر اتهام المواطنين بانهم يكنون له البغض والكراهية وطبيعى فى مثل هذه الظروف أن يعمل بعض خصومه الى احاله المؤامرات للفتك به من قبيل الدفاع عن النفس ومكان من بين المؤامرات مؤامرة دبرتها زوجته دونيتيا – وقائد الحرس البريتورى ٦ سبتمبر عام ٩٦ سقط الامبراطور نتيجة طعنة خنجر من قاتله وراحت تلاحقة لعنات مجلس الشيوخ الذى امر بعدم تخليد ذكره بل امر يرفع اسمه على المبانى العامه وما اليها .

تقد نظام البرنكبس

نظام البرننكبس بين النظرية والتطبيق العلم (نقد النظام)

عند وفاة دومتتانوس كان قد مضى على نظام حكم البرينكبس (المواطن الاول) ١٢٣ عاماً وخلال هذه الفترة باستثناء فترات من عامى ٦٨ ، ٦٩ (عام الاباطرة الاربعة) كان منصب البرنكبس وقف على اسرة اليوليين الكوليين (يوليوس كلوديوس) التى ضمنت سلالة اوغسطس القرابة او التبنى او الفلافيين وهى الاسرة التى اسسها فسباسيانوس وهذا يعكس مدى

التماسك الاسرى التى يجمع افراد الاسرة على الولاء لشخص الامبراطور - كما يعكس من ناحية رغبة البرنكيس فى أن يخلفه فى الحكم بعض ابناءه وبذلك يستطيع ان يؤسس اسرة حاكمة وقد تكون هذا هو عبر عنه فسباسيان بقوله اما ان ينتهى منصب البرنكيس الى ابنائه واما لا يخلفه من احد فى هذا المنصب - وازاء هذه الاتجاهات يصبح البحث عن حق مجلس الشيوخ فى ممارسة سلطته فى اختيار شخص البرنكيس غير ذى موضوع لذلك فان دور مجلس الشيوخ لم يتعدى منح الامبراطور السلطات القانونية وخلع القاب الشرف عليه فى حين ان الامبراطور كان من اختيار قوة خارجة عن سيطرة المجلس ولكن الاخذ بمبدأ الوراثة او الاصرار على ان يكون الحكم من اسرة يعنيها رفع عرش الامبراطورية اشخاصا غير جديرين بالمنصب مثل جايوس ونيرون ودومتيانوس الحاكم الاوتوقراطى النزعة بالرغم من أن نيرون كان امبراطورا مرهف الحس محباً للجمال مقدراً لاهمية الثقافة والحضارة وثمة نقطة ضعف اخرى خطيرة فى نظام البرنكيبس هو عدم وجود طريقة دستورية للتخلص البرنكيس اذا اساء التصرف ذلك ان سلطاته كانت لمدى الحياة وطالما انه متمتعا بتأييد الحرس البريتورى والاجهزة العسكرية فى الدولة ففى استطاعته الاحتفاظ بمنصبه وتحدى خصومه وهذا يفسد تلك المؤامرات الكثير التى استهدفت القضاء على شخص الاباطرة .

ان الفرق العسكرية كما حدث فى عام ٦٨ / ٦٩ خاضت تجربة فى محاولتها فرض حاكم بعينه على الامبراطورية الرومانية حتى ان أى رومانى يحس بالمسئولية كان عليه أن يفكر أكثر من مرة قبل الإقدام على تجربة مماثلة نظراً لأن عام الاباطرة الأربعة اعاد الى روما الحرب الاهلية بكل ضراوتها ومع كل هذه العيوب فأن هذا النظام ضمن مستوى معين من الكفاءة والعدل وهذا المستوى اصبح امرا ضروريا وشرطاً اساسياً يجب توافره فى شخص البرنكيس لذا فشل فى الوصول اليه حياته تتعرض للخطر دون شك ويجب ان تذكر فى هذا المجال أن ارتفاع سن لخلفائه حداً ادنى يجب عليهم مراعاته اذا ما حاولوا الاستمرار فى النظام الذى اقامه ويجب ان تذكر ايضاً ان مجلس الشيوخ يعتبر المعبر عن حقيقة مشاعر الطبقة الحاكمة والعناصر الممتازة فى الدولة فعندما امر بتاليه كل من كلوديوس وفسباسيان وتيتوس بعد وفاتهم فأن هذا يعتبر دليلا على أنهم حكموا حكماً دستورياً مستتير وعندما لطخ المجلس سمعة كايوس ونيرون ودومتيانوس فان هذا يعنى ان حكمهم لم يكن دستورياً بأى حال من الأحوال وعندما لعن المجلس

كل من تيبويوس وجالفا واوتو وفتليوس بدون ان يأمر بتأليتهم او بأمر اسمائهم فان هذا يعنى ان مجلس الشيوخ لم يكن على استعداد لأن يدينهم بصفة عالمية ويعنى انه يرفض الموافقة على اعتبارهم حكاماً صالحين .

وأخيراً كان يتحكم فى موقف مجلس الشيوخ نوع التقييم الذى يقيم به الأباطرة وطريقة حكم كل منهم وهنا يتصارع بشكل واضح رايان متعارضان :

أولاً : يعتبر ان منصب البرينكيس وظيفة عامة يشترط فى شغلها ان يكون الأول من المواطنين ومعنى هذا ان هناك حدود لا يجوز له ان يتعداها بحكم القانون وعليه ان يحكم مراعياً التقاليد الرومانية الراسخة التى توارثتها الأجيال الرومانية وهذا كان موقف كل من اوغسطس وتيبويوس وكلوديوس وفسباسيان وتيتوس .

ثانياً : فيتخلص فى أن منصب البرنكيس انما يشغله حاكم اوتوقراطى فى يده السلطة العليا ومجلس الشيوخ وكل الموظفين العموميين ما هم الا مرؤوسين له ومن حقه تجاهل العرف والسادات لانه ليس بموظف بالمعنى الرومانى المألوف ولكنه ملك من ملوك العصر الهلينستى وهذا يفسر سلوك كل من جايوس ودومتيانوس الذين طلبا الاعتراف بعباداتهما كألهين ومن الممكن ان تعتبر نيرون حاكما من هذا النوع بالرغم من أنه لم يلح كثيراً فى فرض عبادة على المواطنين الرومان .

- وبالنسبة لمجلس الشيوخ الرأى الأول هو الاصوب اى الحاكم موظف يباشر سلطاته فى حدود الدستور والقانون . أما الرأى الثانى بالمجلس يرفضه على طول الخط وهذا يفسر مقاومته للأباطرة الذين سلكوا مسلكاً اوتوقراطياً ويفسر الاضطهاد الذى حاق بالمجلس على عهدهم وعلى اى حال فأن منصب البرنكيس حقق لروما والامبراطورية نفعاً عظيماً ولا يمكن بحال العودة الى انظمة العصر الجمهورى بدون ان تكون هناك نفس الظروف التى اقترنت بها .

فترة جديدة من تاريخ الامبراطورية

من عام ٩٦ الى منتصف القرن الثالث تقريباً سنة ٢٣٠

من الممكن ان تقسم هذه الفترة الطويلة بين وفاة الامبراطور دومتيانوس عام ٩٦ ووفاة الامبراطو سيفروس اسكندر فى عام ٢٣٥ فترتين :

الفترة الولى :

بين عام ٩٦ ووفاة الامبراطور ماركوس اورليوس عام ١٨٠ وتتميز هذه الفترة بأن الامبراطورية الرومانية وصلت اثناءها الى اقصى اتساع واقترن ذلك بزيادة عدد السكان والرخاء المادى والذى تمتعت به روما والولايات وهذا يرجع الى نجاح الاباطرة فى تحقيق السلام فى شتى ارجاء الامبراطورية ونجاح الحكومة الامبراطورية فى ارساء قواعد الحكم الصالح حتى ان هذه الفترة تسمى بالعصر الذهبى للامبراطورية الرومانية لأنها لن تكرر مرة اخرى على النحو الذى كانت عليه الامبراطورية فى تلك الفترة .

الفترة الثانية :

فان الامبراطورية مرت بفترات اضطراب وعدم استقرار نتيجة للمظالم التى ارتكبت سواء فى روما او فى الولايات وتجدد الحرب الاهلية بين جيوش الامبراطورية والمتاعب الاقتصادية ثم تلك الازمة التى نشبت عن هذه العوامل مجتمعة والتى نشبت أيضاً عن ضغط الشعوب المتبربرة على حدود الامبراطورية ومصادرنا عن هاتين (الادبية) قليلة مثلا ديوكاسيوس الذى ينتهى تاريخه بعام ٢٢٢ والذى كتب عن هذه الفترة لم يبق من كتابية الاخرين ما يكفى صورة صحيحة عن الامبراطورية وهناك ايضاً كاتب اغريقى آخر هو شيروديان Heradisn الذى كان معاصراً لهذه الفترة التى نبحث فيها وكتب احداث وقعت بين عامى ١٨٠ ، ٢٣٨ ولكن ركز اهتمامه على حياة الاباطرة مبتدئا بحياة الامبراطور هدريان وجمع مادة لا قيمة لها وأن كان من الممكن لقول

انها تستند الى مصادر صحيحة ثم هنـاك وسـائل الكـاتب بلينـى الأصغـر Bliny وهـى عـبـارة عـن ملاءاته مع الامبراطور تراجان خلال حكم هذا الكاتب لولاية بثينيا Bithynis بيـن عـامى ١١١ ، ١١٣ ولذلك من الأفضل الاعتمـاد علـى النقـوش وأوراق البـردى والنقـود والمخلفـات المادية مـن مبانى وغيرها وهى كفيلة بأن تعطى صورة طيبة عن حضارة الامبراطورية الرومانية .

الامبراطور نيرفا Nerfa ٩٦ : ٩٨ .

قبل أن يدير قتله دومتيانوس مصرعه كانو قـد اختـارا خلفـا لـه مـاركوس نيرفـا وذلـك حيـن يضمنوا ان مجلس الشيوخ لن يعترض عليه فهو عضو مـن أعضـاء المجلس البـارزين بلـغ مـن العمر ستين عاما وينتمى من بعيد الى اسرة البوليين والكلوديين ثم انه اكتسب شـهرة واسـعة فـى الحياة السياسية ولكن لم تكن له أى خبرة فى مجال الحـرب والقيـادة العسكرية ونعـرف ان خبـرة الامبراطور فى المجال العسـكرى تستطيع ان تضمـن لـه طاعـة الجنـد مثلمـا كـان الحـال بالنسبة لدومتيانوس بالرغم من مساوءه وفى ذلك عندما مـارس مجلس الشيوخ سلطته الكاملـة فـى تعييـن نيرفا وتفويضه سلطات واسعة لم يحدث اى اعـتراض مـن قبـل الجيـوش الرومانيـة فـى الولايـات اومن قبل الحرس البريتورى فاذا يكون نيرفا بشخصيته الممتازة قد حصل على تأييد الولايات مـن طبقة الشيوخ الى جانب انه ضمن ولاء الجند ثم ان نيرفا تأكيدا منـه لاتجاهـه نحـو اقرار القـانون ولكسب مزيد من تاييد طبقة الشيوخ اقسم انه لن يصدر اى حكـم بـإعدام اعضـاء مجلس الشيـوخ وبايقاف العمل بالقوانين الخاصـة بالخيانة العظمى وقرن ذلك بأن اعاد الى روما نفر من السياسيين الذين نقوامنها فى العهود السابقة كما اعاد اليها الفلاسفة وسمح لأولئك الذين اضيروا نتيجة لوشاية المبلغين ان ينتقموا لأنفسهم فلما تجاوزوا الحد المعقول تدخـل الامـبراطور ليمنـع حـد لتصرفـاتهم المتفرقة .

وكان من الطبيعى ايضاً ان يعمل الامبراطور فى أن يجعل ايطاليـا تحـس بأنهـا علـى ابـواب عهد جديد من ذلك أنه توسع فى منع قرارات الاعفـاء مـن دفـع ضريبـة الخمسـة فـى الثمانـة علـى التركات كذلك عمل ان يدخل الطمأنينة الى نفوس المواطنين بأن يجعل الهيمنة فى جباية الضرائب لخزانة الدولة بدلا من أن تترك المسألة فى يد افراد قد يسيئون التصـرف نتيجة لجشعهم ثم سن .

قانونا يمكن ان نسميه بقانون الاصلاح الزراعى ليكفل توزيع القمح والغذاء على المواطنين الفقراء وفضلا عن ذلك خصص جانبا من موارد الدولة لسد حاجة المزارعين المعوزين .

ويبدوا ان هذه الفكرة نالت نجاحا حتى ان الاباطرة من بعده توسعوا فى تطبيقها بحيث يمكن ان يقال ان نيرفا ادرك ان الدولة مسئولة عن جميع مواطنيها وخاصة الفقراء .

يبدو أن النظم الدستورية والامانة التى اداربها الامبراطور شئون الامبراطورية واحترامه للقانون لم يفلح فى أن يفرض الحرس البريتورى التزام سياسة قائمة على احترام الاوضاع القانونية لذلك لأن هذا الحرس أقتصى لنفسه من قتلة دومتيانوس ما جعل فترة حكم نيرفا تتصف بأنها لم تعطى لنظام البرينكيس الهيبة الكاملة وكان ينبغى على هذا الحرس ان يلائم بين سلوكه وبين الروح العامة التى اراد نيرفا ان تسود فى روما بعد عصر دومتيانوس .

وتبين لمجلس الشيوخ ان هذا الامبراطور السن الذى لم ينجب ولدا لن يستطيع ان يضمن استقرار الامور من بعده الا اذا اتخذ منذ الان شخصا يستطيع ان يطمئن أنه سيسير بالامبراطورية فى طريق السلام لذلك عملا بنصيحة مجلس الشيوخ تبنى شخصية ممتازة عرف عنها الامانة والكفاءة فى شتى المجالات العسكرية والإدارية وهو ماركوس ليبيو تياجانوس Tiaganus (تراجان) وهو جندى مجرب كان يقود القوات الرومانية فى المانيا العليا ويستطيع ان يتحدى الحرس ويفرض عليه الطاعة ومنحة المجلس لقب قيصر ومنحت سلطة الامبريوم التى جعلت منه فى الواقع وميلا للامبراطور وذلك بالإضافة الى سلطة التربيونية .

مات نيرفا فى ٢٥ يناير عام ٩٨ وأضاف مجلس الشيوخ اسمه الى قائمة الاباطرة الذين رفعهم المجلس الى مصاف الالهة ولكن بالرغم من كل ما حدث يجب ان تقرر حقيقتين هامتين :

اولاً : ان عهد نيرفا يسجل عودة الاوضاع الدستورية فى روما الى الوضع السليم وذلك باختيار مجلس الشيوخ شخص الامبراطور .

ثانياً : أن مبدأ الوراثة هنا لا قيمة له انما الأساس هو الكفاءة بدليل ان تراجان لم يكن اصلا من روما بل هو مواطن لمستعمرة رومانية فى ولاية اسبانيا البعيدة وهذه المستعمرة هى اتلكا Itiica .

الامبراطور تراجان ٩٧ : ١١٧

تولى العرش مباشرة بعد نيرفا وهو كما قلنا مواطن من مستعمرة لتلكا الاسبانية البعيدة ومع ذلك استطاع فى الفترة التى كان فيها عضوا بمجلس الشيوخ ان يعطى لمعاصرية صورة مشرفة لأحد مواطنى الولايات الذين يعملون من أجل الامبراطورية جاء اختياره سابقة خطيرة بإعتباره انه اول مواطن لمستعمرة رومانية فى احدى الولايات يصبح امبراطور وأن كان هذا الاختيار يثير من ناحية اخرى الى مدى ما لحق العنصر الايطالى من ضعف تمثل فى أن طبقة النبلاء الايطاليين افسحت المجال لطبقة النبلاء فى الولايات وأن الدولة من ناحية ثالثة اعترفت بالأعمال الجليلة التى يقدمها افراد الطبقة الاخيرة من اجل الامبراطورية - وكان تراجان يمتلك صفات غير عادية تؤهله للمنصب الرفيع الذى اختير له فمكنه تواضعه من أن يعمل فى انسجام تام مع مجلس الشيوخ فى نفس الوقت باحترام الجنود والمواطنين على السواء وكان جنديا مشهورا بالبراعة فى التكتيك وكان اهتمامه اساساً موجهاً نحو المسائل المتصلة بالجيش وفى الوقت نفسه كان اداريا نشطا مدركاً لمسئولياته فكان يلم بكل شئون الدولة صغيرها وكبيرها ويفصل فى كل مشاكلها بكفاءة ممتازة لانه ادرك أنه عليه ان يمسك بزمام الامور بيد من حديد لانها هى الطريقة الوحيدة لالزام الحرس البريتورى بان يعدل من سلوكه العدوانى - كذلك انصراف الى تطهير الجهاز الإدارى فقدم للمحاكمة امام مجلس الشيوخ نفرا من الذين عرف استغلال مناصبهم ولكن هذه المحاكمات كانت تجرى فى جو من احترام القانون كذلك اعاد تراجان القسم على نحو ما فعل نيوفا بالايصدرحكماً باعدام احد الشيوخ ورغب فى ان يخلص روما من بعض التقاليد التى لم تعد تتفق مع مقتضيات العصر خاصة تلك التى تتعلق بشخصه فأمر بأبطال كل الحفلات التى كانت تقام من أجله على اساس أنه مؤله وفضل أن يحكم كجندى بسيط وليس هناك ثمة داعى الى تأكيد صفة الالوهية .

أما بالنسبة لسياسته العامة : فأننا نستطيع أن نتبين أنه سار على نهج نيرفا وخاصة فى اتباع السياسة الرحيمة نحو الفقراء فجعل اعمال البر فى البلديات عملا من أعمال الدولة وقدمت الخزانة تروضا لاصحاب الأراضى بفوائد بسيطة وكان يستخدم الاموال التى تؤول الى الدولة عن هذه الطريقة فى اعانة الفقراء اوابنائهم فى الولايات وفى نفس الوقت كان عليه ان يهتم بمسألة التناقض المستمر فى سكان ايطاليا فتنظم عملية توزيع القمح بحيث يمنن ان تشمل عدد كبيراً من ابناء الفقراء وذلك حتى يشجع الاسر الايطالية على الإكثار من النسل .

وفى الواقع أن مشكلة تناقص سكان ايطاليا كان لابد وأن تقابل بحل سريع لها و لا طغت طبقات المواطنين فى البلديات والولايات على الامبراطورية بذلك المكان الأول بدلا من الايطاليين أما القروض التى قدمها للمزارعين فكان الهدف منها تدعيم النشاط الزراعى فى ايطاليا ووقفت الازمات الاقتصادية حتى تستطيع ايطاليا أن تقف فى وجه منافسيها من بعض ولايات الامبراطورية .

ويمكن أن نلمس مظهراً آخر فى سياسة البر والاحسان التى سار عليها الامبراطور فى محاولته انعاش مالية البلديات وخاصة تلك التى نامت بعبء الديون التى فرضت عليها نتيجة لسوء ادارة الحكام واسرافهم فى انشاء المبانى العامة لذلك عين الامبراطور مندوبين عنه يحملون لقب كوراتور Curator لإرشاد حكام البلديات او ليتولوا بانفسهم ادارة شئونها وامتد هذا التقليد الى مدن الولايات وفى بعض الأحيان كان الامبراطور يرسل بعض الموظفين لحل المشاكل الخاصة فى بعض البلديات كما فعل بالنسبة لمدن اخايا فى بلاد اليونان او كان لحياناً ينحى مجلس الشيوخ عن ادارة بعض الولايات التى ساءت احوالها ويعين من قبله حاكماً عليها مثلما حدث فى ولاية بثونيا التابعة لمجلس الشيوخ عندما ارسل بلينى الأصغر لينقذ هذه الولاية من الفوضى التى استثمرت (انتشرت) فى بلدياتها . مظهراً اخر من مظاهر اهتمام برخاء الولايات .

يتمثل فى تحسين طرق المواصلات فى شتى ارجاء الامبراطورية والربط بين الولايات وبين روما بطرق معبده وذلك بترميم الطرق القديمة وانشاء عدد جديد من الطرق وكانت تهدف اصلا الى خدمة الأغراض العسكرية ولكن مالبثت ان أصبحت هذه الطرق أحد الوسائل لتنمية موارد الدولة اذ كان لها افضل الاكبر فى تيسير نقل السلع وتسهيل عملية السعر من ايطاليا او بالعكس وتشجع تراجان عملية تشييد المبانى العامة واهتم بإقامة عدد من الجثور والقنوات وتحسين الخدمة فى موانى ايطاليا وموانى الامبراطورية وزود المدن بمجارى لنقل المياه للشرب وشهدت روما عملية تشييد مبانى غاية فى الروعة لعل من اشهرها وأهمها فورم تراجان العظيم (سوق) وتوسع ترلجان الى جانب ذلك فى عملية توزيع الأموال مع اهتمام بتزويد روما بالقمح بكميات وفيرة وذلك بإصلاح ميناء اوستيا حيث كان يرد القمح من شتى ارجاء الامبراطورية وشجع ايضاً العاملين فى صناعة طحن الغلال وصناعة الخبز وتمتعت روما فى عهده بفترة بهيجة لعل احسن شاهد عليها تلك الحفلات التى اقيمت فى عام ١٠٧ بمناسبة النصر الذى احرزه تراجان فى داكيا

Dacia اذ استمرت الحفلات التى اقيمت ١٢٦ يوما ضمنت بمصارعات (حفلات المصارعة) بين المجاهدين (المصارعين) ما بين المصارعين والحيوانات المفترسة ... الخ .

السياسة التوسعية :

من الواضح أن تراجان خالف القواعد التى كان اوغسطس قد وضعها لسياسة الرومانى – وذلك فيما يبدو أنه واثقا من قدرته وكفاءته العسكرية فعاد الى سياسة التوسع التى كانت روما تتبعها فى العصر الجمهورى تلك السياسة المتسمة بالعدوان .

١ – وكانت منطقة داكيا Dacia هى المنطقة التى اختارها ليؤكد سيادة روما وكان الامبراطور دونتيانوس قد عقد مع ملكها ديكبالوس Dikapalus اتفاقية تنص على اعتراف من هذا الملك بسيادة روما مقابل تعهد روما بان تمده ببعض الفنيين والمهندسين لتنفيذ بعض المشروعات فى المنطقة ولكن هذه الاتفاقية لم ترض مجلس الشيوخ واعتبرت فى روما اتفاقية لم يراع فيها الامبراطور كرامة روما والشعب الرومانى وهى من جهة النظر العسكرية الرومانية غير مرغبة لان وجود دولة قوية فى داكيا يشكل خطرا دائما بالنسبة لا من ولايات الدانوب السفلى ومن غير المعروف لنا الاسباب المباشرة التى دعت تراجان الى نقض تلك الاتفاقية والزحف على هذه المملكة فى عام ١٠١ وقد قاومه الملك مقومة عنيفة بحيث ان تراجان لم يفلح فى احراز اى نجاح فى حملته تلك .

وفى العام التالى وفق تراجان بإنتخابه اقليم داكيا وانزله هزيمة بالملك الذى لم يريد من طلب الصلح وتنازل هذا الملك عن الكثير من مظاهر سلطاته واعاد الى روما الفنيين والمهندسين الذين كانوا يعملون فى خدمته وكذلك اعاد الى روما الالات الحربية التى كانوا قد امدوه بها على عهد دومتيانوس .

وقد عاد تراجان الى روما واحتفل بالنصر وامر بتشييد جسر من الحجر على نهر الدانوب ليسهل عملية الاتصال بين .

ولم يقنع ملك داكيا بأن يظل تابعا لروما فاستأنف القتال فى عام ١٠٥ واباد الحامية الرومانية التى كان تراجان قد تركها فى داكيا للمحافظة على نفوذ روما وبادر تراجان بالزحف على داكيا وانضمت اليه القبائل التى كانت تقيم قريبا من هذا الاقليم واستولى فى هذه اللحظة على عاصمة

داكيا وانتحر ملكها وكان تراجان قاسيا فى معاملة اهل داكيا بعد هذا الانتصار الذى تم فى عام ١٠٦ فقتل الكثيرين من أهل الاقليم الذين رفضوا الاستسلام وتحولت داكيا لتكون ولاية رومانية واتى بها تراجان بمستعمرين من مختلف ارجاء الامبراطورية ووضع يده على مناجم الذهب فى هذه الولاية التى امدت روما بموارد منتظم من الذهب واستعان تراجان بهذه الثورة الجديدة على مواجهة نفقات التشييد والبناء فى روما والولايات .

المهم ان ولاية داكيا اصبحت ارتكاز للدفاع عن حدود الامبراطورية فى جهة الدانوب الى جانب انها كانت عاملا مهما ساعد على التحكم فى القبائل البربرة التى كانت تعيش الى الشرق أو الغرب من الولاية الجديدة وخلد نصره العظيم بإقامة عمود من الحجر يبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر فى الفورم الجديد الذى يحمل اسمه .

٢ - شمال افريقيا :

استمر تراجان يمارس السياسة الرومانية فى شمال افريقيا وخاصة فى منطقة نوميديا (الجزائر) اذ تقدم بحدود هذه الولاية الى حدود الصحراء الكبرى فى الجنوب ومهد اراضى جديدة تصلح للزراعة لتشجيع استقرار بعض الاسر من سكان تلك البلاد وذلك تمشيا مع السياسة الرومانية العامه التى تشجع استصلاح الاراضى وانتزاع اكبر مساحة ممكنة من الصحراء وتحويلها الى اراضى زراعية تساعد على استقرار جماعات يشتغل اهلها بمهنة الزراعة وكان لابد من أن يوقف خطورة القبائل الصحراوية لذلك عمل على تركيز خطط الدفاع العسكرية فى بعض المناطق المتقدمة فى الصحراء مستعينا بالفرق الرومانية والمركز العسكرى المهم فى نوميديا هو Lanbssis ذات الموقع الاستراتيجى الهام والتى لاتبعد كثيرا عن مستعمرة تيباد .

٣ - بارثيا :

فى الفترة التى شغل فيها تراجان بحملات على داكيا وجد لديه وقت متسع لحل مشاكل حدود الامبراطورية فى الشرق .

فى عام ١٠٥ امر حاكم سوريا بأن يضم مملكة النبطيين التى تقع جنوب شرق سوريا وفلسطين ونظمت هذه المنطقة لتكون ولاية رومانية باسم ولاية بلاد العرب وذلك فى عام ١٠٦ وامتلاك هذه المنطقة اعطى لروما كسبا هائلا اذ تمكنت عن طريقها من التحكم فى طرق القوافل التى تصل بين ساحل البحر الاحمر وبين دمشق وموانى سوريا .

اراد الامبراطور ان يعزز وسائل الدفاع عن حدود ارمينيا ، ميزوبوتاميا (بين النهرين) وذلك بإقدامه على غزو المناطق المتاحة لهاتين المنطقتين وحانت الفرصةفى عام ١١٠ عندما اقدم ملك بارثيا على عزل حاكم ارمينيا الذى كانت روما تقوم تعيينه وعين ملكا آخر كان ينتمى الى البيت المالك فى بارثيا مخالفا بذلك التسوية التى كانت قد عقدت بين روما وبارثيا فى عهد الامبراطور نيرون .

ومما اغضب تراجان ان اهل بارثيا اجروا مفاوضات مع ملك داكيا ولذلك عمل الامبراطور على وضع تسوية نهائية تكمل ضمان أمن المنطقة وتأكيد السيادة الرومانية على اسس جيدة فقام فى صيف عام ١١٣ بغزو ارمينيا وعزل ملكها وحولها الى ولاية رومانية حكمها الامبراطو ثم زحف فى اعالى ميزيوتاميا حيث اعترف بسيادة روما بعض مناطق هذا الاقليم .

وفى الواقع كان ينبغى الا تترك هذه المنطقة فى يد البارثيين ولذلك فأن الامبراطور حولها الى ولاية رومانية كما فعل بالنسبة لارمينيا وقضى شتاء عام ١١٤ - ١١٥ فى انطاكية واضاف الى القابه الرسمية لقب (Cptimus - الاعلى - الممتاز) وفى ربيع ١١٥ قام بالزحف فى منطقة نهر دجلة وغزا المناطق المحيطة بأعلى هذا النهر وحولها الى ولاية رومانية باسم ولاية Assyris (منطقة اثور) وبذلك اصبح الطريق مفتوحا امام الرومان للوصول الى مدينة Atesifhio عاصمة بارثيا التى استسلمت بمجرد اقتراب الامبراطور منها ومن هذه المدينة زحف الامبراطور جنوبا بحرا فى نهر دجلة حتى بلغ الخليج العربى ومن هناك ذهب الى بابل حيث بلغته انباء ثورة اشتعلت فى ولايتى اشور وميزيوتاميا وعلم ايضا ان جيشا بارثيا يتقدم لتأييد الثوار وكان لموقف فى غاية الحرج والخطورة بالنسبة للرومان لان تراجان لم يمكن لاستقرار الوجود الرومانى كما كان تقدم سريعا دون ان يهتم بتوطيد حاميات رومانية فى تلك المناطق وربما تساعد على نجاح هذا الزحف السريع أن ملك بارثيا كان مشغولا ببعض المشاكل الداخلية مملكته اما الان فقد اصبح فى امكانه مواجهة الرومان والدفاع عن مملكته ولكن تراجان وقواته اثبتوا انهم اكفاء لمواجهة

الموقف واستعاد الامبراطور السيطرة على كل من شمال ميزوبوتاميا ولذلك فانه عهد بحكم المنطقة الى احد نبلاء بارثيا الذى كان قد هجر قومه وانضم الى الرومان فتوح فى العاصمة البارثية بوصفه ملكا على بارثيا وتابعا لروما ومن ثم انسحب الامبراطور الى انطاكية ويبدو ان الذى حمل الامبراطور على الا يحاول بصورة اكثر جدا استعادة النفوذ الرومانى فى المنطقة انها هى ثورة اليهود التى بدأت فى برقة فى عام ١١٥ – وامتدت بسرعة الى كل من قبرص ومصر وفلسطين وأرض الجزيرة وتحولت الثورة من مجرد صدام محلى الى اتحاد سافر لقوة روما وسيادتها ولذلك فان الامبراطوروجد لزاما عليه ان يخمد هذه الثورة بأسرع ما يمكن فانصرف اليها بكل امكانياته ونجح فعلا فى هذه المهمة فى معظم المناطق بحل كلها ماعدا مصر اذا استمر القتال مع اليهود فى عهد خلف الامبراطور هادريان .

فى اوائل عام ١١٥ كان الامبراطور قد اعد العدة لغزو منطقة ميزيوتاميا تدعيما لحكم ملك بارثيا لكن المرض فاجأه فذهب الى انطاكية ومنها الى روما ولما اشتد عليه اوصى قائد بالتبنى عرف بالخبرة العسكرية الممتازة وكان يتصل به عن طريق المصاهرة هو هادريان الذى تولى الحكم بعد تراجان وهكذا قضى هذا الامبراطور الذى اشاع فى روما شعورا بالحكم العادل المستنير واستحق لقب برنكبس اوبتيموس وترك فى اذهان معاصريه صورة مشرقة للحاكم العادل الرحيم .

رسالة بلينى الاصغر الى تراجان :

لقد اخضعت نفسك للقانون الذى وضع قيصر اسمه والذى ربطها شخص البرنكبس بالدولة وحدد مسئولية ولكنك لم تمضى فى انضيف الغ حقوقك المزيد ولكننا نحن الذين كما نرغب فى ، نمنحك من الحقوق اكثرها والتى لا سمع لاول مرة واعلم للمرة الأولى ايضا ان القوانين فوق البريكيس او شخص البرنكيس وليس البرنكيس فوق القوانين .

وما ان غرب اول يوم ايام قنصليتك عندما دخلت مجلس الشيوخ وطلب الينا بأن نيتعيد حريتنا وان بواجهاتنا كشركاء فى ادارة شئون الامبراطورية وأن نتحدث بينك وبيننا حديثا صريحا وأن نراقب الشئون العامة للدولة وكل الاباطرة قبلك قاموا بنفس الشيء لكنهم لم يؤمنوا بحرف

واحد مما قالوا ونحن نتبعك لا عن خوف بل اننا لسعداء فى أن نسير وراءك حيثما تدعونا قد امرتنا ان نكون احرار وهكذا سنكون وقد امرتنا بأن نعبر عن رأينا بحرية تامة وسنفعل لا عن جن ولكن عن اقتناعك من جانبك بما ينبغى ان يكون الحاكم وليس بقازنا صامتين حتى الان الا ان النزاع والخوف قد قتل فينا الحكمة والصواب وجعلنا نصرف اعيننا واذ اننا وازهاننا من الدولة ولكننا اليوم ونحن نستند الى وعودك قررنا ان نفتح شفاهنا التى ظلت مغلقة لفترة طال فيها استبعادنا وسوف نعلق السنتنا التى كانت شفت نتيجة لتلك المساوئ الكثيرة التى مارسها اسلافك .

هنا صورة لابى الدولة او لوالد الشعب كما رأيتها واضحة فى اقواله وطريقته وخاطبته لابناء روما أن لافكاره وزنا اى وزن وكلمات لصلية ايما اصاله وصوته منعم بالحماس والرهبة ووجهة يحمل ملامح من العزيمة والتصميم (والاخلاص يبتدى فى نظراته وفى لمسائل المتصلة بالقضاء اننا لتلمس الحزم الذى تمارسه ولكن فى رفق فيالها من قوة لا يشوبها اى ضعف وانك لا تجلس لتحاكم الناس لتملاء خزانك بالمال وانك لاترجو اى جزاء عندما تصدر حكما عادلا سوى انك تريد أن تحكم حكما عادلا وانك فى الواقع وحقا تمتلك كل الصفات التى ينبغى ان يتحلى بها البرتكيس بل والتى يجب أن يتحلى بها الاله وانك لجديرة بكل ما يمكن ان يعترف به الشعب لحاكم مثلك من الواضح ان تراجان ترك فى نفوس الناس اثرا عميقا انعكس على تعبيرا بليتى وغيره من الشعراء والفلاسفة .

الامبراطور هادريان :

تولية الامبراطور – تعرف ان تراجان قد تبناه وهو فى النزع الاخير وهو ابن لاحد ابناء عم تراجان – تزوج من حفيده لشقيقه تراجان وعمل مع ترلجان منذ صباه وبرز فى الناحية العسكرية ومع ذلك فان تراجان لم ينص فى اثناء حكمة على ان يكون خلفا له ولم يشركه فى سلطة الامبيريوم او التريبونية اذا لم نصدق الرواية القائلة بان تراجان قد تبناه فانه من الواضح انه كان الشخص المناسب لمنصب الامبراطور فجاء اختياره بوصفه قائد عسكريا امرا منطقيا يتفق مع مقتضيات الموقف ولم يتردد مجلس الشيوخ فى ان يعتمد تعيينة امبراطور مع تخويله السلطات القانونية والذى عارض فى توليته الحكم انما هم اربعة من قادة الجيش حاكمهم مجلس الشيوخ واصدر حكمه بإعدامهم وذلك قبل قبل وصول هادريان الى روما . وما وصل الى روما حتى

منح الجنود منحا سخية واحترم حرية المواطنين الرومان وتجاوز عن الضرائب المتأررة التى كانت قد فرضت فى ايطاليا والولايات بالنسبة للخمس سنوات الاخيرة .

استمر هادريان فى متابعة سياسة تدعيم الحكم فى الولايات واعطائه مستوى عال من القدرة بحيث انه من الممكن القول ان نفوذ الولايات بصفة عامه ونفوذ الولايات الاسبانية بصفة خاصة بدى واضحا فى نظام حكم الامبراطور كذلك فان هادريان اعطى لمنصب الامبراطور صبغة تتفق مع النمو المضطرد للامبراطورية مع العالمية التى اصبحت عليها الامبراطورية وتلقى الامبراطور ثقافة اغريقية لذلك فهو يكن اشد الاعجاب لكل ما هو اغريقى وكان يهتم بكل ما يتصل بالحضارة الاغريقية الرومانية وان كان هذا الاهتمام قد اثار سخرية بعض الدوائر فى روما – كان هادريان نشيطا لا يستقر على حال وعلى جانب كبير من الحيوية وكان مبدأه ان الدولة لم توجد من أجل الحاكم ولكن الحكام هو الذى يوجد من أجل الدولة وعليه تمسكه بهذا المبدأ بوضوح فى طريقة ثقافية فى تأدية واجهة ولذلك ليس هناك اى فرع من فروع الادارة الحكومية لم يظهر فيما هادريان رغبته مخلصا فى الرقى بهذا الفرع بل أنه وعد على ذلك بقيامه برحلات فى شتى ارجاء الامبراطورية ليكون على دراية تامه لكل مايجرى فيها قام بالرحلة الاولى فى عام ١٢١ : ١٢٦ والرحلة الثانية من عام ١٢٩ : ١٣٢ اى انه قضى نصف مدة حكمة متجولا فى ولايات الامبراطورية وقد التزم الامبراطور فى تعامله مع مجلس الشيوخ نفس السياسة التى انتهجها تراجان بان اظهر احتراما كبيرا واحتفالا واضحا بمجلس الشيوخ ومقرراته واقسم بالا يحكم على اى عضو من اعضاء المجلس بالإعدام وبر بقسمه ومع ذلك فانه لم يعط الفرصة للمجلس ليلعب دورا ذا اهمية فى شئون الامبراطورية ولشدة انشغاله فى شئون الامبراطورية لم تنسبه الاهتمام بنشاطه الفنى والأدبى بل مارس بنفسه بعض ضروب الفن .

سياسته فى الدفاع عن الامبراطورية :

يمكن ان توصف سياسته فيما يتصل بالنواحى العسكرية والدفاعية فى انها تختلف بعض الشىء عن سياسة سلفه فهو يرى ان غزو تراجان لبارثيا قد ارهق حق الخزانة الامبراطورية ولم تحقق الغرض المنشود منها فبقيت مشكله الحدود الشرقية بدون حل وبين له ايضا ان من الصعب الاحتفاظ بأرمينيا وميزيوتاميا وبالتالى لم (يكن فى امكان الامبراطورية ان تقيم بصفة دائمة

حاكما تعضده لحكم بارثيا لان احتفاظ مثل هذا الحاكم بعرش بارثيا اننا يعتمد على الوجود الرومانى المستقر فى المنطقة بالاضافة الى ذلك واجه الامبراطور اضطرابات فى منطقة الدانوب الادنى وفى بريطانيا وفى موريتانيا ولم تكن ثورة اليهود وخاصة فى مصر قد اخمدت بعد فكان لابد من اقرار السلام فى كل هذه الجهات ولم يتردد الامبراطورية فى عقد صلح مع اهل بارثيا وتنازل عن ولاية اسور وميزوبتاميا وجعل من ارمينيا مملكة تابعة تحت حكم بارثيا اعتراف بسيادة روما وبهذا العمل كان الامبراطور ملتزما بالسياسة الرومانية التقليدية قبل تراجان وبذلك اتيحت الفرصة لها بسريان بان يمارس سياسة دفاعية صريحة وكان هدف ينشىء دولة تعيش فى سلام ورخاء بكل لها الحماية من أى هجوم يأتيها من الخارج مع تسخير كل امكانياتها الى أقصى حد لتنمية مواردها الاقتصادية ويهيء لها من الأسباب ما يكفل لها الى فى مجال الحضارة والمدينة ولذلك فأنه دعم خطوط الدفاع عن حدود الامبراطورية وزاد فى قوة الحاميات وخاصة فى بريطانيا حيث امر بانشاء حائطه (سوره) الذى تدافع عنه فرق عسكرية ثابته وكذلك اقام حائطا مشابها على خطوط المانيا وبذلك تحولت القوات الامبراطورية فى مناطق الحدود الى حاميات تقيم بصفة دائمة وزاد الامبراطور من الاهتمام بمستوى التدريب لجنودها مما يستطيع ان يحقق الأمن والاستقرار الذى ينشده الامبراطور ٠

كانت أكبر مشكلة واجهت هادريان تجدد ثورة اليهود فى مصر بزعامة شخص يدعى شمعون الملقب بباخرشيما وكان هدف هذه الثورة تحرير اليهود من سيادة الحكام الوثنين فهى دعوة الى الخلاص (من الوثنية) ورد الامبراطور بكل عنف بعد أن استغرق اخماد الثورة سنتين ١٣٢ / ٢٣٤ بأن اقام على موقع على هيكل سليمان مديحا للاله جوبيتر وحرم على اليهود دخول اورشليم الا فى التاسع من شهر اغسطس ٠

الاصلاحات الإدارية :

اهتم التشريع وما يتصل به من مشاكل فكون لجنة من المشرعين جمعت بعض فقهاء القانون الرومانى وبصفة خاصة الخطيب جالوس جوليانوس الذى نشر مجموعة قوانين على شكل قرار او مرسوم عرف بأسم (مرسوم البريتور) وهو يتضمن قواعد القانون المدنى عند الرومان .

ومن أجل تيسير المسائل المتصلة بالقضاء وتطبيق العدالة – قسم الامبراطور الى عدد من المناطق عين لكل منها مشرف قضائى ومن رأى البعض يعتبر هذا العمل خطوه فى سبيل لتخلص من سيطرة مجلس الشيوخ من الناحية الإدارية على ايطاليا لان تقسيم ايطاليا الى مناطق ادارية وتشريعيه يضعف بالفعل من تدخل مجلس الشيوخ فى الشئون القضائية والإدارية خارج مدينة روما .

ويمكن أن نتابع الحديث عن اصلاحات اخرى استحدثها هادريان بالنسبة للإدارة المالية واقامة هيئة من السكرتارية تختص بكل ما يتصل بالخزانة وبالمراسلات الامبراطورية ولوجد طبقة جديدة من الموظفين تكون فى خدمته لتمكين الخزانة فى المسائل المتعلقة بالقيادة العسكرية اهتم هادريان بعد ذلك بانشاء الكثير من المبانى العامة فى روما واهتم بانشاء المدن الجديدة ونكتفى أن نذكر من بين هذه المدن مدينة هادريان وبوليس فى تركيا الارمينيه وانتيوبوليس فى مصر ومدينة اخرى باسم هادريان نوبوليس ايضا فى برقة وذلك لتعمير هذا الجزء بالعناصر الإغريقية بعد ان قضى اليهود فى ثورتهم الكبرى على عدد كبير منهم .

وكان بمدينة اثينا ، تقلد منصب الارخون وحيث اكمل معبد زيوس الاولبى الذى كان قد بدأه بازنتراتوس طاغية اثينا فى القرن الثالث ق .م كما أنه قد اضاف حيا جديدا للمدينة عرف باسم هادريان وأقام معبد فى روما مزدوجل للربه فينوس والربه روما فضلا عن اقامته وشيد لنفسه فى تيبور (ديفورى الحالية احدى ضواحى روما) فيلاتشهد بكل ما وصل اليه فى الحضارة والنحت عند الرومان فى القرن الثانى .

اختيار خلف لهادريان :

لم ينجب هادريان اى وريث كما أنـه لم يترك اصدقـاء يثق بهم لتكملة خططـه ومشـاريعه ولذلك فأن عزلته تلك سببت تشكك بعض اعضاء الشيوخ فى سلوكه وما لبث هذا الشك ان تحـول الى يقين .

وفى عام ١٣٦ اصابه المرض الذى كـان نذيرا لـه فى ان يختـار مـن سيخلفه علـى عرش الامبراطوريـة واختـار شـخصا يدعـى Commedun وكـان عضـوا فـى مجلس الشـيوخ فـى جعـل المجلس يمنحه السلطات التربيونية ولكنه مات عام ١٣٨ فاختاروا عضواً من الشيوخ آخر يدعـى تيتوس اورليوس انطونيوس T . Aurleius وكان ينتمى الى اسرة رومانية مـن منطقـة ولايـة بـلاد الغال هى تاريوتبس ولما كان هذا المرشح متقدما فى السن فان هادريان حمله علـى ان يتبـنى ابـن كردوس واسمه لوكيدس بيروس L . pearus ومـاركيوس ادريليـوس انطونيـوس قريـب لزوجـة الامبراطور ومن اصل اسبانى منح سلطات الامبريوم والتربيونية واصبـح شـريكا لهـا دريـان فـى حكم الامبراطورية . وفى ١ يوليو ١٣٨ مات هادريان .

اسرة الانطونيين ١٣٨ / ١٩٢

انتونيـوس (بـايوس) (Antaninus (Pius ١٣٨ / ١٦١ اصبـح اورليـوس انطونيـوس هـو الحاكم الوحيد فى الامبراطورية واستطاع ان يحصل من مجلس الشيوخ على لقب بـايوس Pius باعتباره الشخص الذى يتمثل فيه فنصلية التقوى كما يتمقلها الرومـان او كمـا رأهـا فضيلـة العمـل فى الشئون الدينية والدنيوية بما يرضى الالهه وتمثلت هذه التقوى فـى اكمالـه لضريـح الـذى بـدءه هادريان (معبد او يعرف بأسم هادريان المؤلمه) .

وكان الامبراطور الجديد معتدلا فـى سياسـته ومتسـما فـى حياتـه الخاصـة والعامـه بالسـمعه الحسنة ويغلب الاعتدال على كل تصرفاتـه وكـان يعمـل بانسـجام تـام مـع مجلـس الشـيوخ ولذلـك استجاب لرغبة هذا المجلس فى الغاء القضاء الاربعة الذين عينهم هادريان فى الاقسـام الـتى قسـم اليها ايطاليا وبذلك بدون هـذا اول نجـاح لمجلس الشـيوخ فـى محاولـة استعادة سيطرته الادارية والقضائية فى ايطاليا ولكن بصفة عامه ان سياسة انطونيوس استمرار سياسة هادريان ولو انه

شغل بمحاولة القضاء على الفتن التى نشبت فى بريطانيا وموريتانيا وقاوم محاولات بارثيا فى الاعتداء على حدود الامبراطورية ووضع حد لبعض الاضطرابات فى ولايات الشرق غير أنه بصفة عامه التزم سياسة الدفاع كما فعل هادريان .

وكذلك قام بعدد من الرحلات فى ارجاء الامبراطورية لا شك انها لوتمت على النحو الذى اراده هادريان لانتعشت الادارة الرومانية فى الولايات ولكنه عدل واراد ان يقوم برحلات فى الامبراطورية لكنه رأى انها ستكلف خزانة الدولة وهو الحريص عليها وهو ايضاً حريص بان يرضى شعب روما بإقامة المبانى العامه ولكن ينبغى ان نذكر ان هذا الامبراطور كان يراعى العدل فى كل ما كان يتصل بإدارة الامبراطورية .

وفى عام ١٢٩ منح ماركوس اورسليوس اكبر شخصين من الذين تبناهما سنا ، لقب قيصر وزوجة من ابنته وفى عام ١٤٦ جعل مجلس الشيوخ يمنحه السلطة التربيونية والاميريوم خارج روما (الإبن المتبنى) وبذلك يكون ماركوس هذا شريكا لانتونيوس الحكم ولما توفى الامبراطور فى ١٦١ أصبح ماركوس اوريليوس الامبراطور الجديد فى روما .

الحكم المشترك بين ماركيوس اوريليوس ١٦١ / ١٨٠ لوكيوس فيروس ١٦١ / ١٦٩

للمرة الاولى يحكم الامبراطورية اثنان من الاباطره وان كانت السلطة الحقيقية فى يد ماركوس اوريليوس وذلك لضعف فيروس وكسله وانصرافه الى شهواته .

وكان ماركوس بطبيعته محبا للدرس فيلسوفا رواقيا بكل معانى الكلمة ولم يكن الباعث له على حكم الامبراطورية حكما صالحا طموحاً منه او حاسما بل كان يعتقد ان حكم الامبراطورية واجب ان ينهى به بكل اخلاص وان يكرس نفسه لتحقيق هذه الغاية وقد تكون من الامور المثيرة

للسخرية ان هذا الامبراطور الذى خلق السلام قضى سنواته الاخيرة فى حرب وصراع لانقاذ الامبراطورية من اعدائها الخارجين .

الحرب مع الباثيين ٦١ / ٦٥ .

فى بداية عهد الامبراطور بدأ فولوجاسس الثالث Volagoses ملك بارثيا سلسلة من الاعمال العدوانية لغزو ارمينيا واستطاع فى فترة وجيزة ان يحقق هذا الهدف وأن يهزم الحامية الرومانية فى سوريا وان يجتاح اراضيها مما اضطر الى أن يرسل فيروس الى الشرق ولكنه لم يبذل اى نشاط وانصرف الى ملذاته ان قادة الجيش الرومانى اعادوا الى روما هيبتها فعاد النفوذ الرومانى من جديد الى أرمينيا ولكن عندما اضطربت الاحوال مرة اخرى فى المنطقة ١٦٤ / ١٦٥ ارسل الامبراطور قائده المشهور افيديوس كاسيوس A. Cassius فزحف الى ارض الجزيرة حيث استولى على سلوقية نسيبون Isiphon عاصمة البارثين ولكنه لم يجنى ثمار نصره لانتشار الوباء بين جنوده فبادر الى الانسحاب فهلك اثناء ذلك عدد كبير من الجند راحوا ضحية المرض والجوع وتمكن البارثيون من السيطرة من جديد على ارمينيا وارض الجزيرة ولكن فى عام ١٦٦ تمكنت روما بفضل اصرار الامبراطور على أن يستعيد شمال ميزويوتاميا ولكن ما كسبته روما من وراء حملاتها لم يعوض الخراب او الفوضى التى انتشرت فى شتى ارجاء الامبراطورية والرعب الذى انتشر بين سكان الولايات نتيجة لانتشار الطاعون وربما الجدوى وقد عاد الجنود من الشرق بهذين المرضين وكانت النتيجة ان هلك عدد كبير من سكان الامبراطورية وسكان ايطاليا واهلك خلال عام واحد اكثر مما اهلكته الحرب .

الحرب فى جهة الدانوب ١٦٧ / ١٧٥ :

قبل ان تستقر الاوضاع تماما فى الشرق بدأت المتاعب فى جهة الدانوب اذ وحدت القبائل الجرمانية صفوفها وشنت هجوما مركزا على الولايات الرومانية ومن بين هذه القبائل الماركومنى Marconii والكوادى Qidi واللتيجرى Latygers ولم يكن جيش الدانوب مستعد لمواجهة هجوم عنيف من هذا النوع ذلك لتغيب بعض الفرق التى سحبها الامبراطور لتحارب فى الشرق

واستطاعت القبائل بالفعل ان تجتاح بعض الولايات وخاصة انونيا ووصلت بسرعة الى ساحل بحر الادرياتيك وكان الموقف حرجا بسبب الحاجة الى مزيد من القوات وبسبب الوباء فضلا عن ان الخزانة الرومانية لم تعد قادرة على مواجهة نفقات الحرب واضطر الامبراطور ان يتخذ اجراءات استثنائية فباع بالمزاد العلنى كل ما فى القصور الامبراطورية من تحف وادخل العبيد والمجالدين (المصارعين) فى صفوف الجيش واستاجر منبزقة من الجرمان والاسكوديين .

وكان ماركوس اوريليوس يتولى القيادة بنفسه ومعه فيروس واستطاع ان يستخلص بعض المناطق التى احتلها الجرمان على ساحل الادرياتيك ثم زحف شمالا ليستخلص منهم انونيا وفى اثناء ذلك مات فيروس واستمر الامبراطور يطارد هذه القبائل عبر الدانوب وفى عام ١٧٢ استطاع بالفعل ان يسيطر على الموقف وان يجتاز نهر الدانوب وأن يوقع الهزيمة بقبائل الكوادى ثم قبائل الماركومادى ثم استرد منهم الاسرى الرومان واستولى على عدد كبير من الغنائم والزم هذه القبائل ان تقدم الى روما مساعدات عسكرية وتوصل الى اتفاق معهم يقضى بأن يستقر بالارض البور ولايات الدانوب عشرة الاف من افراد هذه القبائل يقومون بزراعة هذه الارض ويستدعون للخدمة العسكرية فى الجيش الرومانى . واضطر مرة اخرى ان يعود ليقاتل هذه القبائل من جديد ولم يجد بدا من ان يفكر فى اتباع سياسة تراجان وهى تتلخص فى ضم اراضى هذه القبائل الى الامبراطورية الرومانية ولكن تجددت الاضطرابات ففى الشرق فتخلى عن تنفيذ هذه السياسة .

وكان سبب هذه الاضطرابات فى الشرق ثورات قامت فى سوريا بل قامت ثورة عنيفة فى بلاد الغال وهاجمت القبائل الصراوية ولاية موريتانيا واشتعلت ثورة الرعاه فى دلتا مصر فأرسل قائده افيذيوس كاسوس الى سوريا ثم عهد اليه فى ١٦٨ بالاشراف على كل شئون الشرق ونجح القائد فعلا فى اخماد الثورات ولما انتشرت اشاعة بموت الامبراطورية اعلن نفسه امبراطور واعترف به فى كل من سوريا واليهودية (ارض يهوذ) حول القدس) ومصر ١٧٥ وهذا ما جعل الامبراطورية يوقف القتال فى جهة الدانوب ويبدأ فى اعداد حملة مضاده للتخلص من افيديوس .

وكان من أثار هذا الحادث ان اهتم الامبراطور بأن يتخذ خلفا له حتى لا تتعرض الامبراطورية من بعده الى حرب اهلية فوقع اختياره على ابنه كنوديوس الذى لم يكن قد تجاوز من العمر ١٦ عاما فنصبه مجلس الشيوخ شريكا له فى الحكم ومنحه لقب اوغسطس وهكذا اعادت روما لتحكم مزدوجا فى الفترة ١٧٧ / ١٨٠ .

وفى عام ١٧٩ / ١٨٠ تجددت الاضطرابات فى جهة الدانوب تولى امرها ماركوس اوربليوس وانضم اليه ابنه فيما بعد وتمكن من اخضاع الماركومانى ومن المهم ان نشير انه ظهرت قبائل سيكون لها شأن فى تاريخ ايطاليا فيما بعد وهى قبائل اللمبارد (اللمبارديين) ورتب الامبراطور لتحويل الاقليم الذى يضم بوهيميا موارفيا الحديثيين الى اقليم يحتله الرومان بصفة دائمة ولكن الموت يفاجأ الامبراطور فى فينا (فيندابونا) ١٨٠ وبذلك انفرد كومودوس بحكم الامبراطورية .

الامبراطور كومودس ١٨٠ / ١٩٢ :

هذا الامبراطور ابن سىء لأب طيب واحد الاباطرة القلائل الذين لا يمكن ان يقال عنهم شيئا طيبا وقد يكون الاب مسئولا عن اختياره ولكنه قد يقال انه كان لا يستطيع ان يفعل غير ذلك والأغراض الامبراطورية لحرب اهلية واحرز كومودس نصرا سهلا فى منطقة الدانوب وعقد الصلح مع القبائل الجرمانية وبنفس الشروط التى كانت قد وضعها اوربليوس ولكنه كما يدل اسم نفسه بكل جهن وشهوانية الى الملذات وترك ادارة الامبراطورية فى يد جماعة من اصدقاء الذين استغلوا مظاهر السلطة لمصلحتهم وكان فخوراً بقدوته وكان يحب ان يظهر فى حياة المصارعة كمصارع للوحوش او ليدخل فى مباريات مع المصارعين واعتبر الهه هو الاله هيرقل ولذلك كانت توضع على تماثيل كومودس (هراوه – عصا) وجلد الاسد واعتبر نفسه الصورة الحية لهذا الاله .

واصطدم الامبراطور مع مجلس الشيوخ الذى كان يكن له احتقار ما بعده احتقار واعتمد على الحرس البريتورى وتجاهل القيام بواجهاته ومع ذلك فقد وفق قواده الى حفظ السلام فى موريتانيا وبريطانيا وداكيا وبعض المناطق الاخرى وزاد الامر سؤ ا بانتشار عصابات اللصوص فى ايطاليا كلها وفى بلاد الغال حيث كانت تلك العصابات تهاجم المدن واحتلتها وافتقرت الخزانة لاسراف الامبراطور وتعرضت الدولة لازمات اقتصادية وارتكبت الجرائم باسم القانون وصودرت الا الاملاك واتخذ الامبراطور الخطوة الاخيرة فى سجل اعماله كحاكم مستبد بأن سعى الى تاليه نفسه وسك نقودا يبدو فيها فى صورة الاله وكان يريد ان يتقلد القنصلية لعام ١٩٣ وهو مزيد حله المجالدين ولكنه فى مباراة جرت فى الليلة السابقة لتنصيبة قنصلا طعنه خصمه طعنة قاتله وكان هذا الخصم قد فعل هذا بايعازمن قائد الحرس البريتورى الذى كان يخشى على حياته من بطش ذلك الامبراطورية .

نهاية اسرة السفيريين

علاقة منصب البرنكيس بمجلس الشيوخ فى الفترة ما بين نيرفا وسيفريوس

الامبراطور كاراكالا :

يهمنا ان نشير الى المنشور Constitutis antonions الذى بمقتضاه منحت الجنسية الرومانية لكل المقيمين فى الولايات الامبراطورية وبذلك المرسوم اصبحت هناك جنسية عامه فى الامبراطورية حجت الجنسية اللاتينية او الجنسية الايطالية او الجنسية المحلية فى الولايات .

ومن الصعب فهم دواغع كاركالا لاصدار ذلك المرسوم الا بأنه كان ينفذ سياسة انتهجها سلفة سبستيوس وهى تلك السياسة القائمة على تبسيط النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كان يعقدها الوضع القانونى المتباين لسكان الامبراطورية وفيما بعد اصبح النقاد او المؤرخين

ينظرون الى عمل كاراكالا بانه اسهم فى ادخال الحضارة الرومانية على نطاق واسع فى الولايات وخاصة فى الغرب .

ولكن كاركالا بالرغم من أنه صاحب الفضل فى اصدار مثل هذا الرسوم لم يكن الحاكم المحبوب ولذلك لقى مسرعه على يد الحرس البريتورى ونودى بقائد الحرس ماركسوس ماكرينوس امبراطوراً فى ١٨ ابريل ٢١٧ ولكن اسرة سفيروس السورية بزعامة جوليا مايزا Massa شقيقة جوليا دومنا Bomma زوجته سبتميوس وقد قدمت هذه التضحية لم تستسلم امام هذا الانقلاب فقدت جوليا لعرش الامبراطورية لبن شقيقه اخرى لها ابوه سورى من طبقة الشيوخ هو باسيانو Bassianue وانحاز اليه جانب فى الجيش الرومانى فى سوريا ونادوا به امبراطور بأسم ماركوس اوريليوس او انتينينوس مالبث مجلس الشيوخ ان فوضة السلطة الكاملة بوصفه برينكيس بعد نجاحه فى التخلص من ماكرنيوس فى عام ٢١٨ وبذلك اعاد باسيانوس الحكم مرة اخرى الى سيدروس وحكم من ٢١٨ – ٢١٢ باسم البلجابالوس Eleyabalus وهو لقب دينى بوصفه كاهنا لاله الشمس فى حمى وادخل الى روما عبادة هذا الاله الشرقى وارد ان يجعل منه الاله الاعلى للعالم الرومانى .

ولما ادركت جوليا انه غير صالح واصبح مكروها من الجيش شجعت على اغتياله ولكن ذاكره ظلت حيه فى اذهان السوريين بوصفه الها ، واختارت ابن عم له وهو الاسكندر الذى اضاف الى اسمه سيفريوس ٢٢٢ – ٢٣٥ وكان عمره لا يتعدى الـ ١٤ وكانت وجدته وامدهما المتصرفان فى شئون الامبراطورية واقامتا مجلس للوصاية على الامبراطور .

ويمكن ان نقول ان هاتين السيدتين حاولتا انعاش مالية البلاد وتحسين وسائل الادارة والحكومة فى روما والولايات وحاولت الاسرة الامبراطورية التقرب الى الطبقة الارستقراطية عن طريق تشكيل مجلس الوصاية من اعضاء مجلس الشيوخ .

واقترب حكم هذا الامبراطور الخاص بالشرق عندما استطاع اودشير (ارثا اجزركسيس) ملك الفرس ان ينشىء الاسرة الساسانيه وان يقضى على الامبراطورية البارثيين وبعثت من جديد ديانه زودت واصبح برنامج الاسره الساسانيه هو استعاده كل شبر من الاراضى التى كانت تابعه للامبراطورية القديمة وكذلك كان هناك نجدد اغارات القبائل الجرمانية فى جهتى الراين والدانوب وبدلا من ان يحارب الامبراطور اثر التفاوض مع هذه القبائل مما جعله موضع احتقار من الجيش الذى تمرد عليه بزعامة مكسيندوس وهو ترقى والد امم الاسكندر وامه واعلن مسبدوس امراطوراً فى عام ٢٣٥ وبهذا انتهت اسرة سيديوس و خلت الامبراطورية فى فترة دامت نصف قرن من الفوضى والحرب الأهلية .

طبيعة نظام البرينكيس بين عصر نيرفا ونهاية السيفريين :

اعتاد المؤرخين ان يطلقوا على الاباطرة الاربعة من نيرفا حتى ماركيوس اوبليوس اسم الاباطرة الطيبين كما لو كانوا هم وحدهم احسن من حكم الامبراطورية ولكن الأفضل ان ننهم ان المقصود بوصفهم على هذا النحو هو مجرد المقارنة بين الحكم الصالح فى نظر مجلس الشيوخ وحكم اباطرة تصرفوا مثل (دومتيانوس) و (كمودوس) والملكية العسكرية التى كانت طابع سبتميوس سيفسيروس واسرته عن ان هؤلاء الاباطرة الاربعة كان فى امكانهم التحكم بشكل واضح فى الجيش الرومانى ونجحوا فى ابعاده عن التدخل فى تعيين الامبراطور ولكن بعد وفاة كمودوس استطاع الحرس البريتورى ثم فرق الجيش الرومانى ان تعزل امبراطوراً وتقيم غيره وكان ولاء الجيش لاسرة سيفسيروس امرا يتوقف النظر بدون شك وهذا الولاء هو المسئول عن وصول شخصين غير جديرين بمنصب الامبراطور الى عرش الامبراطورية وهما ايلاجبالا ليوس اسكندر ولكن ينبغى ان نذكر ايضاً انه الى جانب هذا الولاء كان لابد من استصدار قرار رسمى من مجلس الشيوخ لتنصيب اى امبراطور حتى ولو كان مجلس الشيوخ لا يعبر عن ارادته الحقيقية وثمة ملاحظة وهى ان هذه الفترة شهدت اشتراك شخصين كل منهم يحمل لقب اوغسطس فى منصب الحكم وهذا بعد سابقه لما سيحدث فى عهد الامبراطور دقلديانوس وكذلك هناك ملاحظة ثالثة متصلة بعلاقة البرنكيس بمجلس الشيوخ ومدى استطاعة المجلس

قاومة النزعات الاوتوقراطية عند بعض اباطرة هذه الفترة وقد رأينا ان مجلس الشيوخ كان ينظر مرغما الى أن يسلم للبرينكيس او الامبراطور بحقه ان ينفرد فى ادارة شئون روما وايطاليا والولايات .

وكذلك نستطيع ان نرى ان الامبراطوركان يرسل موظفين يتبعون له شخصيا للإشراف على تموين روما وايطاليا بالقمح والإشراف على تنفيذ المشروعات عامة فى روما وايطاليا وبذلك يكون الامبراطور قد حرم مجلس الشيوخ من ممارسة سلطاته الادارية بعد ابعاد الموظفين الذين يتخذهم المجلس عن الاطلاع بمسئوليته .

ترتب على ذلك اختفاء بعض الوظائف التى كانت تؤهل شاغلها الى أن يطمع الى ان يكون عضوا فى مجلس الشيوخ مثل وظيفة الايديل (يشرف على الاسواق والحفلات ... الخ) وهذه الوظيفة كانت احدى وظائف سلك الوظائف العامه وكان لابد من مرور المواطن الرومانى الذى يريد ان يصبح يوما ما ان يكون عضواً فى مجلس الشيوخ ان يمر بهذه الوظيفة .

فى عصر نيرون :

لم يعد مجلس الشيوخ يمارس حقه فى انتخاب الموظفين فى الوظائف المختلفة وكذلك حل فى الفترة مابين حكم نيرون ونهاية حكم سيدروس من ممارسة اى نشاط فى المسائل المتصلة بالتشريع والقوانين .

ومن ثم تضاءلت اهمية المجلس فى القرن الاول بحيث لا يمكن تتبع اوجه نشاطه فى الفترة بعد وفاة نيرفا – ثم بعد مجلس الشيوخ الرومانى على ايام السوة السيفريين غير هيئة ليس لها اى نشاط ويقتصر اختصاصها على تسجيل موافقتها على القرارات التى يصدرها الاباطرة ويقرأها مندوب الامبراطور فى المجلس .

وحتى فى النواحى القضائية شجع الاباطرة من هذه الاسرة بالذات (اكثر عداء لمجلس الشيوخ) منح سلطات قضائية لحكام الولايات والموظفين التابعين للامبراطور فى المدن والولايات وترتب على ذلك اختفاء المحاكم التى كان القضاء فيها من هيئة خاصة يحمل أفرادها لقب برايتور وكانت لا تملك المحاكم الا ان تخضع خضوعاً مباشراً لمجلس الشيوخ وكذلك جرد هذا المجلس من كثير من سلطاته القضائية بحيث اقتصر اختصاصه على محاكمة اعضائه الذين يتهمون بتهمة الخيانة العظمى .

وكان الامبراطور يستند فى استبداده بأكثر من اختصاص من اختصاصات مجلس الشيوخ بأنه عندما يمارس حقه القانونى بوصفه صاحب سلطة الامبريوم فهو حسب هذه السلطة له حق اصدار القرارات او الاحكام القضائية ولذلك فان احد الفقه القانونى فى منتصف ق ٢ وهو الفقيه جايوس قال بأن الدستور الذى يضعه البرينكيس انما هو عمل مشروع يقوم به الامبراطور بما له من حق الامبرايوم ومن ثم فأن لقراراته حكم القانون .

فاذا كان الامبراطور قد اوجد مجلسا تشريعياً فان هذا المجلس يمارس سلطاته طبقا لإرادة الامبراطور ومن ثم اصبحت قرارات الامبراطور ق ٣ هى اساس التشريع وبالرغم من كل هذا فان مجلس الشيوخ ظل هيئة لها وزنها واهبتها فى البناء الدستورى لروما والامبراطورية وذلك بفضل القاليد التى ارتبطت بهذا المجلس وجعلت قراراته صفة دستورية واعطت لاحكامه حكماً خاصاً بإعتباره سرابق لا يمكن تغييرها . وكذلك احتفظ المجلس بهيئته بحكم اغلبية اعضائه والطبقة التى ينتمون اليها فأعضاء المجلس كانوا الطبقة الارستقراطية من ملاك الارض داخل روما بل ايضاً فى ولايات الامبراطورية .

واذا كانت اسرة سيفريوس قد شجعت افراد طبقة الفرسان الى عضوية المجلس عند انتهاء مدة عمله فى خدمة الامبراطور فأنها (الاسرة) بذلك انما رفعت كفاءة اعضاء المجلس الإدارية والعسكرية .

وقد توسع بعض الأباطرة فى هذه الفترة بالسماح لبعض الشخصيات الكبيرة فى الولايات لدخول مجلس الشيوخ الرومانى .

ولكن ذلك لم يقلل من اهمية العنصر الإيطالى فاحتفظت العناصر الرومانية والايطالية الأصلية فى المجلس على الأقل من الناحية العددية ولكن لما توسعت اسرة سيفيوس فى إدخال عناصر من افريقية وسوريا وآسيا الصغرى ومصر فى مجلس الشيوخ ضاع تفوق لعدد الذى كان للعناصر الإيطالية وربما يظن البعض أن الامبراطور سيفيوس فى اغراقه لمجلس الشيوخ بهذه العناصر الغربية وخاصة تلك التى تنتمى الى طبقة الفرسان انما كان ينصرف على هذا الشكل ليحكم مجلس الشيوخ وتوقعه ان هذا المجلس سينتهز اى فرصة للتمرد على حكمه ولكن الذى – ينبغى ان يفهم انصافا للامبراطور على الأقل انه هو نفسه كان ينتمى الى طبقة الفرسان ولم يكن رومانيا خالصا .

على أى الحالات فان الاباطرة فى ق ٢ ، ٣ زادوا من سيطرتهم على شئون الامبراطورية وتوسعوا فى تطبيق النظم البيروقراطية والاتوقراطية فى شتى ارجاء الامبراطورية ويمكن ان نقول ان نطاق البرينكيس اى المواطن الأول فى ق ٣ . م بإعتبارها المصدر الأول لكل نشاط فى مجال الإدارة او التشريع او القضاء لم تكن لوظيفة (البرينكيس) بأى حال هى نفس الوظيفة التى اوجدها اوغسطس واعادها فسبسيان الى روما ولكنها سارت بعيدا فى طريق الاوتوقراطية واكتسبت الكثير من صفات الحكم الملكى الصالح بحيث انها لم تفقد صفتها الاولى وهى انها تجرد وظيفة عامه يشغلها افضل العناصر فى روما من أجل رفاهية الشعب الرومانى وسكان الولايات الا انها كانت عبارة عن وظيفة شاغلها هو حاكم اوتوقراطى من ذلك الطابع الذى عرفه العالم الاغريقى الرومانى .

العلاقات الرومانيــة المسيحية
حتى عهـــد دقلديانوس
وآثارهـــــا

تعتبر القرون الثلاثة الأولى الميلادية مرحلة لتطور العلاقات بين الامبراطورية الرومانية والديانة المسيحية ـ تلك العلاقات التى أثرت سلبا وايجــابا فى كيان الامبراطورية الرومانيـــة بل وفى كيان أوربا والشرق الأوسط عامة .

مرحلة العلاقات الرومانية المسيحية :

وباستعراض تلك العلاقات التى بدأت منــذ ظهور المسيحية فى القرن الأول الميلادى ، فاننا نلاحظ ـ أن ظهور المسيحية خلال الفترة الأولى من القرن الأول الميلادى قدة أحدث دويا هائلا فى الأوساط الدينية الوثنية المختلفة [1] وأن هذه الديانة الجديدة قد وضعت منذ الوهلة الأولى أولى نقاط الصراع الدموى الدينى والذى كانت له آثاره فترة امتدت ما يقرب من ثلاثة قرون ذاق المسيحيون صــنف ألوان

(1) Cf., clay (M). La Religion Romaine (coll. V. 2, no. 163) Paris A colin 1971 .

العذاب والاضطهاد ، برغم تأثيرهم في كيان الامبراطورية الرومانية المترامية .

ولقد كان لظهور المسيحية خلال القرن الأول الميلادى وقعه السيء من قبل العناصر الدينية الوثنية المختلفة وبين الديانات السماوية القائمة كاليهودية ، بينما قابلت الامبراطورية هذا الحدث بالفتور واللامبالاة — وأعتبرت هذه الديانة بمثابة ديانة جديدة مثل باقى الديانات الأخرى العديدة القائمة [٢] .

---

(٢) يقصد بالدينات العديدة القديمة (الديانات الوثنية ، التى كانت من الكثرة ، منها ما هو قديم او مقتبس من ديانات الاخرى (كالاغريقية) — هذا الى جانب ما استحدث من ديانات شعبية رومانية مثل تأليه الاباطرة بعد مماتهم وخلق شعائر لعبادتهم . او عبادات عقائدية مثل عبادة ، الأخوان الارفاليين — Fratres Arvales » والتى كان من اختصاصها تقديم شعائر العبادة الزراعية — ثم تقديم الأضاحى الخاصة بالمناسبات كعيد ميلاد الامبراطور — راجع :

— Cf., Henzen (W), Acta Fratrum Arvalium (1974); C.I.L., VI. 2023 - 119, 32338 - 98, 37164 f. The Edition by E. Pasoli (;950) is worlfless; Athenaeum 1946, 188 ff; Bull. comm. Arch. lxxviii (1961 / 2), 116 ff.

وايضا هناك عبادة ربات الزراعة والقمح متمثلة فى الربة الطيبة (Bona Dea) راجع :

— Cf., Latte. caes. 9; Festus, 60, I ff. Lindsay .

وكان للتطور الفكرى العقائدى تأثيره الواضح خاصة على سكان المدن — وخاصة من طبقة المثقفين ، الذين تأثروا بأنكارهم التقدمية الروحية متمثلة فى الرواقية التى كانت تنادى بالمساواة والأخوة العالمية ومناهضة الظلم والطغيان هذا الى الجذب الصوفى لكثير من سكان تلك المدن متمثلين فى روح التضحية للمسيح وتطوير الأفكار الصوفية اليدرجات العمق والانطلاق الى آفاق ما بعد الحياة الدنيوية تمثلت جميعا فى فكر جديد للنظرية « البيتاجورية — Pythagorean» Πυθαγορεία راجع :

=

ويتساءل « جيبون » أى استفزاز جديد أسخط وغاظ اللامبالاة الرفيقة القديمة ، وأية بواعث جديدة دفعت بالامراء الرومان الذين لم يلقوا يوما الا الى كثير من الديانات عاشت فى سلام فى ظـــل حكمهم الوادع — دفعت بهم الى انزال أشـــد العقاب بأى فريق من رعاياهم اختاروا لأنفسهم لونا فريدا بريئا من العقيدة والعبادة [٣] ؟ ويبدو أن السياسة الدينية القديمة قد اتخذت موقفا أشد صـــلابة وأبعد عن التسامح لتقاوم تقدم المسيحية •

ومن الظاهر أن الديانة المسيحية قد بدأت بشكل سرى ثم بـــدأت فى السعى والانتشار فى اطار تحفظى خوفا من بطش أعدائها من الوثنين • وبرغم ذلك فقد كانت المسيحية كبش الفداء الذى كان يذبح لمرات عديدة أمام حقد وضغينة الظالمين وربما كان القرن الأول يعكس لنا صورة صادقة لما عاناه المسيحيون فى كثـــير من بقـــاع الامبراطورية المختفة وخاصة فى روما [٤] — ولا أدل على ذلك من اتهام للرأى العـــام الرومانى ومستشارو الامبراطور « نيرون » بأتهام المسيحين باشعال حريق « روما الشهير » والـــذى راح ضـــحيته حى

=

— Cf., Cardini (M. T.) I Pitagorici (1958-); Mullach, F.P.G., i. 485 - 509 (Pythagorum Similitudines); Hercher (R), Epistolo-garphi, 601 (Pythagoreorum Epistolae); Frank (E), Plato und die sogenannten Pythagorer (1923); K. Von Fritz, Pythagorean Politics in Southern Italy (1940).

— كذلك راجع: سيد احمد الناصرى (تاريخ الامبراطورية الرومانية) السياسى والحضارى — الطبعة الثانية ١٩٨٥ . ص ٩٥ .

(٣) جيبون (ادوارد) — اضـــمحلال الامبراطورية الرومانيـــة وسقوطها — ترجمة محمد على ابو درة . ص ٤٠٧ — ٤٠٨ .

(4) Cf., Ramsay (W.M.), The Church in the Roman Emrire before 170, 1906, p. 120; Last (H), J.R.S., 1937, 80 ff.

« ماكسيموس » «Circus Maximus» ثم حى « ايميليانوس » — Emilianus » بطرف المدينة بعد ذلك بستة أيام .

وبرغم اتهام الامبراطور « نيرون » باشعاله الحريق [٥] — وبأنه كان الفاعل الحقيقى على الأقل لحريق حى « ايميليانوس » ، وبأنه حث عبيده على شعال هذا الحريق للتخلص من بعض الأحيــاء القذرة التى لم تنالها نيران الحريق الأول فى حى « ماكسيموس » — وذلك من أجل بناء مدينة جديدة على نمط حديث [٦] — نلاحظ أن الاتهام الفعلى قد تحمله المسيحيون وأصبحوا ٠م الصورة المحركة للاضطرابات فى جسم الامبراطورية — خاصة وانه لم يوجد دليل واحد يــدين الامبراطور [٧] . وزج بالمئات فى السجون بمحاكمتهم بتهمة الخيانة والاتيان بأفعال تتنافى مع سياسة الدولة وأثارة الاضطرابات فى أنحاء الامبراطورية . حيث نال المسيحيون صنف الوان العــذاب والتنكيل مستبشرين بشهدائهم بالترحيب والترانيم المسيحية المقدسة [٨] .

ويعتبر اتهام المسيحين بهذه التهمة أكبر دليل على مدى ما وصلت اية العلاقات بين المسيحين والامبراطورية فى بداية النصف الثــانى من القرن الأول — وان كانت تعطينا دليــلا آخــر لمــدى الصراع العنصرى ضد المسيحين وخاصة من عنصر اليهود الذى يغذى له تدبير

(5) Cf., Tacitus, Annales xv, 36 - 41 .
(6) Cf., Seutonius, Nero, 31 .

(٧) عن حريق روما وبداية اضطهاد المسيحين .. راجع : سيد احمد الناصرى — المرجع السابق ص ١٦٣ وما بعدها .

(٨) كان من عوامل الاستسلام باتهــام المسيحيين باشــعال حريق روما — عدم دفاعهم عن أنفسهم لاعتقادهم بأن يوم القيامة قد حل ، وان انتقام الرب خير مدافع لهم — راجع :
— Cf., Smallwood (E.M), Journal of the theological studies, 1959, pp. 329 ff.

هذا الاتهام المشين [٩] — ومرحلة بداية لاضطهاد الرومان للمسيحين الأول .

وبرغم صنوف الاضطهاد الرومانى للمسيحين الا أن ذلك قد قوى من عزيمتهم على الصمود والاستشهاد ، حيث سارت بين المسيحين سياسة الحب والتقرب الى الرب سالكين طريق الشهادة . وبدأت مراحل الاستبشار والجهاد المسيحى لنشر الديانة كرسالة سماوية مكملة لرسالة المسيح عليه السلام — فذهب القديس « مرقص St. Markus » الى الاسكندرية لنشر الديانة الجديدة والعمل على تأسيس الكنيسة المرقسية فى الاسكندرية لتكون أولى نقاط الارتكاز للديانة المسيحية فى الشرق — بينما توجه القديس « بطرس — Potrus » و « بولس — Polus » لنشر الديانة الجديدة فى روما [١٠] .

ولا شك أن تلك الأحداث التى وقعت خلال القرن الأولى الميلادى من اضطرابات واضطهاد للمسحين ؛ قد عمت جميع انحاء الامبراطورية — وأصبحت المسيحية وصمة عار اقترنت بصورة الخيانة لمعتنقيها — وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى زيادة حدة التوتر بين العناصر الأجنبية المختلفة فى جميع ولايات الامبراطورية — التى استغلت تلك الديانة الشهيدة لتكون قناعا لكل صور التذمر والخيانة والاضطرابات

---

(9) Cf., Josephus, Antiqu. Jud., x, 189 - 196 .

(١٠) من المرجح انهما قد هلكا اثناء حركة الاضطهاد الاولى « فترة حكم الامبراطور نيرون » ؛ راجع :

Cf., Ramsay (W.M), op. cit., pp. 121 ff.

المختلفة [١١] ، ولا أدل على ذلك ما شهده القرن الثانى من استغلال المسيحية تحت ستار الخيانة والاطماع الشخصية وتدبير المكائد بحيث أصبحت الوشاية صورة ظاهرة للانتقامات والمؤامرات الشخصية خلال تلك الفترة ، مما جعل للديانة المسيحية صفة الانكماش والسرية .

ويبدو أن القرن الثانى الميلادى قد ظهرت فيه ملامح الانتشار المسيحى أمام ما عرف بسياسة الاستقرار والتسامح لعصر الاباطرة الصالحين (٩٦ — ١٩٢ م) [١٢] ، وخاصة موقف الامبراطور (ماركوس أوريليوس — Marcus Aurelius) عام ١٦١ م وسياسته التسامحية، حتى انه شبه فى نظر البعض بالسيد المسيح فى اخلاقياته وحبه للخير والسلام — وبرغم من انه لم يكن مسيحيا — الا انه قد قرأ كل ما كتب عن السيد المسيح وأتباعه بين الحواريين ومعالم المسيحية — حتى أن البعض قد تشكك فى وثنيته ، أما المسيحيون فقد استبشروا

---

(١١) لا ادل على ذلك من ثورة اليهود الكبرى التى اندلعت فى (قورينه — Cyrene) عام ١١٥ م وانتشرت الى باقى المناطق المجاورة فى مصر وفلسطين وقبرص وحتى حدود بلاد بين الرافدين — وذلك بسبب ما ادعاه أحد زعماء اليهود ويدعى (شمعون باركوخبا) بأنه المسيح المنتظر جاء ليخلص اليهود من براثن الوثنية الرومانية . راجع : سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) — ص ٢٤٥ كذلك راجع — عبد اللطيف احمد على (مصر والامبراطورية الرومانية) — فى ضوء الأوراق البردية — القاهرة ١٩٧٤ — ص ١٨٥ وما بعدها — كذلك :

— Cf., preaux (C), chron. d'Eg., 14 (1939). pp. 180 ff; Tcherikover (V); The Jews in Egypt in the Hellenistic Roman Age in the Light of the papyri. Jerusalem, 1945. pp. 18 ff.

(١٢) يقصد بذلك العصر عهد الاباطرة (١) « نرفا ٩٦ — ٩٨ م » (٢) « تراجانوس ٩٨ — ١١٧ م » (٣) « هادريانوس ١١٧ — ١٣٨ م » (٤) « انطونينوس ١٣٨ — ١٦١ م » (٥) الحكم المزدوج بين « ماركوس اوريليوس ولوكس فيروس ١١٦ — ١٨٠ م » ؛ (٦) « كومودوس ١٨٠ — ١٩٢ م » .

خيرا ولاحت لهم بشائر الأمل فى مرحلة جديدة من التسامح والاستقرار الدينى خلال حكم هذا الامبراطور (١٣) .

ومن الظاهر أن المسيحية قد استغلت فترة الاستقرار المؤقت هذه وبدأت تعمل على تقوية مركزها بين العناصر والشخصيات الهـــامة فى جسم الامبراطورية — بحيث نجد أن عمليات التمسيح قد شملت الكثير من الأسر المختلفة العريقة سواء بشكل معلن أو بشكل سرى بين أفرادها . وأن كثير من الشخصيات البارزة قد استمالت معـــالم المسيحية بشكل أصبح ينعكس على حيث العـــامة — مستغلة وضعها الاجتماعى والادارى فى وضع ركائز الديانة المسيحية فى إطـــارها الجديد المسيطر (١٤) .

ولك أن نتصور مدى تصاعد الاحداث ابان القرن الثالث بشكل جعل من المستحيل معه تصور مدى الاضطهاد والظلم الذى عانت منه طبقات هذه الديانة رغم ازدياد عدد معتنقيها . وأن صنوف الاتهام والوشاية قد سلكت طريقها بين صنوف المنافسين كنوعا من صـــنوف الصراع — أمام ذلك تنوعت صنوف سياسة الارهاب — فلنا أن نتصور فى حالة ، ما اذا تناهى الى سمع أحد الحكام الرومان أن شخصـــا فى دائرة ولايته قد انضم الى الطائفة المسيحية . فكانت التهمـــة

---

(13) Cf., Parain (C). Marc-Aurele, 1957; Birley (A). Marcus Aurelius, 1966; Piganiol (A). Hist. de Rome 1962, 307 f, 581 f.

— وهناك من عارض سياسة الامبراطور « ماركوس اوريليوس » فى التسامح والخير والسلام واتهمه بأنه أحـــد عوامل انهيار الامبراطورية (راجع) :

— Cf., Ferrero (G). La Ruine de la civilization antique, Paris 1921, pp. 62 ff .

(١٤) عـــرف البعض تلك الحركة باســـم « نمو حكومة الكنيســـة » — راجع « جيبون » — المرجع السابق — جا . ص ٢٦٧ وما بعدها .

تبلغ الى المتهم للاستعداد للدفاع عن نفسه . فاذا ساوره شيء من الشك فى تجلده . هيأت له هده المهلة الفرصة للابقاء على حياته بالهــرب ، فرصة اللجــوء الى مكان مجهول أو ولاية نائية لحين عودة الهــدوء والطمأنينة ؛ هذا الى جانب هذا الصراع بين جوانب الامبراطورية (١٥).

ولقد تطورت صور الارهاب عن طريق شهادات الاقرارات التى كانت تصدر من حكام الولايات والتى كانت تنص على ان الشخص المذكور قد امتثل الى قوانين الامبراطورية وانه قدم القرابين الى الآلهة (الوثنية) الرومانية ، وأمام حساسية هذه الشهادات وكيفية اصدارها ؛ فكثيرا ما تاجــر الحكام بها وارتضوا بيع هذه الشهادات مخالفين لعقائدهم بقدر اتساع دائرة جشعهم — ولا أدل على ذلك من ابراز مثل هذه الاقرارات الزائفة لدى المسيحين الاثرياء الجبناء ، قد مكنهم من أن يوفقوا بشكل ما بين سلامتهم وديانتهم (١٦) .

وأمام صور الاضهاد المختلفة فقد ظهرت أعداد كبيرة من المسيحين المرتدين ؛ الذين تنكروا ولفظوا صراحة وعلنا العقيدة التى ســبق اعتناقهم لها — وأكدوا اخلاصهم فى ارتدادهم — بينما أصر وتشبث أقوياء العزيمة راضين صنوف وألوان العذاب المختلفة ؛ وبرغم ذلك فان قواعد تهام المسيحين وعقابهم فى مثل هذه الحكومة الاستبدادية المترامية كان يتوقف على مدى سلوك المسيحين انفسهم من ناحية ، وعلى مزاج وطبيعة الحاكم أو الوالى ومزاج مرءوسيه من ناحيــة أخرى . هذا الى جانب بعض الدوافع الخفية لحكام الولايات المختلفة

---

(١٥) راجع ما ورد عن « يوســابيوس القيصرى » تاريخ الكنيســة — ترجمة : القمص داود — الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٧٦) — ص٣٥٢ وما بعــدها .

(١٦) جيبون (المرجع السابق) جـ١ ، ص ٤٤٨ وما بعدها .
Cf., Frend (W.H.C.). Martyrdom and Persection in the early church, London 1965, pp. 18 ff.

والتى كانت تجنح الى تنفيذ للوائح والقوانين أو التراخى والعدول فى تطبيقها مثل الاهتمام بالمقاصد الخفية للامبراطور دون القوانين العامة وتصريحها — حيث كانت نظرة من الامبراطور تكفى لاشعال نار الاضطهاد أو اخمادها [١٧] .

واذا ما نظرنا نظرة شاملة الى أوضاع الامبراطورية الرومانية فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى وخاصة قبل تولية « دقلديانوس » للحكم فاننا نلاحظ أن المسيحية اصبحت بالقدر الذى يسيطر على معظم طبقات المجتمع ، وأن الكنيسة الرومانية بصفة خاصة قد ازدهرت وأصبحت تضم معظم فئات للشعب المختلفة من المثقفين والادباء والمفكرين — هذا الى جانب ازدياد أعداد المسيحين الملحوظ خلال تلك الفترة ، وأصبحت الكنيسة تنتهج منهج جديد تمثل فى المشاركة والسيطرة لتلعب دورا هاما فى صنوف المجتمع بدرجة اقلقت بال الامبراطورية — خاصة وان نظرة الدولة للمسيحين كانت نظرة تشوبها الخيانة لخروجهم على عبادة الدولة وامتناعهم عن تقديم مراسيم تكريم الامبراطور وحرق للبخور أمام تمثال الامبراطور رمز الدولة (الامبراطورية) — وازاء ذلك اعتبرت الدولة المسيحيين أعداءا للامبراطورية — والقوا عليهم تبعية التدهور والانهيار الذى اجتاح الدولة نتيجة ولاهمال آلهة روما القديمة [١٨] .

الا أن استقرار المسيحية قد أنتابته بعض القلاقل والاضطهاد ، خاصة فى فترة (ماكسيمينوس تراكس) «Maximinus» الذى صب غضبه على العقيدة الجديدة سواء فى روما أو فى فلسطين الى فترة

---

(١٧) جيبون (المرجع السابق) ج ١ ، ص ٤٥١ .

(١٨) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٣٨٦ كذلك عنه

(13) Cf., Le Declin du monde antique 284 - 610 A.D., Tradwit par A. Sevandoni Duparac (Histoire de L'europe, 1) paris. 1970, pp. 12 ff.

وفاته عام ٢٣٨ [١٩] — وبدأت المسيحية تتنفس الصعداء مرة أخرى عامى عهد الامبراطور « جورديان الثالث » (Gordian) وحى تلك السياسة الحكيمة التى تمثلت فى حرية العقيدة للجميع [٢٠] — وبقى الوضع الى ما هــو عليه حتى حكم فيليب العربى (٢٤٤ — ٢٤٩)، بيد أن تلك الفترة كانت الهدوء الذى سبق العاصمة والتى بــدأت تظهر ملامحها منذ عهد الامبراطور (دسيوس (Decius) عــام ٢٤٩ — ٢٥١ م) الذى وجــد فى ارتداده للوثنية نقطة الخلاص للامبراطور من براثن اخطبوط المسيحية [٢١] • وبدأ فى تطبيق سياسته فى الابادة الجماعية للمسيحين ، حيث استصدر قراره الشهير عام ٢٥٠ م بالزام جميع افراد الشعب بتقديم القرابين والمناسك لآلهة الدولة الوثنية — وفــرض عقوبة الاعدام لكل مخالف للتعليمات • أمــام ذلك فقــد ازدادت حدة الصراع والتوتر فى جسم الامبراطورية وبدأت ملامح الاضطهاد للمسيحية تضع أوزارها على ما كانت عليه سابقا — وربمــا تحقق ذلك بصورة شبه كاملة على يد الامبراطور « فاليريانوس — Valerianus ٢٥٣ — ٢٦٠ م » الذى ضيق الخناق على المسيحين باصداره قرارات تعسفية تمنع تجمعاتهم ، والزمهم بتقديم القرابين للآلهة الوثنية واغلق لهم مقابرهم • ثم أصدر فى العام الثانى قــراره بمحاكمة رجال الدين حسب مواقعهم الكهنوتية فى حــالة تمســكهم بديانتهم [٢٢] • وبرغم موقف المسيحية السيء فى فقد عبادها عن طريق الردة الى الوثنية أو الموت فى سبيل العقيدة الا أنها خــرجت

---

(19) Cf., Maximinus (235-8 A.D.), : Herodian, B. K. S., 7 - 8; Bersanetti (G.M.), studi Sul imperatore Massimino il Trace, 1940.

(20) Cf., Townsend (P.W.), Yale Classical Studies, 1955, 49 ff.

(21) Cf., Cross (K), R.A.C., 3, 611 ff.

(22) Cf., Olmstead (A.T.), Classical Philology. 1942, 241 ff.

من تلك الأزمة أقوى وأصلب عودا على الاستمرار والنضال المقدس [٢٣] .

ويتولى الامبراطور « جالينوس — Gallienus » (٢٦٠ — ٢٦٨ م) الحكم — رد الى المسيحية اعتبارها ؛ وسمح للمسيحين بممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية . وبدأت مرحلة عودة استقرار وهدوء وسلام الكنيسة [٢٤] . وعرفت فترة حكم « جاللينوس » بفترة التسامح الدينى مع أصحاب الديانات المختلفة .

ولنا أن نتصور ما وصلت اليه أوضاع الامبراطورية فى اطارها الداخلى والخارجى ومدى التدهور والتدنى فى سياستها الداخلية والخارجية — ومدى ما كانت عليه سياسة الولايات وادارة الحكام من استغلال للظروف الطارئة لتحقيق الاطماع الشخصية — تلك الأطماع الشخصية التى أصبحت وسام يتزين به كل مسئول أو قائد — مع ملاحظة أن سلطة الولاة فى الولايات كانت غير متكافئة طبقا لأهمية كل ولاية ووضعها فى الامبراطورية — ومدى ما وصلت اليه تطورات تلك الأحداث الى حد الفضائح المنكرة [٢٥] .

أما عن السياسة الدينية فى الولايات فقد كانت متروكة للولاة الى جانب مهامهم السياسية فمنهم من جامل المسيحية وغض النظر

(23) Cf., Frend (W.H.C.), op. cit., pp. 177 ff.

(24) Cf., walser (G) and Pekary (th), Die Krise des Romischen Reiches, 1962, 28 ff;

— راجع / سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٦٥ وما بعدها — حيث يقدم عرض تحليلى متكامل عن تلك الفترة .

(٢٥) راجع (عبد اللطيف احمد على) — المرجع السابق — « نضيحة مكسيموس وسلطات الوالى » — ص ١٦٨ وما بعدها — كأحدى صور التدهور الادارى فى فترة من فترات حكم الاباطرة فى الامبراطورية الرومانية .

عنها طالما أن الأمور مستقرة — ومنهم من اتخذ لنفسه نمط دينى محدد • ومنهم من اتخذ موقفا ضدها أو لم يلتفت الى طلباتهم وتظلماتهم [٢٦] •

ويتولى الامبراطور « دقلديانوس » الحكم ٢٨٥ م ، واضعا نقاط سياسته الحكيمة القائمة على روح التسامح الدينى بشكل أكثر اعتدالا وتحررا — بحيث تابعت المسيحية مسارها فى هدوء وطمأنينة — حتى ان كبار موظفى الدولة الذين اعتنقوا المسيحية قد باشروا ممارسة ديانتهم فى حرية وسلام • وكان لكل من الاساقفة منزلة كبيرة فى سائر الولايات ، لا من قبل الشعب وحده ، بل من الحكام أنفسهم [٢٧]• ويبدو أن سياسة التحرر هذه قد استغلت بشكل سىء من قبل المسيحين أنفسهم وأصبح سوء السلوك وفساد المبادىء ظاهرة وبرهانا على الحرية التى تمتع بها المسيحين وأساءوا استغلالها فى عصر دقلديانوس •

صراعات السلطة نهاية القرن الثالث وتطور العلاقات الرومانية المسيحية :

ولا شك أن الفترة الأخيرة من النصف الثانى من القرن الثالث شهدت اعنف مراحل الصراع الدموى بين المتصارعين على السلطة

---

(٢٦) لا أدل على ذلك من اعتناق « أورليانوس Aurelianus » من (٢٧٠—٢٧٥ م) ربالشمس السورى « ايلاجابالوس Elagabalus لاعتقاده بانه الرب الذى لا يقهر (Sol Invictus) وهو الذى نصره على تدمر — ولهذا أوحى الى الناس انه الرب الحامى للامبراطورية ، راجع :
سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٨٢ كذلك عنه راجع:
— Cf., Theodore Optendrenk : Die Religionpolitik des Kaisers Elgabal in Spiegel der Historia Augusta, diss. Bonn 1968
راجع « ورن هولستر » أوربا فى العصور الوسطى — ترجمة / محمد فتحى الشاعر — القاهرة ١٩٨٨ ص ٣٢ وما بعدها .

(27) Cf., stade (K), Der Politiker Diokletian und die letzt grobe christenver polgunod 1929.

وأن فلول الصراع قد شهدت ملامح ومقومات الامبراطورية بالصورة التى كانت تتطلب انقاذ سريع وشـــامل — وذلك ما أمكن اســتدراكه « دقلديانوس » عن طريق اصلاحاته فيما بعد .

وقد عرفت تلك الفترة بفترة القلاقل القيادية — وخاصة بعـد مقتل الامبراطور (أوريليان — Aurelianus) عام ٢٧٥ م (٢٨) . وتدخل السناتو واستخدام سلطته وانتخب (كلوديوس تاكيتوس — M. claudius Tacitus) (٢٩) وارتضاء الجيش ، وقاد حملـة موفقة ضد (الآلان — Alans) (٣٠) — بيد انه له مؤامرة لتنتهى فترة حكمه الضئيلة والتى استمرت من ٢٧٥ — ٢٧٦ م (٣١) .

ثم انتخب الجيش بعد مقتله (م . أوريليوس بروبـــوس — M. Aurelius Probus) — (٢٧٦ — ٢٨٢ م) (٣٢) ، الـــذى أحرز انتصارات فى الراين والدانوب ، بعد أن طهر آسيا الصـــغرى من قطاع الطرق ومصر والسودان من قبائل البشارية (Blemmyes الى أن دبر له رجاله من القوات مؤامرة لاغتياله فى « ســـيرميوم Sirmium» وهى لا تدرى انها اغتالت واحدا من اعظم القادة كفاءة واخلاصـــا للامبراطورية وفى وقت هى فى أشد الحاجة اليه (٣٣) .

---

(28) Cf., Homo (L). Essai sur le regne de L'empe.eur Aurélian. 1904; Gross (K). R.A.C., i. 104 ff.

— راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٢٧٦ وما بعدها.

(٣٠) قبيلة من المتبربرين الرحل ، استقروا فى جنوب شرقى روسيا فى القرون الثلاثة الميلادية الأولى .

(31) Cf., Vogt (J). The Decline of Rome (1967). pp. 113 ff.

(32) Cf., vitucci (G). L'imperatore Probo, 1952 :

(٣٣) راجع — ســيد احمـــد النـــاصرى (المـــرجع الســـابق) ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .

وكان لرغبة القوات فى « رايتيا — Rhaetia » أثره فى ترشيح قائد الحرس البرايتورى « ماركوس اوريليوس كاروس — M. Aurelius carus » امبراطورا عام ٢٨٢ م [٣٤] — الذى اشرك معه ولديه « كارينوس — Carinus » [٣٥] و « نومريانوس Numerianus » كمساعدين نواب بدرجة قيصر • واستطاع « كاروس » بمساعدة ابنه « نومريانوس » من فتح الشرق حيث استطاع عام ٢٨٣ م هزيمة قبائل « القادى — Quadi » ، وقبائل الصرب — Sarmatians » — ثم عبر الفرات قاصدا سحق الفرس، حيث استولى على «سليوكيا — Seleucia » — وبعد ذلك « كتسفيون » الا انه قتل فى ظروف غامضة ومفاجئة وان كان من المرجح أن يكون قد قتل على يد قايد الحرس البرايتورى « أريوس آبر Arrius Aper » وهو نفس الشخصية التى اتهمت بقتل ابنه « نومريانوس » بعد ذلك [٣٦] • وفى ضوء الصراعات الدموية على السلطة اجتمع مجلس القادة وانتخبوا قائد الحرس الخاص للامبراطور الراحل « ديوكليس — Diocles » المعروف بأسم « ديوقليديانوس — Diocletianus » [٣٧] الذى قام باعدام قائد الحرس البرايتورى « آريوس آبر — Arrius Aper » بنفسه • وقد أكمل « دقلديانوس » مشاوره فى الصراع حيث تقابل مع خصمه « كارينوس — Carinus » ابن الامبراطور السابق عند سهل « مارجوس » (موراقيا) فى معركة رهيبة كاد « كارينوس » ان ينتصر

(34) Cf., Johes (T.B.), C. phil., 1942, pp. 193 ff; Meloni (o), il regno di caro, 1948, pp. 106 ff .

(35) Cf., Ensslin (W), P.W., s.v., Valerius (142), 2424 f.

(٣٦) راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق ، ص ٣٨٥ •

(37) Cf Costa (C), Ruggiero Di Zionario Epigrafico di Antichita Romana, 1886, II. 1793 ff.

لولا اغتياله بخنجر مسموم صنعه أحد التـرابنة الـذين اغتصـب « كارينوس » زوجته ، بذلك قبلت قواته « دقلديانوس » امبراطورا ٢٨٥ م [٣٨] .

اضطرابات خارجية :

ويبدو أن الأوضاع الداخلية كانت لها آثارها على كيان الامبراطورية خارجيا وفى الاخطار التى أحدقت بها خلال القرن الثالث وخاصـة فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى . فبالاضافة الى المفاسد والمشاكل الداخلية ، فقد تعرضت الامبراطورية الرومانية لأخطار خطيرة نتيجة لهجمات أعدائها المجاورين الذين ترقبوا الفرص للانقضاض على حدودها مستغلين فترة القلاقل والاضطرابات والصراعات الداخلية . فقد أغار الفرنجة على أراضى الراين ادنى عام ٢٣٥ م وأعادوا الكرة عام ٢٥٦ م [٣٩] ، والقوط الذين اجتاحوا اقليم « داشيا » ثم «مواشيا» عام ٢٥١ م واستقروا به الى أن طردهم الامبراطور « كلوديوس » عـام ٢٩٨ م [٤٠] . ثم هجمات الالمان على ممرات الالب مهدديـن خطوط دفاع الامبراطورية الشمالية . ووصلت حدود أبعاد اخطـار الامبراطورية الى شمال أفريقيا والتى تمثلت فى هجمات البدو البربر الرحل على الحدود الصحراوية لولاية افريقيا الرومانية عهد الامبراطور « فاليريان — ٢٥٣ — ٢٦٠ » بالصورة التـى أصـبحت تقلق أمن الامبراطورية ، خاصة بعد أن تعددت هذه الهجمات بشكل متكرر — بحيث انتقلت العدوى الى آسيا الصغرى — والتى تمثلت فى هجمات

(38) Cf., Jones (A.H.M), Martindale (J), and Morris (J). The Prosopography of the Later Roman Empire, Col. I (A.D. 260-385). Cambridge Umiversity, Press 1971, pp. 37 ff.

— كذلك راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٨٦ .

(39) cary (M), A History of Rome down To the Reign of constanine, London 1938, pp. 723 ff.

(40) Cambridge. Med. Hist., Vol I, pp. 204 - 206 .

قبائل البربر من عنصر « الالان » من جهة الشمال الشرقى عبر القوقاز، بشكل أصبح يهدد أمن واستقرار الامبراطورية (٤١) . وربما كان من أخطر اللحظات التى أحدقت بالامبراطورية الرومانية هجمات الفرس الساسانية التى هددت أقليم أرمينيا وبلاد ما بين النهرين وسوريا عام ٢٣٣ م ، وأصبح خطرها شوكة قائمة فى جسم الامبراطورية — زادت من حدتها بهجوم الفرس وانزال الهزيمة بالامبراطور « فاليريان» وأسره عام ٢٥٩ م (٤٢) . وبرغم أن بعض الاباطرة قد تمكنوا بعد ذلك من احراز شيء من الانتصارات الجزئية على الفرس ، الا أن هـذه الانتصارات لم تكن من القوة لوقف الخطر الفارسى المتكرر (٤٣) .

السلطة الرباعية وأثرها فى متغيرات العلاقات الرومانية المسيحية :

ولقد ادرك « دقلديانوس » مدى الاخطار التى تلاحق كيان الامبراطورية داخليا وخارجيا ، وأن سلطة الامبراطور غير كافية لحماية الامبراطورية دون مساعدة من المساعدين والقواد وحكام الولايات . وأن شئون الامبراطورية تستوجب ان يكون هناك نائب للامبراطور يتولى مسئولية الدفاع عن الولايات الغربية حتى يتفرغ الامبراطور لحماية الجبهة الشرقية .

ولهذا كان اختياره لأقرب الناس اليه ورفيقه فى السلاح وهو « ماكسيميانوس — Maximianus » (٤٤) الذى رقاه الى رتبة « قيصر — Caesar » ثم الى مستوى « اغسطس » فى عام ٢٨٦ م تكريما له على انجازاته فى استتباب الأمن فى المنطقة الغربية بعد أن

(41) Thompson (L.S.). The Middle Ages. Vol I, pp. 16 ff; cf., Remindon (R), La Crise du Mond Romain de Mar-Aurele a Anastase, 2nd. Ed., Paris 1970, pp. 252 ff.

(42) Cary, op. cit., pp. 724 ff.

(43) Moss (L.B.), The Birth of the Middle Ages London 1925 pp. 6. ff.

(44) Cf., C.H.V. Sutherland, R.I.C., vi., 15 ff

سحق الثورة فى منطقة الغال وطارد الالمان حتى حدود الامبراطورية شرق الراين . وعندما أدرك « دقلديانوس » مدى النتائج الايجابية التى حققها مع نائبه فى المجال السياسى والعسكرى — ثمرة نظام توزيع المسؤلية — قرر عام ٢٩٣ م توزيع السلطة الامبراطورية على أربعة ، والتى عرفت بالنظام المسمى بالسلطة الرباعية «Tetrarchia» — وذلك بتعيين نائب له ونائب لشريكه « ماكسيميانوس » — وهذان النائبان كانا بدرجة قيصر أو ولى العهد [٤٥] . وبناء على ذلك فقد اختار « دقلديانوس » نائبه ، وكان فلاحا الليريا جاء من تحت السلاح وهو « جايوس جاليريوس — Gaius Galrius » [٤٦] الذى كان على دراية تامة بالشئون العسكرية والاستراتيجية . أما شريكه « ماكسيميانوس » فقد اختار نائبه وكان أيضا فلاحا الليريا ترقى تحت السلاح وهو « قنسطنطيوس — Constantius » المشهور باسم « خلوروس — chlorus » أى ذو « الوجه الشاحب » [٤٧].

وبذلك قسمت ادارة الامبراطورية بين الأقطاب الأربعة ،وأصبح لكل منهم منطقة التى يديرها من خلال دارته بعاصمته — حيث أوكل الى « اكسيمانوس » حماية المناطق الشمالية متخذا من «ميلانو» عاصمة له شمال ايطاليا — فى حين أوكل الى « قنسطنطيوس » ولاية بلاد الغال وبريطانيا متخذا من مدينة « تريفيس — Treves » عاصمة له . أما « جاليريوس » فقد أشرف على منطقة البلقان وآسيا الصغرى متخذا من مدينة « صيرميوم — Sirmium » عاصمة له . بينما تولى « دقلديانوس » حماية المقاطعات الشرقية وجعل من مدينة « نيقوميديا — Nicomedia » المواجهة لمدينة بيزنطة

(45) Cf., Seston (W), La Tetrarchie, 1946, pp. 69 ff.

(46) cf., C.H.V. Sutherland, R.I.C., vi., 15 ff

(٤٧) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٠٢ وما بعدها.

عاصمة له [٤٨] . ونلاحظ أن القوانين والقرارات كانت تصدر باسم الأقطاب الأربعة — وكانت ملزمة وتحترم من الجميع مع احتفاظ كل منهم بشخصيته الفردية المطلقة — وأنه برغم تطبيق سياسة « اللامركزية - decentralization » فقد بقيت الامبراطورية متحدة فى اطار حدودها وقوتها العسكرية [٤٩] .

ولقد انكب كل طرف من الأقطاب الأربعة فى اثبات قدرته على تأمين حدوده ، والحفاظ على كيان ووحدة الامبراطورية ، حيث استطاع « جاليريوس — Galerius » خلال الفترة من ٢٩٤ — ٢٩٧ م من القيام بحملات دفاعية ضد القوط والصرماتيين فى منطقة الدانوب مع بناء الحصون والقلاع واستصلاح الأراضى وتوزيعها على المستوطنين الجدد .

أما « قنسطنطيوس Constantius » فقد قام بعمليات عسكرية ضد « كاراوسيوس Carausius » [٥٠] فى بحر الشمال وهزمه واستولى على بولونيا وطرد الفرنجة والجرمان من المناطق المطلة على بحر الشمال . بيد أن « كاراوسيوس » قد اغتيل وانتهت لامبراطورية من مشاكله الى الأبد عام ٢٩٣ م [٥١] ، وفى عام ٢٩٦م

---

(٤٨) راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق . ص ٤٠٤ .

(49) Cf., Seston (W), La Tetrarchie, 1946, pp. 72 ff.

(٥٠) قائد بحرى المانى اوكل اليه « ماكسيميانوس » قيادة قاعدة بحرية فى بولونيا — الا انه وسع نفوذه الى بريطانيا واعلن نفسه امبراطورا « اغسطس » منفصلا عن الامبراطورية الرومانية . راجع :

— Cf., webb (P.H.), Reign and coins of carausius. 1906; colingwood-Myres, Roman Britain 2, 276 ff.

(51) Cf., C.H.V. Sutherland, in Roman Britain, 1937, 62 ff; R.A.G., Carson, Journ. Brit. Arch. Assoc., 3, pp. 33 ff; Frere. Britannia, 335 ff

غزى « قنسطنطيوس » بريطانيا وأعاد السيطرة الرومانية عليها من الجنوب الى الشمال حتى حائط هدريان — ثم أعاد مقر قيادته فى مدينة « تريفيس Traves » بعد أن قام بتجميلها لتصبح من أهم مدن الامبراطورية فى الغرب ٠

أما عن انجازات « دقلديانوس » فقد كانت وساما على صدر الامبراطورية الرومانية حيث شملت مناطق كبيرة من شرق الامبراطورية — فأخمد الثورة القومية فى الاسكندرية عام ٢٩٧ م التى تزعمها الزعيمان « أخيليوس Achilleus » و « لوكيوس دوميتيوس دوميتيانوس — Lucius Domitius Domitianus » والتى اندلعت نتيجة للسياسة الاقتصادية المجحفة التى أقرها والتى تمثلت فى الغلاء الفاحش والضرائب التعسفية ٠ فقام باعدام الثوار ، والقضاء على الثورة الاجتماعية التى عرفت باسم « الثورة المانيخية Manchaean » (٥٢) — بينما عامل السكندريين معاملة حسنة ووزع عليهم القمح — واستمع الى قياداتهم ٠ وقد أقام له والى مصر « بوستيموس » نصبا تذكاريا اعترافا بجميله على المدينة ، وهو عبارة عن عمود ضخم داخل السيرابيوم المقدس بمنطقة الحى الوطنى ٠ كما أمن « دقلديانوس » حدود مصر الجنوبية من هجمات القبائل « البشارية — Blemmyes » حيث وطن احدى القبائل الموالية

---

(٥٢) عرفت بهذا الاسم نسبة الى المبشر « مانى — Mani » الذى بشر بالصراع بين الشعب والحاكم الظالم وقد وصلت دعوته الى مناطق كثيرة ومنها مصر ، راجع : سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) لتلك الثورة مدعم بالمراجع — كذلك ارجع الى :

— Cf., H.C. Puech, Le Manicheime, 1949; Widengren (G), Mani und der Manichaismus (1961, E.T. 1965) Bibliography, C.A.H., XII. 773 ff.

للرومان فى الأراضى الواقعــة جنوب الشلال الأول لكى تتولى صـد أى هجوم خارجى (٥٣) .

كما كانت لانتصــارات « دقلديانوس » شرقا على الفرس أكبر الأثر فى اســتتباب أمن وســلام الامبراطـورية ، فقـد استطاع « دقلديانوس » استدعاء مساعده « جاليريوس » لرد خطر الغـزو الفارسى الذى قام به ملك الفرس « نارسيس » مستغلا انشــغال « دقلديانوس » فى اخماد ثورة الاسكندرية — وقام بغزو أرمينيــا وســوريا ، وبرغم هزيمــة « جاليريوس » الأولى فى « كالنكيوم — Calhnicium » عام ٢٩٧ م الا أنه حقق النصر بعــد ذلك بعــد أن استعاد قواته عام ٢٩٨ م ، فهاجم أرمينيا — ودخل « كتيسيفون » وأسر الأسرة الملكية مما أرغم الفرس الى الصلح ، وبذلك اســتردت روما ولاية ما بين النهرين ، ومملكة « أرمينيا » والطريق البرى بين سوريا حتى الخليج الفارسى — مع الزام الملك الفارسى على أن يدفع التجار للضرائب والمكوس الخارجية لروما عند قلعــة « ينسيس » قرب نهر دجلة — مدعمين انتصار روما الســاحق على الفرس الذين لم يجرأوا على تحدى روما لأكثر من خمسين عاما قادمة (٥٤) .

وبذلك فقــد حققت السلطــة الرباعيــة التى وضع قواعــدها « دقلديانوس » أكبر اســتقرار لأمن وســلامة الامبراطورية على مر تاريخها الطويل .

---

(٥٣) عن زيارة دقلديانوس للاسكندرية (راجع) :

Cf., La revolte de Domitius Domitianus et le voyage en Egypte de dioclotion d'apres le temoignage des papyrus et des Ostraka. Revue des Etuds Grecques, 97, 1966. pp. IX, X.

(٥٤) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص٤٠٧ ، ص٤٠٨ .

نقطة التحول ضد المسيحية :

كانت لانجازات السلطة الرباعية أكبر الأثر فى انتعاش الوضع العـام داخل الامبراطورية الرومانيـة ، وخاصـة بعـد الاصلاحات الدستورية التى وضع أصـولها « دقلديانوس » فى الناحية الادارية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية(٥٥) • وقـد شعر كل مسـؤل رومانى وفرد بمدى الدور الايجابى الذى شارك كل منهم فى ارسـاء دعائم الاصلاح فى الامبراطورية •

وأمام ذلك فقد أحس الرومان بسلبية المسيحيين وانطوائهم وعدم تعاونهم فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ الامبراطورية ، وانه كان من الواجب أن يرد المسيحيين الجميل بعد أن أخذوا حريتهم فى العبـادة واستظلوا بمظلة التسامح خلال هذه الفترة، فهاجمهم بشدة المتطرفون الوثنيون منتهزين هذه الفرصـة لاظهـارهم بمظهر الخـارجين على الاجماع الوطنى والمنشقين عن التراث الوطنى القديم فى سبيل عقيدة جديدة وافدة من الشرق (٥٦) • وكان لذلك الوضع أكبر الأثر فى تغيير شخصية ونفسية « دقلديانوس » ضد المسيحيين ، وخاصة بعـد تلك السياسة التسامحية التى منحهم اياها ، وبعـد أن اتخـذ المسيحيون وضعهم فى سلك الجيش الامبراطورى وداخل الدولة ، وتسللوا داخل القصر الامبراطورى نفسه ، كما أن التنظيم الدقيق الذى قامت عليه الكنيسة جعل من الشعب المسيحى دولة داخل الدولة (٥٧) •

---

(٥٥) راجع : اصلاحات دقلديانوس — سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٤٠٨ وما بعدها — حيث لم نعرض لها حفاظا على مضمون البحث من الناحية الشكلية والموضوعية •

(56) Cf., Jones (A.H.M.), The Decline of Ancient Rome, Longmans 1966, pp. 89 ff.

(57) Cf., Glover (T.R.), The conflict of Religions in the early Roman Empire, London 1920, pp. 33 - ff.

وقد وجه المفكر المسيحى « لاكتنتيوس — Lactantius » [٥٨] الذى كان يقيم فى قصر « دقلديانوس » فى نيقوميديا ويشرف على تربية الأمير « قسطنطين » بن « قسطنتيوس » نائب الامبراطور فى الغرب — أصابع الاتهام الى « جاليريانوس — Galerianus نائب « دقلديانوس » فى الشرق وألد أعداء المسيحية ، والى « هيروقليس — Hierocles » حاكم ولاية بيثينيا وصاحب الرسالة المشهورة القائمة على منطق الأفلاطونية الجديدة والتى بعث بها الى « دقلديانوس » طالبا منه الشروع فى تصفية المسيحية [٥٩] .

وتطورت مراحل الاضطهاد من قبل « دقلديانوس » ضد المسيحين لتصفيتهم — حيث أصدر أمرا يلزم الجنود والضباط فى للجيش الامبراطورى بتقديم القرابين والأضاحى لآلهة الامبراطورية القديمة وجعل عقوبة الطرد من الخدمة لكل من يرفض تطبيق الأوامر . وأعقب ذلك باصدار قرار امبراطورى « Edict » بتصفية الكنائس المسيحية وتدميرها وأحراقها الاناجيل ، وتحريم الصلاة فى الكنائس أو القيام بأية شعائر مسيحية كما ألغى قرارا سابقا كان قد سمح للمسيحين بالدفاع عن أنفسهم أمام المحاكم والقضاء الرومانى .

وفى عام ٣٠٣ م هاجم الحرس الامبراطورى الكنيسة الصغيرة المواجهة للقصر الامبراطورى فى نيقوميديا وأشعل النيران بها — وقاموا بتعذيب واحراق كل معترض على قرارات الامبراطور — وتصادف ذلك نشوب حريق مرتين بالقصر الامبراطورى على مدى أسبوعين وجهت فيه أصابع الاتهام الى المسيحين كرد فعل أمام تطور الاحداث

---

(58) Cf., Brandt (S) and Laubmann (G), Corpos scriptions Ecclesiasticorum Latinorum, 1866 X, xix, xxvii; Moreau (J), De la Mart des Perseecyteurs, sources chretiennes, 39 (1956); Blakenay (E.H.), Epitome, 1950, p. 122 f.

(٥٩) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٢ .

ضدهم — وتم القبض على عدد كبير منهم وسجنهم وتعذيبهم حتى المـوت [٦٠] • كما اندلعت بعض الثورات فى سوريا « وكابادوكيا » كان المسحيون هم كبش الفداء ، حيث وجهت اليهم أصابع الاتهام — وجاء رد فعل « دقلديانوس » فى منتهى القسوة حيث أمر بالقبض على القساوسة والكهنة وايداعهم السجون التى امتلأت بهم ، ثم جـاء قرار « دقلديانوس » الثالث عام ٣٠٤ م أثناء فترة مرضه ، يقضى بالأفراج والعفو عن المسيحين مقابل تقديم الاضاحى للآلهة الرومانية أو تنفيذ حكم الاعدام • وقد أرجع المسيحيون صدور هذا القـرار الأخير الى حقد « جاليريانوس » ضد المسيحين — وان كان من المرجح هو اخضاع رعايا الكنيسة لسيادة الدولة المطلقة [٦١] •

ويلاحظ أن القرارات الثلاث التى أصدرها « دقلديانوس » ضد المسيحين قد طبقت فى جميع ولايات الامبراطورية بنسب متفاوتة — حيث طبقها « جاليريانوس » بكل دقـة وقسـوة فى الشرق • أمـا « قنسطانطيوس » فقد نفذ القرار الأول بينما تباطأ فى تنفيذ القرارين الاخرين لشعوره ان بعض الوثنيين فى مصر والشرق بدأوا يتعاطفون مع المسيحيين ويساعدونهم من بطش الجنود فى الولاية [٦٢] •

وكان لمرض « دقلديانوس » الشديد أكبر الأثـر فى اعتـزاله وانكماشه عن الظهور فى المناسبات الرسمية — وفى بداية شهر مارس عام ٣٠٥ م أعلن « دقلديانوس » اعتزاله فى حفل تكريم كبير حضره عدد كبير من قـواده فى نيقـوميديا — وفى نفس الـوقت اعلـن « مكسيميانوس » صديق عمره فى ميلان اعتزاله الحكم أيضا وفاءا

---

(٦٠) جيبون (المرجع السابق) ص ٦٦٧ وما بعدها •

(61) Cf., Rostovtzeff, A History of the Ancient world, vol 2, OxFord 1953 pp. 350 ff.

(٦٢) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) • ص ٤٢٣ •

لعهد قطعه على نفسه أمام « دقلديانوس » أن يترك الحكم معه فى وقت واحد . حتى يعطيا الفرصة للآخرين تطبيقا للنظام الذى وضعاه فقلم « دقلديانوس » بتعين « قسطانطيوس » — خلفا لماكسيميانوس فى الغرب — مشرفا على ولايات بلاد الغال ، وبريطانيا واسبانيا وموريتانيا ، بينما عين « جاليريوس » خلفا له فى الشرق مشرفا على منطقة البلقان وآسيا الصغرى . وقد اختار « جاليريوس » ابن شقيقه ويدعى « ماكسيمينوس دايا — Maximinus Daia » نائبا له بدرجة قيصر لحكم الشرق ، وأن يوكل اليه ولايات آسيا الصغرى وسوريا ومصر . أما « قسطانطيوس » فقد اضطر الى ان يتخطى ابنه ويختار رجلا آخر هو « فلافيوس فاليريوس سيفيريوس — Flavius valerius Severus » ليشغل منصب نائبه فى الغرب وان يؤكل اليه حكم ايطاليا وافريقيا وبانونيا . وبذلك أهمل « ماكسينتيوس — Maxentius » ابن ماكسيميانوس ، كما أهمل قسطنطين ابن قسطانطيوس (٦٣) .

الصراع من أجل الحكم والبقاء :

وبتنحى الامبراطور « دقلديانوس » العرش عام ٣٠٥ م بعد بلوغه سن الستين ، تبدأ مرحلة جديدة من التوتر وعدم الاستقرار — قيام الحروب الأهلية التى استمرت ما يقرب من سبع عشرة سنة — وبرزت خلالها شخصية قنسطنطين ، الذى استطاع أن يتغلب على خصومه ومنافسيه واحدا بعد الآخر حتى توحيد الامبراطورية الرومانية مرة أخرى سنة ٣٢٣ م (٦٤) .

---

(٦٣) سيد احمد الناصرى (نفس المرجع) . ص ٤٢٣ .

(64) Vasiliev (C), Histoire de L'Empire Byzantin, Tome 1, 1932 pp. 80 ff.

ولقد بدأت ملامح هذا الصراع بموت « قسطنطيوس خلوروس» فجأة عام ٣٠٦ م ، وهتفت قواته بابنه « قسطنطينوس » وريثا له دون استشارة « جاليريانوس » الشريك فى حكم الامبراطورية والذى رضخ للامر الواقع بتعيين « قسطنطيوس » بدرجة قيصر مثله مثل « ماكسيميانوس دايا » ، بينما رقى « سيفيريوس » الى درجة الامبراطور الشريك — بيد أن « ماكسنتيوس » ابن « ماكسيميانوس » الامبراطور المعتزل أعلن احقيته هو الآخر فى تولى العرش مثل قسطنطينوس تماما — واعلن النضال والقتال من أجل الحق — ثم استدعى أباه من عزلته فى التقاعد ليساعده — حيث تمكنا من اثارة ايطاليا وكسب تأييدها ، وكذلك ولاية افريقيا . ومن ثم اشتعلت كوة الصراع الدامى لى أشده بين المتنافسين من أجل الحكم والبقاء . وكثرت الحروب والانقلابات والمؤامرات والمعاهدات والتحالفات — ورفع القياصرة (النواب) السلاح فى وجه الاباطرة (وقد حدث ذلك كله وما يزال دقلديانوس على قيد الحياة فى مقر تقاعده) . وفى خلال الفترة ما بين ٣٠٧ — ٣١١ م انحصر الصراع على السلطة بين خمسة أقطاب (١ — جاليريوس ٠ ٢ — وماكسنتيوس ٠ ٣ — وماكسيمينوس ٠ ٤ — وليكينيوس (Licinius) الذى حل محل سيفيروس ٠ ٥ — وقسطنطين) [٦٥] .

ولقد توفى جاليريانوس عام ٣١١ صريعا لمرض خبيث أودى على بقية حياته ، وسقط بعد ذلك « ماكسنتيوس » عام ٣١٢ م نتيجة للصراع مع قسطنطين عند جسر « ميلفيا (Milvian) » على نهر التيبر بعد هزيمة قواته على يد ليكينيوس [٦٦] — وجدير بالذكر أن

---

(٦٥) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٢٦ .

(66) Cf., cam., Med. Hist., vol. I, pp. 5 - 6.

« ماكسنتيوس » كان مسيحيا فى الأصل ثم ارتد الى الوثنية بعد ذلك (٦٧) .

ونتيجة لذلك فقد انحصر الصراع على عرش الامبراطورية بين القائدين « قسطنطينوس » و « ليكينيوس » الذى تزوج من شقيقة الاول عام ٣٢٤ م ؛ بيد أن ذلك لم يمنع أو يحجب أطماع كل منهمـا فى السيطرة والسلطة المطلقة — فكان لابد من حليف قوى يشـد من أزر القطن الى ذلك . وقد أدرك « قسطنطين » ان يكسب التأييـد المعنوى للمسيحين ركيزة للاستقرار والسيطرة .

موقف الصراع من المسيحية :

وقد ظل الاضطهاد الوثنى للمسيحية قائما بعد اعتزال دقلديانوس واستمر يمارس بعنف فى الدوقيات التابعة لجاليريوس فى اليريكوم وتراقيا وآسيا الصغرى ؛ كما طبقها بقسوة « ماكسيمينوس دايا » فى الدوقيات التابعة له فى مصر وسوريا — حيث كان «ماكسيمينوس » يصدر خدمم الاحكام بالتمثيل والتشويه الى الاحكام الشاقة فى المناجم والمحاجر — واستخدام صنوف الوان التعذيب والتنكيل التى وصلت حد القتل للنساء والاطفال والشيوخ الذين يرفضون تقـديم القرابين والاضاحى للآلهة الوثنية ويتخلون عن العقيدة المسيحية . وقد حاول ماكسيمينوس احياء المعابد القديمة وبناء معابد كبرى جديدة للآلهة الوثنية ؛ كما قام بانشاء كنيسة على نفس النمط الكهنوتى الذى قامت عليه المسيحية كنوع من الخلط والطمس للكنـائس المسـيحية والتشبيه بها فى تنظيم وثنى . ويبدو ان « ماكسيمينوس » كان ينفذ

---

(٦٧) من المرجع لارضاء الربة « روما » : راجع :
— Cf., De Decker, La politique religieuse de Maxence) e, Byzantio, xxx, A III, 1968

تعاليم « جاليريانوس » التعسفية ضد المسيحيين (٦٨) . وفى عام ٣١١ م تعرض « جاليريانوس » لازمة مرضية شديدة تمثلت فى مرض خبيث وصفه المسيحيون بأنه انتقام الرب ضد الظالم . ويبدو أن مرض « جاليريانوس » الشديد قد اشعره بمدى الظلم الذى أوقعه على المسيحيين وأن عمليات الاضطهاد والتنكيل أصبحت لا تجدى بل أتت بنتائج عكسية ، اذ زاد من ايمان المسيحيين بالله وبدينهم ، وازدادت الكنيسة قوة وصمودا ، وسرت فى المسيحيين نشوة الشهادة والبطولة والاصرار على العقيدة — فتقرر وقف الاضطهاد والمذابح ضدهم لعدم جدواها ولأنها أثرت فى بث دعائم الاضمحلال والانهيار فى جسم الامبراطورية وأدت الى تعطيل مصادر الدخل فى مجال الزراعة والصناعة والتجارة ، وتدهور الحياة الاجتماعية وتفككها وانتشار المجاعات بين الطبقات الدنيا (٦٩) .

أمام ذلك أحس « جاليريانوس » بعقدة الذنب تجاه المسيحيين وأن الوقت قد حان لتكفير الذنوب ومحاولة اصلاح ما يمكن اصلاحه واسترضاء الرب فى تلك المرحلة الحرجة من الحياة — ومن ثم كان قراره للتسامح :

مرسوم جاليريانوس للتسامح
Edict of Toleration

ففى عام ٣١١م(*) أصدر « جاليريانوس » قراره الشهير للتسامح

---

(٦٨) راجع : يوسابيوس القيصرى ، تاريخ الكنيسة » ترجمة : القمص مرقس داود — ص ٤٣٠ وما بعدها .

(٦٩) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(*) يدخل هذا التاريخ ضمن فترة تاريخ أوربا فى العصور الوسطى والذى يبدأ ببداية القرن الرابع الميلادى . بيد أن مؤثرات نهاية القرن الثالث لا يمكن تجزئتها عن بداية القرن الرابع — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد عرفت فترة تاريخ روما حتى سقوطها عام ٤٧٦ م على يد الجرمان يقع ضمن الفترة الخاصة بدراسة تاريخ الامبراطورية الرومانية وهى تتبع التخصص الدقيق للتاريخ القديم اليونانى الرومانى .

الدينى (Edict of Toleration) يحمل اسمه ، وأسمى ليكينيوس ، وقسطنطين تألفت فى ديباجة الشرقة الالقاب الامبراطورية ثم جاء بعده [٧٠] :

« من بين المهام الخطيرة التى تشغل أذهاننا ، من أجل مصلحة الامبراطورية والحفاظ عليها ، أن أتجهت ارادتنا الى تصحيح كل الأوضاع ، واعادة بنائها ، وفقا للقوانين القديمة ، والنظم العام عند الرومان . وانا لشديدو الرغبة ، بصفة خاصة ، فى أن نهدى الى طريق العقل والطبيعة أولئك المسيحين المضللين الذين نبذوا الديانة والطقوس التى شرعها أباؤهم ، والذين تبجحوا فازدروا شعائر الأقدمين ، ومن ثم ابتدعوا قوانين وآراء منطرفة ، أملاها عليهم خيالهم ، وشكلوا مجتمعا متعدد الألوان فى مختلف أرجاء الامبراطورية ، ان المراسيم التى أصدرناها لفرض عبادة الآلهة ، عرضت كثيراً من المسيحيين للخطر والكروب ، فقضى الكثيرون نحبهم ، على حين ظل عدد أكبر سادرين فى حماقتهم الملحدة حيث جردوا من الحق فى الممارسة العلنية للدين ، ومن هنا اتجهت ارادتنا الى أن نبسط مزايا رأفتنا المألوفة على هؤلاء الأفراد التعساء . ولذلك نرخص لهم فى اعلان آرائهم الخاصة فى حرية تامة ، وفى عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف أو ازعاج ، شريطة أن يظهروا دوما الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة ، ولسوف نوضح مقاصدنا للقضاة والحكام ، فى مرسوم آخر ، وانا لنأمل أن يحفز تسامحنا المسيحيين الى الصلاة والتضرع الى الاله الذى يعبدون ، من أجل سلامتنا ورخائنا . وسلامتهم ورخائهم هم أنفسهم ، وسلامة الجمهورية ورخائها » .

---

(٧٠) راجع جيبون (المرجع السابق) . ص ٤٧٩ ، ص ٤٨٠ ، يوسابيوس القيصرى « تاريخ الكنيسة » ك ٨ ف ٧ . ص ٤٢١—٤٢٣ ، اسحاق عبيد « الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية » —١٩٧٢— ص ٥٣ .

ويبدو أن مرسوم « جاليريانوس » كان على الأقل صورة صادقة لشعور الامبراطور المحتضر والذى كان بمثابة تعهد باخلاصه — وان توقيع « جاليريانوس » على مرسوم التسامح هذا كان على يقين بمدى مسايرة « ميسينيوس » لنزعات صديقه الحميم ؛ وأن أى خطوة فى صالح المسيحية كانت ستحظى برضاء قسطنطين (٧١) . أما الامبراطور « مكسيمينوس » فقد كانت اتجاهاته واضحة بحيث أن « جاليريانوس » لم يكن ليجرؤ أن يضع أسمه فى ديباجة المرسوم ؛ والذى كان قد تولى بعد ذلك بأيام قلائل حكم ولايات آسيا . وفى الشهور الستة الأولى من حكمه تظاهر بمدى التزامه بالنصائح الحكيمة لسلفه . وتجلى ذلك من خلال توجيهات رئيس حرسه « سابينوس » الذى أصدر توجيهات عديدة الى الولاة والحكام فى الولايات يحثهم على غض الطرف عن محاكمة وعقاب الاساقفة واطلاق سراح المسجونين المسيحيين .

بيد أن ذلك الاستقرار والسلام لم يدم طويلا — حيث أن الخرافة (العقيدة) والقسوة كانتا كامنتين فى شخصية «مكسيمينوس» الذى كان مثابرا على عبادة الآلهة ودراسة السحر والايمان بالوحى ومجالسة الفلاسفة الذين اثروا عليه واقنعوه بأن المسيحيين مدينون بانتصاراتهم الى نظامهم الدقيق ؛ وأن ضعف المشركين ناتج عن افتقارهم الى وحدة رجال الدين والحكام الرياسة والتدرج بينهم ؛ وأمام ذلك فقد أمر « مكسيمينوس » باصلاح المعابد وتجميلها فى كل المدن الكبيرة فى أنحاء الامبراطورية وأخضع الكهنة القائمون على خدمة مختلف الآلهة (٧٢) . وقد وصلت بتأثير الحكام وتأثير هذا النظام الكهنوتى رسائل كثيرة الى الامبراطور تنم عن الطاعة وخاصة

(71) Cf., Hardy (E.G.), Christianity and the Government, 1906, pp. 66 ff.

(٧٢) جيبون (المرجع السابق) . ص ٤٨١ .

من مدن « نيقوميديا وانطاكية وصور » — وتستحس وتلتمس من الامبراطور أن يلجأ الى قوانين العدالة ، وابعاد المسيحيين الى خارج بلادهم . ولنا أن نتصور مدى صور الاضطهاد والتعسف التى عانى منها المسيحيين خاصة فى آسيا الصغرى أمام جبروت وقسوة حاكم عنيد متعصب دبر كل صنف الغدر والعنف بمثل هذه السياسة المقصودة والمدبرة .

موقف قسطنطين من المسيحية :

ويبدو أن قسطنطين قد أحس بمدى ما حققه من نجاح بعد جولاته فى الصراع مع المنافسين — وأنه يجب تحقيق كسب كبير يضم المسيحيين الى جانبه خاصة بعد تلك النبؤة المبشرة بالنصر — والتى اتسعت رؤيتها بعد رواية « لاكتانتوس — Lactantius »[٧٣] . بأن قسطنطين قد أتاه الهاتف ليلة المعركة (جسر ميليفيا) (Milvian) وقد طلب منه ان يأمر جنوده بأن يكتبوا على دروعهم الحرفين الأولين من أسم السيد المسيح (خريستوس — Christos)[٧٤] . وقد أشار « يوسيبيوس — Eusébe » بأن قسطنطين قد روى له أنه شاهد قبيل المعركة علامة الصليب رمز المسيحية ترسم عبر الشمس فى سماء روما عام ٣١٢ م ومن تحتها عبارة «en touto nike» أى بهذا سوف تنتصر[٧٥] . وخاض المعركة باسم الصليب ، حيث حاصرت قواته ببسالة « ماكسنتيوس Maxentius » أمام التيبر ، ثم

---

(73) C.F., Lactantius, De mortibus persectorum, in P. L., Vol. VII; cf., Moreau (J), De la Mort des Persécuteurs, Sources Chretiennes, 30 (1965); Wlosok (A), Laktaniz Und die Philosophische Gnosis, 1960.

(74) cf., Cam. Med. Hist., Vol. I. pp. 5. 6.

(75) cf., Castritius (H), Studien Zur Maximinus Daia (M. Lassleben) 1969, pp. 12 ff.

دخوله روما بعـــد ذلك فى اليوم الثانى منتصرا ليستعرض قواته — عارضا من خلال أحـــد ضـــباطه رأس « ماكسنتيوس » معلقـــة على عربة وسط هتاف الجماهير بحياة المحرر والمنقذ قسطنطين [٧٦] — ثم مباركة السناتو له واعلان شرعيته وسلطانه المطلق على كافة ولايات الامبراطورية [٧٧] .

ولنا أن نتصور شعور المسيحيين أمام تلك الانتصارات المبجـــلة بالصليب — وتلك الأحاسيس الفياضة والشعارات الجامعة والشموخ بفضل الصليب وقوة عقليته «Mentis magnitudine» النابعة من قوى الرب «Instinctus divnitatis» ، وهذا ما أعلنه قسطنطين بالفعل نحو فضل المسيح ووقوفه الى جانبه [٧٨] .

وبرغم ذلك فان قسطنطين قـــد اســـتمر فى احتـــرام الديانات الأخرى الوثنية ، خاصة وأنه كان الكاهن الأعظم لهـــا (Pontifex Maximus) ، وأنه بنى قوس النصر لرب الشمس ، وسك صـــور الآلهة الوثنيـــة على النقود . وأصبح يعمل على تقارب جميع المذاهب الدينية لتقف خلفـــه فى صراعاته — ولنـــا أن نتصور شعور الوثنية من مواقف قسطنطين المسيحية ، فقد كان بمثـــابة الخـــارج عن جلد أجداده برداء جديد غير مناسب [٧٩] .

ويبدو أن الأوضاع والأحداث قـــد أملت على « قسطنطين » خط ثابت نحو المسيحية — والارتكاز على سياسة دينية قوية — تمثلت فى

---

(76) cf., Vasiliev, op. cit., Tome 6, p. 61; Eusebius, Vita Constantini (Schaf's ed).

— راجع سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٤٢٧ .
«in hoc signo Vinces»

(77) cf., Eadie (J.W.) The Conversion of Constantine (European Problem studies, New York, and Winston 1971, pp. 35 ff.

(78) cf., Ostrogorsky, (T). History of the Byzantine State, London 1952, p. 43 .

(79) Cf., Eadie (J.W.) op. cit., pp. 22 ff.

مؤثراتها فى المنطقة • وأن موقف المسيحيون من قسطنطين أصبح يمثل الحليف القوى لكلا من الطرفين • ومن ثم فقد كان من الأوفق تقديم المزيد من الطرفين للتقارب الأقوى • فأصدر « قسطنطين » بصفته الأغسطس الأعلى بين أقرانه أوامره الى « مكسيمينوس دايا » بوقف اضطهاد المسيحيين فى الشرق الأوسط — ثم أصدر أمرا فى عام ٣١٣ الى حاكم ولاية أفريقيا باصلاح الكنائس المهدمة ومساعدة أسقف قرطاجة « كايكيليانوس — Caecilianus » بالأموال اللازمة لتوزيعها على كهنة الكنيسة الأرثوذكسية فى شمال افريقيا (نوميديا — وموريتانيا) ، واعفاء الكهنة من الضرائب وكافة الأعمال والمناصب الالزامية [٨٠] •

وأمام ذلك فقد كان لزاما على قسطنطين احتضان هذه الطبقة العريضة وضمها بصفة دائمة الى جانبه دون أية تآزل أو أى شعور من عدم الاطمئنان الذى كان صفة راسخة فى نفسية كل مسيحى • وأنه برغم ميول قسطنطين الظاهرة الى ايمانه العميق نحو المسيحية الا أن دوافعه غير المباشرة فى السيطرة والاستقلال بالسلطة كانت العامل الأساسى فى مواقفه من المسيحية • ويميل قراء العصر الحديث من البروتستانت والفلاسفة الى الاعتقاد بأن قسطنطين ، فى روايته عن تحوله الى المسيحية كان مسوقا بوازع من مصلحته ، وأنه قد استخدم مذابح الكنيسة بمثابة سلم مناسب يرقى الى عرش الامبراطورية فى اطار أمنى شامل • وان كان ذلك من الأمور التى يصعب الجزم بها اذا ما كان للدافع الدينى صفة مؤثرة على تصرفاته [٨١] • وان كانت نتيجة لأحداث الفترة الأخيرة من القرن الثالث وأثرها على تطور العلاقات الرومانية المسيحية •

---

(٨٠) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٤٣٤ — كذلك راجع:
— cf., Coleman - Norton (P.R.,) Roman State and Christian Church, 1966, pp, 117 ff.

(٨١) حسنين (المرجع السابق) ص ٥٨٢ •

مرســـوم ميـــلان
Edict of Milan

نقطة التحول فى العلاقات الرومانية المسيحية

يعتبر الاقرار العلم للمسيحية (مرسوم ميلان عام ٣١٣) الذى أصدره قسطنطين بجعل المسيحية ديانة مرخصة Religio Licitia من أهم أحداث تاريخ الامبراطورية الرومانية ؛ وتاريخ أوربا خلال تلك الفترة — وأن جــزء كبير من العـــالم لا يـــزال محتفظـــا بالأثر العميق الذى أحدثه تحول هذا العاهل أكبير الى المسيحية (٨٢) .

ولا شك أن ذلك المرسوم (Edict of Milan) كان حلقة الوصل بين مرحلتين فى غاية الأهمية — تتصل أحداهمـــا بقسطنطين نفســـه والامبراطورية ؛ والثانية تتصل بالمسيحية (٨٣) . أما عن المرحلة الأولى فهى حركة الوصل بين فترتى حكم قسطنطين قبل الاعتراف بالمسيحية وبعد الاعتراف (مرسوم ميلان) — فالفتـــرة الأولى كانت تعكس صورة واضحة لمدى الاضطرابات والصراعات الدموية وعدم الاستقرار فى الحكم الذى كان قسطنطين يسعى الى توطيده . أما الفترة الثـــانية وهى تتصل بروح الاستقرار والطمأنينة التى عمت أرجاء الامبراطورية بعد استقرار الحكم بسلطة قسطنطين المطلقة دون منافس هدعما بقوى عريضة من الشعب تجلت فى جمهرة المسيحية .

أما المرحلة الثانية فتتصل بفترة تطور مركز المسيحية من عهـــد الاضطهاد والتعذيب حتى نهاية حكم دقلديانوس وجاليريانوس الى فترة الاعتراف والظهور والاستقرار والبقاء التى لم تجدها المسيحية فى أية

---

(82) cf., Baynes (N.H); Constantine the Great and the Christian Churh 1933, pp. 3 ff.

(٨٣) عن نص مرســوم ميلان راجع ؟ يوسـابيوس القيصرى » تاريخ الكنيســة — ك ١٠ ف ٥ ص ٤٩٧ — ٥٠٠ .

فترة سابقة . ويكفى أن نوضح أن قسطنطين بقرار الاعتراف (مرسوم ميلان) قد أعاد للمسيحية روحها المفقودة — وانه باعتناقه لها كان الركيزة التى وطدت أركان هذه الديانة (٨٤) .

ولنا أن نستعرض ما ورد فى نص مرسوم « ميلان مرسوم » الاعتراف بالديانة المسيحية وهو نص الخطاب القرارى الذى أرسله قسطنطين الى حاكم « نيقوميديا » (٨٥) :

« لقد كان رأينا منذ وقت بعيد ألا تنكر الحرية الدينية على أحد بل كنا نهدف الى أن نضمن لكل فرد الحق فى ممارسة عقيدته التى يختارها ، ولقد سبق وأصدرنا أوامرنا على نحو يكفل للمسيحيين وغير المسيحيين التمتع بمعتقداتهم الدينية وبعباداتهم . على أن الشروط الكثيرة التى رهنت بها الحرية الدينية عند اصدار هذا القرار لم تمكن البعض من التمتع بالحرية الدينية كما ينبغى .

وعليه فانه من حسن الطالع عندما وصلنا نحن قسطنطين أغسطس ونحن ليسينيوس أغسطس الى مدينة ميلان . ورحنا نتدارس سائر الأمور المتصلة بصالح الرعية ونفعها . فانه من بين الاجراءات الأخرى التى قصد بها الصالح العام ، أو بالأحرى من المسائل الحيوية التى استجوبت الأولوية فى العناية قرارنا بارساء قواعد تؤكد وتضمن الاحترام والتبجيل للرب : بمعنى أن يعطى المسيحيون وغيرهم الحرية فى العبادة التى تروقهم ، لعلنا بهذا والرعية التى نحكم عليها نحظى بفضل ومحبة القوى الربانية والسلطات السماوية الأخرى . وهذا هو القرار الذى توصلنا اليه بعد تمحيص ودراسة ، وغايتنا أن يهبنا الرب غياته وعطفه الشاملين مثلما أعطانا من قبل .

---

(84) cf., Jones. Later Rom. Emp., pp. 22 ff.

(٨٥) راجع اسحاق عبيد (المرجع السابق) . ص ٥٧ — ٥٩ .

لقد وجدنا من الضرورى أن نرسل مرسوما يوضح هذا القـرار اليكم حتى نؤكد لكم فيه أمرنا بالغاء ما ورد من شروط فى المرســوم السابق بخصوص المسيحيين . هذا وعليكم مراعاة الغاء كل التحفظات السابقة التى لم يكن لها من مبرر والتى لا تتفق وروحنا الممثلة بالرحمة. والآن فانه يتحتم أن يتمكن كل واحد فرد له الرغبة فى اتباع تعاليم المسيحية وطقوسها من ممارسة هذا الحق كاملا ، دون تدخل يعوقه من تحقيق مراده هذا . كل هذه الأمور نحن نبسطها أمامكم لتتبصروا تماماء ولكى يتأكد لكم بصفة حاسمة أننا قد منحنا المسيحيين سابقى الذكـر ترخيصا مطلقا فى أن يمارسوا عاداتهم فى حرية تامة . ولا يخفى على فخامتكم أننا بمنحنا هذا الحق على اطلاقه فاننا نسمح لمن يشاء من الرعية أن يمارس نوع العبادة التى يرتضيها لنفسه ، وهذا حق خليق بسمات عهدنا الميمون الذى يسود فيه الاطمئنان . ولا يعنى هذا أننـا نقلل من شأن أية طقوس أخرى وعبادات أخرى .

وبالنسبة للمسيحيين فاننا نضيف القرار الآتى :

كنا قد حددنا فى الرسالة السابقة اليكم تعليمات خاصة فيمـا يتصل بأماكن العبادة المسيحية والتى اعتادوا على الاجتماع فيها . والآن فاننا نقرر أنه اذا اتضح أن أحدا ما قـد اشترى أماكن العبادة هذه فى شكل أو آخـر بمال دفع من خزانتنا أو من مصدر آخـر . فان عليه المبادرة بارجاع هذه الكنائس الى المسيحيين دون أن يتقـاضى مالا عنها ودون أن يطالب بأية تعويضـات . وهذا أمر لا نريد فيـه اهمالا ولا امهالا . وان كان أحـد ما قـد حصل على كنيسة من هذه الكنائس بصفة الهدية أو الهبة فعليه ارجاعها الى المسيحيين دون تباطؤ . وان رغب هؤلاء النفر من الناس المطالبة بتعويض فعليهم أن يلتمسوا هذا من أبواب كرمنا الامبراطورى : بأن يتقدموا الى قضاة وحـكام مناطقهم ، وسوف نجزيهم بكرمنا خيرا .

وعلى فخامتكم أن تتصرفوا فى همة زائدة وفورية لكى تسلم هذه الممتلكات جميعا الى المسيحيين دون ابطاء • ولما كانت للمسيحيين الى جانب كنائسهم أماكن أخرى موقوفة على الجماعة المسيحية كجمعية هنا وهناك ، فان هذه الممتلكات أيضا يجب أن تعاد اليهم ويطبق فى صددها نفس القانون السابق ذكره • وهذا أمر لا يحتاج الى مماطلة أو مجادلة • وتنسحب مسألة التعويض سالفة الذكر على هذا البند أيضا •

ونحن نحثكم على أن تبذلوا كل ما فى وسعكم من طاقة وهمة لتنفيذ كل هذه الأوامر فى أسرع وقت ممكن حتى يتعرف الناس على كرم قراراتنا ، فتوطد دعائم السلام والأمن للرعية جميعا ، ذلك لأنه على ثقل هذا القرار وبحسن نوايانا كانت العناية الربانية معنا دواما ، ونأمل فى أنها ستظل علينا كما كانت من قبل الى الأبد ، ولكى يصل هذا القرار الى آذان الكل فانه يحسن بفخامتكم نشر ما جاء فيه ايذاع على الرعية ويصل الى كل المواطنين » •

وبمقارنة نص جاليريوس الذى صدر فى سنة ٣١١ بهذا النص الذى أصدره قسطنطين من ميلان فى عام ٣١٣ يتضح لنا الفرق الكبير بين المرسومين • ولا يخفى أن قسطنطين يهاجم جاليريوس — فى مرسوم ميلان — هجوما عنيفا وينتقده فى مرارة بالغة بسبب الشروط القاسية التى وضعها جاليريوس عند سماحه للمسيحيين بممارسة شعائرهم ، ولهذا كان اصرار قسطنطين فى رسالته الى حاكم نيقوميديا على الغاء كل ما ورد فى مرسوم جاليريوس من شروط مجحفة •

ولقد تطور ايمان قسطنطين بالمسيحية الى درجة اعترافه بحق الكنيسة فى البقاء كشريك مسئول معه فى حكم الامبراطورية • وقام بمنح المسيحيين المزيد من الامتيازات والاعفاءات • وأقر تشريعات الكنيسة كقانون أجبارى — حيث أعترف عام ٣١٨ م بشرعية الاحكام

التى تصدرها محاكم الاساقفة فى وراثة ممتلكات الشـــهداء بشرط ألا يكونوا قد كتبوا وصاياهم لغير الكنيسة (٨٦) .

وأعلن أن يوم الأحد هو يوم الرب — حيث يرخص ليكـــون عطلة لكل أجهـــزة الدولة المختلفة من مصانع ومحاكم وادارات (٨٧) . كما اختار شعار دولته للصليب الجديد «Labarum» الذى يحمـــل حرفى كلمة المسيح « خريستوس — Christus » (٨٨) وكان لذلك كله أثره الايجابى لتوطيد اركان العقيدة المسيحية بين معتنقيها — وبـــدأت مراحل التعمق المذهبى بحيث بدأت الكنيسة تشهد صراعا عقائديا كاد أن يهدد كيانها — والذى انحصر بعد ذلك فى اقطاب هذا الصراع بين المذهب « الأريوس » (٨٩) — والمذهب « الاثناسى » (٩٠) — لتحديد العلاقة بين المسيح الابن والاله و لأب (٩١) .

---

(٨٦) سيد احمد الناصرى ، المرجع السابق) ، ص ٤٢٧ — كذلك راجع :

— Eadie (JW), op. cit., pp. 35 ff .

(87) cf., Jone s (A.H.M), Constantine and the Conversion of Europe, 1948, pp. 61 ff.

(٨٨) كان اختيار قسطنطين ليوم الاحد « dies Solis » الذى هو رب الشمس مرضيا لكل من المسيحيين وعباد رب الشمس — راجع :
— cf., Mestin (R), Le fête des Kalends de Janvier dans L'Empire Romain Etudes d'un rituel de nouvel an (Coll. Latomus Vol. 115). Bruxelles, 1970 .

(٨٩) عن المذهب الأريوس وانتشاره — راجع :
— cf., Meslin (M), Les Ariens, L'occident (335-430), Paris Ed. du Seuil 1967.

(90) cf., Cam. Med. Hist., 1, p. 10.

(٩١) راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور « تاريخ اوربا فى العصور الوسطى » — القاهرة ١٩٧٢ — ص ٣٩ — ٤ حيث قدم شرح واف لهذه المسألة .

ولما كانت فترة حكم قسطنطين تتطلب الاستقرار والأمن بعد تلك الفترة الشرسة من الصراع بين الأقطاب للفوز بالسلطة • فان قسطنطين وجد فى كسب المسيحية الركيزة القوية لتوطيد أركان حكمه باعتبارها حليف قوى أصبح مؤثرا فى كيان الامبراطورية • وأمام الصراعات بين المذاهب المسيحية وأثرها على كيان العقيدة نفسها فان قسطنطين وجدانه لزاما عليه التوفيق بين الأطراف حفاظا على وحدة الامبراطورية فارسل مبعوثة « هوسيوس — Hosius » الى الاسكندرية — بيد أن جهوده لم تكلل بالنجاح [٩٢] • مما دعا الامبراطور الى اتخاذ موقف أكثر ايجابية نحو هذا الصراع المذهبى فدعى الى عقد مجمع دينى فى نيقية عام ٣٢٥ م ، حضره نحو ثلاثمائة من رجال الدين فى الشرق والغرب ورأسه الامبراطور بنفسه [٩٣] ، واقروا فيه ادانة المذهب « الاريوسى » ونفى « اريوس » نفسه الى اليريا وحرق كل كتاباته وتحريم تداولها واضطهاد اتباعه من معتنقى المذهب — غير أن الاريوسية بقيت قوية فى الشرق وانتقلت الى باقى المناطق الأخرى عن طريق المبشرين [٩٤] • ولعل بقاء المذهب الأريوسى قويا فى الشرق كان أحد العوامل التى دفعت بقسطنطين الى اعادة حساباته طبقا لظروف ومصلحة الامبراطورية واستقرار حكمه • فاستدعى « أريوس » من منفاه عام ٣٢٧ م — لاسترضاء أهالى الشرق ، خاصة وان تلك الفترة تتطلب الاستقرار والترابط بعد عزمه نقل العاصمة الى القسطنطينية فى الشرق والذى تم عام ٣٣٠م [٩٥] • ويوضح موقف قسطنطين هذا مدى حرصه على مصالحة السياسة حتى لو أدى ذلك الى تغيير ميوله المذهبية — فقد ظل يؤيد المذهب « الاثناسى » طالما كانت عاصمته فى الغرب مركز لثقل الامبراطورية

---

(92) cf., Vasiliev, op. cit., Tome 1, p. 63 .
(93) cf., Baynes, op. cit., pp. 19 - 22 .
(94) Cam. Med. Hist., Vol I, pp. 122 - 123 .
(95) Bayens, op. cit., pp. 23 - 30 .

وأمنها ، ولكنه عندما شرع فى نقل عاصمته الى الشرق فكان لزاما عليه استرضاء سكان الشرق عن طريق تغيير عقيدته الى المذهب الأريوسى — فعقـد مجمع دينى جديد فى « صور » عام ٣٣٤ م الغى فيه قرارات مجمع نيقية السابق ، وقرر العفو عن أريوس » واتباعه (٩٦) . أمـا « اثناسيوس » فقد عزل ونفى فى غاليا وبقى بها حتى اطلق سراحه الامبراطور جوليان « ٣٦١ — ٣٦٢ » الذى عرف بجوليان المرتد ، وكان لا يهتم بأمر الاريوسيين أو الاثناسيين (٩٧) . أما « أريوس » فقد توفى بعد ذلك فجأة فى القسطنطينية عام ٣٣٦ م ومن بعده الامبراطور قسطنطين لينهى فترة من الصراع الدامى بين المسيحية والامبراطورية بوضعه ركيزة الاستقرار (مرسوم ميلان) للامبراطورية ، معلنـا بداية مرحلة جديدة من العلاقات المسـيحية الـرومانية فى اطـار شرعى جديد .

(96) Vasiliev, op. cit., Tome pp. 70 ff.

(٩٧) لسنا هنا بصدد عرض للصراعات المذهبية المسيحية وآثارها وذلك حفاظا على موضوعية البحث .

روما تحت حكم الفلافيين
٧٠ – ٩٦ ميلاديه
****

تعتبر اسرة الفلافيين من الأسر التى حكمت روما تحت ظروف خاصة وكان لها دور هام ومؤثر فى جسم الإمبراطوريه خلال النصف الثانى من القرن الأول الميلادى والتى بدأت بحكم الامبراطور فسباسيانوس : –

١ – الامبراطور فسباسيانوس : –

فمن خلال أحداث الصراعات الدامية لتاريخ روما فى القرن الأول فقد دخل تيتوس فلافيوس فسبانوس Titus Fiavius Vespasianus روما منتصرا عام ٧٠ ميلادية فى نفس الظروف التى دخل بها اكتافيانوس بعد معركة اكتيوم (١) وأسس الامبراطور الجديد حكم الأسرة الفلافية ، ولذا لقبه بعض المؤرخين بمؤسس الإمبراطورية الثانية على حد التعبير التاريخى ، وما أن تسلم فسباسيانوس العرش فى الستين من عمره حتى وجد العديد من المشاكل فى إنتظار حل لها ، بعضها كان لا يقل صعوبة عن المشاكل التى واجهها اغسطس نفسه ، مثلا وجد فسباسيانوس – كما وجد اغسطس من قبل – أن البلاد يديرها " جنرالات " حولوا الجيوش إلى الإقتتال والتنافس فيما بينها ، ووجهوا حرابهم الى صدور بعضهم البعض وليس الى صدور العدو ، كما وجد الخزانة العامه مفلسة وخاوية على عروشها ، ووجد الروح المعنوية العامه لدى الرومان منهارة ، إذ لم يعد هناك الكبرياء الوطنى والإيمان المطلق بعظمة الوطن والإمبراطوريه بعد أن هزتهم الأحداث الدامية وزعزعت ثقتهم بأنفسهم . والحق يقال لم يكن فسباسيانوس يتمتع بما تمتع به أغسطس

١– عن موقعة اكتيوم راجع عاصم احمد حسين (دراسات فى تاريخ وحضارة البطالمة – الطبعة الثالثة) – القاهرة – ١٩٩٧ – ص ٩٦ وما بعدها .

- C f. Bevan (E) , The ptolemaic Dynasty , London 1964 , p . 16 .

عندما واجه مشاكل مماثلة ، فلم تكن لديه الهالة المقدسة التى أحاطت بأغسطس وسهلت له مهمته ، ولم يكن مثلا ينتهى الى أب مثل يوليوس قيصر ينتسب اليه ، ولم يكن لديه الشباب والحيوية ، ولا الغرور الذى يجعله يتحدى القدر . ولكنه يشبه أغسطس فى جوانب أخرى فهو مثله ينتمى الى الريف حيث التقاليد والرجولة الصارمة اذ انحدرت أسرته من سلالة اتروسكية وكانت تعيش فى قرية رياتى Reate إحدى قرى السابينيين Sabenean وكان أبوه يعمل ضمن موظفى جامعا للضرائب وتسليف الفلاحين القروض وله ضيعة قرب رياتى ومن الواضح أن فسباسيانوس اكتسب خبرة فى إدارة الأموال والأعمال منذ نشأته ولهذا إحترم الممتلكات الخاصة واداربحكمة وكفاءة شئون لدولة العامة . كما إكتسب من نشأته وتربيته طاقة ورغبة شديدة للعمل مع حب الفكاهة والمداعبة والتعليق اللاذع فضلا عن التبسط والحرص الشديد (١) ، بل والخبث التى يتميز به أهل الريف ، وقبل كل شئ كان متزنا عاقلا ، وبذلك تحول البلاط من البوهيمية والبذخ التى تميز بها عهد نيرون إلى الهدوء والوقار الذى يعكس الأصل البرجوازى المكافح . ولقد حرصت اسرته البرجوازية على تربيته واخيه خير تربية حتى شب وكبر ، وتمكن واخيه من الحصول على مقعد فى السناتو الرومانى . وبالرغم من ذلك لم ينسى العسكرية ، فتدرب فى سلك الجيش الرومانى حتى أصبح جنرالا محبوبا من جنوده ، مما لفت نظر الإمبراطوركلاوديوس وكلفه بمهام عسكرية فى المانيا وبريطانيا . وعندما تولى نيرون عينه حاكما على ولاية أفريقيا البروقنصلية ، ثم كلفه بقيادة الحملة لقمع ثورة اليهود فى فلسطين بل أن أخبار إنتصاراه فى فلسطين سبقته الى الوطن فنال إعجاب الناس ورضاء الجيش وإحترامه وتقدير العامه ، ويلاحظ أنه بمجرد تولية العرش حتى حذى حذو جالبا واوتو وفتلليوس ، بل واباطرة الأسرة اليوليوكلاودية فلقب نفسه بإسم قيصر ، حيث أصبح هذا الإسم لقبا ورمزاً للسلطة أكثر منه نسبا ، وأصبح كل من يتولى عرش الإمبراطورية يتلقب به تلقائياً . كما جعل لفظ امبراطور لقبا ثابتاً يبدأ بالإسم الخاص للإمبراطورية

---

1 - Cf. Natolath, (M) The Roman Empire, London, PP. 311 FF.

، وهذا فى الحقيقة إحياء لما فعله أغسطس وأن كان نيرون قد سبقه فـى هـذا . ولـقـد حرص فسباسيانوس على أن يرى السناتو يصدر قرارا بإختياره وأن تصدق الجمعية العامة على هذا القرار ، ولكنه حرص على أن يكون تاريخ تعيينه منذ أن نادته قواته فـى فلسطين بلقب القائد المظفر Imperator .

إصلاحاته :

======

ولقد قام الإمبراطور فسباسيانوس بعدة إصلاحات ظهرت فى مجملها قريبة الشبه بإصلاحات الإمبراطور اغسطس – حيث تناول إصلاحاته من خلال : –

١ – الاصلاح العسكرى :

عمل فسباسيانوس على اعادة مجد الامبراطورية العسكرى – بيد ان فكرة السلام كانت اساس اقناع شعوب المنطقة وخاصة المواطنين – بما كان ستدعى وضع سياسته خاصة بالفرقة العسكرية حيث أمر بتسريح فرق جيش الراين الجرمانية التى انضمت الى ثورة الزعيم الجرمانى يوليوس كيفيليس بحكم مشاعرها القومية التى تغلبت على واجباتها العسكرية كجنود لحماية الامبراطورية ، ,وأحل محلها فرقا جديدة جندت من قبائل وقوميات متباينة منها الجرمان والغال والبلقانيين وقبائل شمال أفريقيا ، كما حرص على عدم بقاء القوات المجندة من الولايات لحراسة المناطق التى جندت منها منعا للثورة الوطنية والرغبة فى الإنفصال ، كما حرص على جعل قيادة هذه القوات فى ايدى قيادة ايطالية مخلصة وتنويع القوميات داخل هذه الفرق بما يتفق وروح القوات (١) .

وأمام ما تقدم فقد الغى فسباسيانوس القاعدة القديمة التى لستنها ماريوس وهى تفضل تجنيد العناصر الساخطة والرعاع المستهترة الميالة للعنف والقسوة والسريعة الغضب والإنفعال لأن القدرة القتالية تكون أشد فتكا عندها ، لكن فسباسيانوس وضع قاعدة جديدة وهى تفادى تجنيد البروليتاريا الرومانية والرعاع الإيطالية لأنها مصدر لفوضى ومحبة للشغب وذلك خطر على سلام الامبراطورية ، وفضل عند تجنيد القوات الاعتماد على الطبقة الوسطى المثقفة والمهذبة خاصة من ولايات الامبراطورية الحديثة الاندماج

---

1 - Cf., Roberth (W), The Roman Empire, London 1993, P. 33 FF.

حضارياً وسياسياً ، سواء من بلاد الغال أو أسبانيا ، كما أنشأ الأكاديميات العسكرية Collegia inventum لتخريج كوادر الضباط المدركين لرسالة الجيش فى حماية الإمبراطورية . كذلك تناولت اصلاحات الإمبراطور الحرس البرايتورى - مصدر التمرد وقاتل الأباطرة فطهرها وحدد عدد فرقها وأعطى لواء قيادتها لإبنه تيتوس بعد عودته من الشرق وذلك تحسباً لمستقبل افضل .

٣ - الإصلاح المالى والاقتصادى : -

وأما مراحل صراع الأجيال فقد وجد الامبراطور الخزانة الأمبراطورية خاوية ، ومن ثم بدأ فى محاولة اصلاحها مستغلا خبرته الأسرية فى إدارة المال والأعمال وجمع الضرائب ، والمهارة فى تشغيل رأس المال . ولما تولى الامبراطور منصب الرقيب عامى ٧٣ ، ٧٤ ميلادية أعاد حصر الممتلكات الخاصة والعامه فى الامبراطورية ولما وجد أن الدخول قد زادت بكثير عما كانت عليه أيام الجمهورية زاد الضرائب العامه . كما اهتم الإمبراطور بإنشاء إدارة مركزية للممتلكات العامه وأراضى الدوله . كما استردت الدولة الكثير من أرضيها التى إستولى عليها بعض الأفراد مما زاد من الدخل العام بصورة ملموسه كانت لها ملامحها فى جسم الامبراطورية اقتصادياً (١) .

ومن الإجراءات المالية الهامة إلغاء الإعفاء الذى منحه نيرون لبلاد اليونان من دفع الضرائب ، كذلك ضم بعض المدن المتحالفة مع روما الى أقاليم قريبة منها ، ومن أهم هذه المدن المتحالفة جزيرة رودوس وبيزنطه وساموس ، وبالتالى فرضت عليها الضرائب ليسرى عليها ما سرى على الولايات التى ضمت الى الإمبراطورية . ولما منح الإمبراطور الجنسية الرومانية الكاملة لبعض المقاطعات ومنح الحقوق اللاتينيه " أى الجنسية الرومانية غير الكاملة " لجميع سكان اسبانيا كان قصده من ذلك الإعداد لإدماج هذه الشعوب فى الإمبراطورية الرومانية ، وبالتالى جعلها ملزمة بدفع ضريبة الأرث المفروضة على المواطن الرومانى مما كان عاملاً فى زيادة دخل الامبراطورية ،

---

1 - Botherm (S) , The Roman Rules London 1988 , PP . 61 ff .

وربما ذلك اعفى دليلاً على ان سلوك الامبراطور للشعب الرومانى أن أموالهم لن تنفق الا فيما هو يستحق وواجب ، وتوكيدا لذلك هجر فسباسيانوس القصور الفخمة التى بناها نيرون ولجأ الى بيت بسيط . فكسب بذلك تأييد كبيراً . وتدفقت أموال الولايات الغنية خاصة مصر وسوريا لتملأ خزانة الإمبراطورية .

٣ – التشييد والبناء :

ولا شك ان تلك المرحلة الحرجة من الصراعات والحروب الأهلية كانت لها آثارها على المنشآت والطرق العامة فى الدولة فبدأ فسباسيانوس على الفور فى إصلاحها وإعادة بنائها ، كما أعيد تعمير بعض المناطق التى تعرضت للدمار والتخريب ، وفى روما أعيد بناء الكابتول والعديد من المعابد وأماكن العبادة مثل معبد وساحة السلام ، كما طهر قاع نهر التيبر من الرواسب الطينيه حتى أصبح أكثر ملائمة للملاحة الداخلية ، ودعمت ضفافه . كما أصلحت العديد من جسور المياه مما كان عاملا مساعداً لمد طرق جريدة للملاحة الداخلية .

الكولوسيوم Coliseum :

ومن أشهر المنشآت التى خلدها فسباسيانوس للإنسانية ذلك الأثر الخالد المعروف بإسم الكولوسيوم Coliseum والذى ظل يعرف حتى العصور الوسطى بإسم مسرح آل فلافيوس Amphi - theatrum Flavium وقد أقام فسباسيانوس هذا الصرح فوق إحدى بحيرات قصر نيرون الذهبى ، وكان الغرض من هذا البناء هو إعداد مكان مناسب لعرض مباريات السيافين gladiatores ، تلك الرياضية الوطنية الدامية المحببة لقلوب الرومان ، ولكى يكون مكانا لاصطياد وقتل الحيونات المفترسة (venationes) التى انشأ لها جحورا صناعية . ويقال أنه فى يوم واحد أمكن اطلاق خمسة آلاف نوع من الحيوانات المفترسة لاصطيادها (١) . وقد كان الكولوسيوم يسع مكانا لخمسين الفا من النظارة ، ومزودا بمخازن ومطاعم لاطعام هذه الغوغاء النهمة التى كانت تلتهم الطعام التهاماوعقولها مركزة على القتال الدموى بين الجلادين ، وبين الضحايا والحيوانات

---

1 - Shadols (M) , The Roman Establishments , New - york 1991 , PP . 22 FF .

المفترسة ، لإشباع رغباتهم السادية ، كما كان هذا البناء مجهزا بوسائل خاصة للجلـــوس loci مرقمة وكذلك الصفوف (gradus) . وكان يوجد عند نهاية كل صف حوض للاستفراغ Vomitoria لان عادة الرومان كانت ادخال ريشة فى حلقهم عندما تمتلئ بطونهم لتخفيف الامتلاء عن المعدة . كل هذا يدل على روعة الهندسة والبناء .

ومن الطريف أن منازلات السيافين لم تتوقف فى الكولوسيوم الاقى عام ٤٠٤ ميلادية بعد اعلان المسيحية دينا رسميا للدولة عام ٣١٣ م (١) . بقليل ، حيث نددت بهذه الالعاب اللانسانية ، بينما استمرت لعبة قتل وصيد الحيوانات المفترسة حتى عام ٥٢٣ ميلادية .

كما عمل على تأمين لحدود حيث بنى فسباسيانوس ثكنات للإقامة الدائمة لجيوش الامبراطورية وأصلح ما كان قد تهدم منها . أما الطرق فقد لقيت عناية فائقة من الدولة بغرض تسهيل ونقل الجيوش والتجارة ، وقد استعان فسباسيانوس بالجنود فى بناء الطرق وإصلاح المنشئات العامة والتحصينات الدفاعية ، ولتشجيع الجنود على ذلك قام بنفسه بحمل التراب على كتفه أثناء تنظيف آثار الحريق والدمار الذى حاق بالعاصمة ، ومن الجدير بالذكر أن فسباسيانوس رسم برنامجه الاصلاحى للبناء والتعمير على أساس دراسة عملية دقيقة ، وكعلاج لموسم البطالة فى المجتمع الرومانى ، فضرب بذلك مثلا على ولاء خدمة المحتمع (٢) .

---

١ - اصدر الامبراطور قنسطنطين قرارا بجعل الديانة المسيحية ديانة رسمية للامبراطورية الرومانية بموجب مرسوم ميلان عام ٣١٣ م . راجع عاصم احمد حسين (العلاقات الرومانية المسيحية) - القاهرة - ١٩٩٤ - ص ١٩ وما بعدها .

2 - Cf., Portolam (J). Roman Estableshments , New york , 1997 , PP . 15 Ff .

٤ – سياسته الخارجية تجاه ولايات الإمبراطورية :

لقد انعكست شخصية فسباسيانوس على سياسته الخارجية بصورة واضحة ، كما فاق فسباسيانوس فى تنظيماته جميع من سبقوه من القادة العظام ابتداء من يوليوس قيصر حتى كلاوديوس ، فقد استهل عهدا جديدا يهدف الى ربط الولايات ربطا عاطفيا وسياسياً وإقتصادياً بالإمبراطورية استمر قويا حتى عام ٢٦٠ ميلادية . فقد جعل ولاية اسبانيا قطعة من ايطاليا عندما منح تلثمائة مدينة اسبانية حقوق المواطنة الرومانية الغير كاملة – أى الحقوق اللاتينية ، حتى اقليم المانيا الواقع على الساحل الشرقى لبحر الأدرياتيك بدات يد العمران والأنعام على مدنه بالحقوق اللاتينية تعمل بنشاط بعد أن كان نسيامنسيا ، كما بعث بالعديد من المستوطنات الرومانية الخالصة Coloniae deductae فى ولايات الدانوب فى حركة لم يعرفها الرومان من قبل ، بل أنه أقام معسكرين للجيش الرومانى فى شرق الدانوب أحدهما قرب مدينة فندوبونا (فيينا الحالية) . والثانى عند كانونتوم التى تقع بين فيينا وبودابست (١) .

ولذلك إهتم بتوسيع الحدود الشماليه وتأمينها بإقامة سلسلة من القلاع والحصون ولأول مرة مد حدود الإمبراطورية فى بريطانيا حتى شمال نهر الهمبر Humber وجنوب ويلز ، وأنشأ مدينة أبوراكوم Eboracum (مدينة يورك الحالية) وجعلها مقراً للقيادة العسكرية . ويرجع الفضل فى ذلك الفتح إلى القائد الرومانى الشهير يوليوس أجريكولا الذى إستمر فى توسعاته حتى وصلت فى عصر دوميتيانوس إلى سكوتلندا عام ٨٣ ، ولكنه استدعى على وجه السرعة بينما كان يستعد لفتح ايرلندا . ولقد إهتم فسباسيانوس بألمانيا خاصة شرق الراين ، حيث ضم الأراضى الواقعه بين الراين والدانوب فى شمال ألمانيا ضمن خطته فى الدفاع والتنسيق بين جيوش الإمبراطورية فى جبهة الراين والدانوب الاعلى .

1 - Cf. Satar (J), The " Coloniae - Deductae " New - york , 1996 , PP . 27 FF .

كذلك فقد أجرى بعض التعديلات فى وضع بعض الأقاليم والمدن المتحالفة من أجل زيادة دخل الإمبراطورية ، فمثلا اسقط الإمتياز الذى كان نيرون قد منحه لبلاد اليونان بإعفائها من الضرائب ، بل حولها إلى ولاية تابعة للسناتو ، كما قام بضم جزيرة سردينيا وكورسيكا للإدارة الرومانية المباشرة وفرض عليها الضرائب ، كذلك أسقط الإستقلال الذاتى عن بعض الجزر المتحالفة مع روما وضمها إلى الولايات القريبة منها أو التى تقع فى أقاليمها مثل جزيرة ساموس ورودس وميناء بيزنطه ، كما حول بامفوليا وليكيا فى آسيا الصغرى إلى ولايات رومانيه حيث كان هدفه الأساسى من هذه التعديلات هو زيادة الدخل العام للإمبراطورية من ولاياتها بصورة شبه منتظمه بقدر الإمكان (١) .

وإستناداً الى ما تقدم فقد حرص فسباسيانوس على تركيزجهده لجعل الولايات الغربية جزء لا يتجزأ عن إيطاليا فى المسؤلية وفى الإدارة وليس رعايا تستغل لخير الشعب الرومانى أو كمواطن لتجنيد الجيوش الامبراطورية ، ولهذا حرص على تكوين طبقة برجوازيه مثقفة فى هذه الولايات ومنحها حقوق المواطنه الرومانية الكاملة ، كما أنعم على شعوبها بالحقوق اللاتينيه وألقى عليها مسئولية الإدارة وحفظ النظام فى هذه الولايات ، بل أنه إستخدم سلطته كرقيب على السناتو وضم بعض أعيان هذه الولايات من الغاليين والأسبان إلى السناتو الرومانى وعين غيرهم فى الوظائف الإدارية المسؤلة ، وبذلك أفاد فسباسيانوس الإمبراطورية بهذه الطاقات الجديدة والخلاقة وسخرها لخدمتها ، ولهذا إعتنى بشدة فى إختيار العناصر الخلاقة والأمينة والقادرة على خدمة الامبراطورية داخلياً وخارجياً .

سياسة فسباسيانوس فى الشرق الأوسط :

لقد كان فسباسيانوس على دراية تامه بالشرق الأوسط جيداً ، كما كان مدركاً لمشاكله ومشاكل الإمبراطورية فيه . فقد كان القائد الأعلى للقوات الرومانيه التى سحقت ثورة اليهود كما كان من قبل حاكما لولاية شمال افريقيا ، ولهذا حاول بقدر الإمكانيات المتاحة له وضع حلول لهذه المشاكل فقد كانت مشكلة الشرق الأوسط دائما هى الحدود ، فقد كانت

---

1 - Cf., Cheiftell (L) , The Empire's Revenue , London , 1991 , PP . 122 - 127 .

جبهة متسعه لمسافة ثلاثمائه ميل من الساحل السورى حتى ساحل البحر الأسود ولا يوجد فواصل طبيعية يمكن أن تكون حدوداً سياسية ، فضلا على أن هذه المنطقة كانت المنطقة العازلة لمنع توسع البارثيين وتعديهم على ولاية سوريا الرومانية منذ عهد الامبراطور اوغسطس – حيث حاول الإمبراطور اغسطس وحلفاؤه أبطال خطر البارثيين وحماية الجبهة الشرقية للامبراالطورية عن طريق وضع ملوك عملاء للرومان على عروش الممالك الشرقية خاصة مملكة ارمينيا الكبرى وحلق الممالك العميلة التى كانت بمثابة كلاب الحراسة للإمبراطورية ، لكن بقيت بعض نقاط الضعف فى السياسة الرومانية ، إذ لم يكن هناك فرق أو قلاع عسكرية لمنع أى غ زو معاد قادم من الشرق عبر نهر الفرات خاصة المنطقة العليا أو الوسطى ، كما أن الفرق الرومانية المعسكرة فى سوريا كانت أقل كفاءة من غيرها من قوات الإمبراطورية ، فضلا عن بطئ تحركها وبعدها عن العمق الخطر فى هذه المنطقة الغربية المليئة بالقوميات والثقافات والأجناس المتباينة والفخورة بنفسها وبماضيها مما يجعلها أقرب الى الثورة وقلب الاوضاع (١) .

وأما ذلك فقد بدا فسباسيانوس فى اصلاح هذا الخطأ حيث عمل على إصلاح العلاقات السياسية بين روما ودولة البارثيين ، إذ أرضى هذا الشعب المقاتل بتنازله عن فرض السيطرة المباشرة أو غير المباشرة على العرش فى مملكة ارمينيا الكبرى ، بيد أنه رفض الإشتراك مع البارثيين للقيام بحملة مشتركة ضد قبيلة الآلانيين Alani ، إحدى القبائل الصرماتية (السيبيرية) التى كانت تقطن المنطقة الواقعة ما بعد القوقاز ، وكانت تشكل تهديداً مستمراً على البارثيين ، وكان هدفه من ذلك الرفض ترك البارثيين منشغلين لدفع الخطر وإبعادهم عن التوسع غرباً عبر الفرات شرقاً .

---

1 - Cf., Catorat (Th), Roman and Political, New york, 1994, P. 33.

اضف الى ذلك أن فسباسيانوس قد قام فى عام ٧٥ ميلاديـة بـإحتلال ممـر دارا وبنـى قلعة محصنة فى منطقة القوقاز وبذلك قطع خط الرجعة على البـارثيين فـى العـودة لتهديـد الشرق الأوسط ولقد كان الخط الثانى للنفوذ البارثى فى الشرق الأوسط هو تشديد سـيطرة الامبراطورية على مدينة بالميرا Palmyra (تدمر) لأهميتهـا كمركـز تجـارى هـام علـى طريق القوافل ، كما جعل يهودية ولاية رومانية يحكمها بروكوراتور رومانى وجعل تحت امرته فرقة رومانية عسكرية فى اورشليم ، ثم وسع حدود سوريا لتشـمل المنطقـة الممتـدة من جبال لبنان غربا حتى حدود الحوض الأعلـى والأوسـط لنهـر الفـرات ، كمـا أنـه ضـم مملكة كوماجينى الواقعة شمال غرب الفرات وشمال سوريا الى ولاية سوريا الكبرى (١)

ونظـراً لذلـك فقـد ادرك فسباسـيانوس ان حمايـة الشـرق الأوسـط تتطلـب دعـم حـدود الامبراطورية شمالا فى شبه جزيرة الأناضول وخلق ولايات قويـة ومانعـه فيهـا ، اذ قـام بضم كابادوكيا وأرمينيا الصغرى إلى ولاية جالاتيا Galatia خالقا مـا نسـميه الآن تركيـا ، ثم ترك فرقتين واحدة لحراسة ومنع أى عبور قادم من شرق الفرات ، والثانية ، لحراسـة طريق القوافل الذى يربط سوريا وموانئ البحر الأسود وعسكرت فـى لمنطقـة الواقعـة مـا بين شمال الفرات وجنوب البحر الأسـود عنـد سـاتالا Satala وبذلـك نقـل عبـئ لدفـاع عـن الشرق الأوسط من سوريا الى منطقة الفرات العليا وخلق موانع عسـكرية محصنـة وفـرق متأهبة لحماية الحدود ضد أى غزو خارجى مرتقب (٢) .

وامام تلـك الظـروف فقد أمـر القـوات الرومانيـة بالقيـام ببعـض العمليـات المحـدودة جنوب خليج سرت Syrtis لتأديب بعض القبائل الليبية التى تعودت على مهاجمة الحواضـر والمدن مما سبب ازعاجاً للإمبراطورية فى المناطق الجنوبية من حدودها .

---

1 - Catorat (Th) , op . cit ., P . 38 .

2 - Cf . O . C . D ., (Roma) , PP . 993 FF .

٤ – النظم الإدارية :–

وربما ظهرت شخصية فسباسيانوس بصورة كاملة من خلال تنظيمه للجهاز الإدارى وفى اختيار موظفيه . فكان يحرص على اختيار الاكفاء والأكثر امانة واستقامة ، ولهذا قام بتغير كبير فى طريقة اختيار موظفيه ، فمن المعروف أن الإمبراطوركلاوديوس اختار هذا الجهاز من عبيده المحررين أو العتقاء وكان معظمهم من أصول وضيعة ، فتحولوا الى موظفين بيروقراطيين جشعين استشرى فيهم الفساد والرشوة والمحسوبية ، كما أن هذا التصرف من جانب كلاوديوس جر عليه غضب السناتو وسخطه ن ولإرضاء السناتوالغى فسباسيانوس ذلك واستبدله بأختيار الفرسان والأعيان والايطاليين ، لأن الفرسان كانوا اكثر حركة ونشاطا وفهما فى التعامل مع الناس وقدرة فى فن الإدارة فضلا عن غناهم مما يجعلهم اقل ميلا للأرتزاق من الوظائف او سرقة المال العام ، أما أعيان الايطاليين فهم أحسن من يتفهم شئون الاقاليم الايطاليه ويحسن ادارتها (١) .

٥ – العناية بالثقافة والعلوم :–

كان فسباسيانوس أول امبراطور يحرص على جعل التعليم خدمة من الخدمات التى يجب أن تقدمها الدولة للمواطنين لأنه أدرك مدى أهمية التعليم فى نشر الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية فى كافة ولايات الامبراطورية ، خاصة فى حوض البحر المتوسط ، وأن الثقافة الواحدة هى خير رابط يربط شعوب الإمبراطورية برباط عاطفى وفكرى ، وهى فكرة قديمة بدأها يوليوس قيصر ولهذا صدر قرار بأن يكون التعليم فى كافة انحاء الإمبراطورية بالمجان مقابل أن تدفع الدولة رواتب عالية للشعراء واساتذة البلاغة والخطابة الإغريقية والرومانية ، بل تكريما لهؤلاء الأساتذة أصدر قرار بإعفاء المدرسين من دفع أى ضرائب تقديرا لدورهم فى خلق الامبراطورية ذات الفكر المتحد ، كما أنه وضع نواة التعليم العالى بتأسيس وظيفة استاذ البلاغة والخطابة

---

1 - Sheftram (L) , Roman Litrature , London 1996 . PP . 35 FF .

والتى كان أول من شغلها الخطيب الأسبانى الاصل فابيوس كونتليانوس (٣٥ - ٩٥ ميلادية) مؤلف الكتاب الخالد معاهد الخطابة Institutio Oratoria - الذى وضع به اصول علم التربية .

كما إتفق فسباسيانوس ببذخ على الخدمات العامه للمواطنين مثل بناء الجسور والكبارى والمرافق والطرق والمعابد والقلاع والحصون . وأن الزائر لقرية كرانيس بالفيوم ليدرك ذلك عندما يقرأ النقش المقام على واجهة المعبد الجديد الذى أقامه الإمبراطور من أجل رب القرية الذى كان يعبد فى شكل التمساح بتركا وفقا للمعتقدات القديمة (١) .

٦ - صراعات السلطة :

أدرك فسباسيانوس - كما أدرك أغسطس من قبله - خطورة الصراع على تولى منصب الامبراطور بعد وفاته ، ومن ثم اختار ابنه الأكبر وساعده الأيمن الجنرال اللامع تيتوس قاهر اليهود ومدمر اورشليم ليكون امبراطوراً من بعده ، وكان تيتوس يشغل قائد قوات الحرس البرايتورى ، وربما فعل فسباسيانوس ذلك رغبة فى تأسيس حكم اسرته وبقاء الخلافة فى بيته ، أو ربما تفاديا لأى صراع دموى قد ينشب حول السلطة خاصة فى وجود عناصر سيناتورية طموحة وجنرالات على الحدود يروادهم حلم الجلوس على عرش الإمبراطورية وفى الحقيقة كان الإختيار موفقا ، فقد كان تيتوس محبوباً من الجيش والجمهور وله شعبية فى الولايات ، فضلا عن كفاءته ووجوده بجوار أبيه جعله ملماً بشئون الحكم ومستعداً له رفقاً لمتطلبات الامبراطورية (٢) .

---

1 - Cf. Albert (R). Vesbassianus ' s ***life***, New york , 1993 , P . 112 .

2 - Cf. Catorat (Th) , op . cit ., P . 66 .

بيد أن فكرة توريث العرش لأكبر الأبناء . وكما كان سائداً فى العالم القديم قد القت نفوراً لدى العامه ، وخاصة ما كان منافياً لكره الرومان للنظام الملكى . حيث قاد المعارضة فريقان الفريق الأول أنصار المذهب الكلبى ، وكانوا فئة فوضوية رافضة لكل شئ يرجع اصولها الى انتستينيس Antisthenes الفيلسوف الاثينى الذى اسس مدرسة فى احد ملاعب الكلاب ولهذا عرف تلاميذه باسم الكلبيين Cynici (١) ، وكان يدعو الى الفضيلة والمعرفة ، وقد قاد المدرسة من بعد انتستينيس تلميذه ديوجينيس السينوبى Diogenes of Sinope الذى طور المذهب الكلبى الى درجة احتقار العلم والمعرفة واخلاقيات العصر ورفض كل شئ ويلاحظ انه بعد موت ديوجينيس ازدادت اعداد تلاميذه ومريديه واتباعه فى العصر الهللينستى نتيجة للقلق والفوضى والحروب والمجاعات التى ارهقت الناس ، ومن الشرق الهللينستى دخلت هذه المدرسة الى روما وإيطاليا كرد فعل للحروب الكثيرة التى خاضتها الجمهورية الرومانية ، ثم بدأ عددهم يتزايد منذ عصر الأسرة اليوليو كلاودية كرد فعل للتسلط وجبروت اباطرتها ، وزاد عدد انصار هذه المدرسة بين الرومان وراحوا يسخطون على كل شئ ، يتجولون فى ثياب رثة ، يطلقون لحاهم وشعورهم ، ويسيرون حفاة يحملون متاعهم خلف ظهورهم لا يعملون بل يتسولون ويتجولون ولا يخفون عداءهم للنظام والقانون ويبشرون بمبادئهم الفوضوية ، وقد وجدوا لهم انصاراً من رعاع العامه والساخطين واليائسين مما أدى الى الاضطرابات وإثارة أعمال الشغب (٢) .

---

2 - Cf., Mglathianaky (T), the " Cynicians " Athens, 1981, PP 36 - 38.

1 - Cf., woolman (T), the Roman Empire, Dxford, PP. 122 FF.

ولقد هاجم الكلبيون نظرية توريث الحكم كمبدأ لأنهم يعتبرون السلطة شرا واثما واذا كان الاب اثما فليس من حقه أن يورث الاثم لابنه ، لأن الأبناء يجب الا يؤاخذوا بجزاءات الآباء ، كما أنهم كانوا يدعون الأبناء للتمرد على الأباء وعدم الطاعه والخنوع لرغباتهم لأن امهاتهم ولدتهن احراراً ، كما إنضم اليهم المنجمون والمشعوذون والسحرة فى بث البلبلة ضد النظام مما دفع الامبراطور فسباسيانوس لانتهاز الفرصة للقضاء على هذه العناصر واستئصالها تماما كجزء من عملية اصلاح الامبراطورية واصدر قراراً عام ٧١ بطردهم من البلاد وحرم على بعضهم دخول العاصمة نهائيا ومطاردتكم فى سائر أنحاء الولايات (١) .

وعلى عكس ما تقدم فقد كان انصار الرواقية الجديدة معظمهم من المثقفين ومن الطبقة الراقية فى المجتمع ، طبقة اصحاب الصالونات الأدبية والمآدب والحديث من الروح ومشاكلها بعكس الكلبية التى كانت فلسفة الفقراء والمعوزين والتعساء الذين يجتمعون فى السوق العامة ليستمعوا الى كلام سوقى بسيط . ولقد كانت الرواقية فلسفة إغريقية ظهرت كرد فعل للتحول الاجتماعى والسياسى والفكرى الذى حدث فى العالم الهللينستى ، ووضع زينون السورى القبرص أساسها فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث ق . م ، ويعكس الكلبية التلقائية كان للرواقية تعاليم ومنهج وخطة عمل ، ومعلمون بدرجات مختلفة ، ولهذا بقيت فلسفة قوية حتى بعد انتشار المسيحية والى ان أغلق الامبراطور جستنيانوس مدارسها عام ٥٢٩ ميلادية (٢) ، وتقوم الرواقية على فكرة تمجيد الحكمة والحكماء من أصحاب المعرفة لأنهم هم وحدهم الذين يعرفون الحقيقة المطلقة والفضيلة ، ولما كان غالبية المثقفين من الارستقراطيين الذين هم شيوخ مجلس السناتوفقد تكونت جبهة معارضة داخل السناتو ضد انفراد الامبراطور بالسلطة دون الرجوع الى السناتو الذى هو عقل الدولة ومنجم خبرتها ، وقد كان موقف هذا الحزب

1 - Macmullen (E) the History of Roman Empire , PP . 66 . FF .

2 - Cf . Alter (J) Justenianus Empire , London 1996 . P . 188 .

من الامبراطور واضحاً منذ عصر الامبراطور نيرون ، وعندما قاد زعيمهم بايتوس ثراسيا Paetus Thrasea حملة من المعارضة فى وجه نيرون قام دون تردد بإصدار قرار إعدامه تخلصا منه نهائياً هو وأتباعه .

بيد أن معارضة الرواقيين عادت من جديد عندما تولى الامبراطورفسباسيانوس الحكم وأعلن توريث العرش لإبنه ، حيث الحملة الجديدة فيلسوف وعضو بارز فى السناتو هو هلفيديوس بريسكوس Helvidius priscus زوج ابنة الراحل بايتيوس ثراسيا والذى نادى بعودة المبادئ الجمهورية القديمة ، بل ودعى الى عبادة زعمائها الراحلين من الرواقيين من امثال بروتوس وكانو الأصغر كأنبياء لهذه الفلسفة ، وقد وصلت الجراة والتهور بالفيلسوف هلفيديوس بريسكوس الى لوم الامبراطور فسباسيانوس علنا وتوجيه الشتائم ضده مما اضطر الامبراطور الى الانتقام منه بنفيه من روما الى اقاليم ايطاليا ، ثم فقد فسباسيانوس اتزانه وأمر بإعدامه بعد ان علم بتآمره على قلب نظام الحكم وذلك فى عام ٧٥ ميلادية ، ولكن فسباسيانوس حزن اشد الحزن على هذا التصرف فهو لم يكن دمويا ، بل عرف عنه الرحمة والعفو وفعل الخير ، بل أنه خشى من عواقب هذا التصرف مستقبلا على اسرته (١) .

لكن الرواقيين من اعضاء السناتو كانوا قد نجحوا فى احياء العاطفة القديمة فى وجوب أن يكون هذا المجلس هو قلعة الحكم لأنه يمثل المشورة والرأى السديد ، فهو مجلس من الحكماء ، والحكماء هو الذين يجب أن يحكموا ، وبالتالى يجب أن يكون الامبراطور من رجال المجلس وباختيار المجلس وليس مفروضا بقوة السلاح وارادة الجنود ، أو عن طريق التوريث لأنه ليس من حق أحد أن يورث العرش لأبنه كالعقار ، وجاء رد فسباسيانوس القاطع والمتحدى كما جاء على لسان المؤرخ كاسيوس ديون " أما

---

1 - Macmullen (E) , op . cit , p . 55 .

أن يتولى ابنى العرش من بعدى او لا أحد " (١) . ولم يعبأ فسباسيانوس بعد ذلك برأى الرواقيين واستمر فى اعداد تيتوس اولا ثم دوميتيانوس ثانيا ، فأشرك تيتوس معه فى القنصلية سبع مرات ، كما شاركه فى وظيفة الرقيب ومنحه السلطة التربيونية والامبريوم البروقنصلى عام ٧١ م . كما عينه قائدا للحرس الامبراطورى اما دوميتيانوس فقد اشركه فى القنصليه لحين اعداد السياسة المستقبلية .

٦ – فسباسيانوس ومجلس الشيوخ (السناتو):

وقد كان واضحا انه بمجرد حصول فسباسيانوس على منصب الرقيب العام عام ٧٣ ميلادية أن يملأ المقاعد الخالية بأعضاء جدد من الشيوخ ، وذلك لأن السناتو فقد العديد من شيوخه أثناء الحروب الأهلية ، ونتيجة للمؤامرات وغدر الأباطرة ولقد اتى فسباسيانوس بالشيوخ الجدد من الاقاليم المختلفة للامبراطورية حتى يكون السناتو ممثلا للامبراطورية كلها وليس حكرا على روما ، كما حرص على اختيار العناصر الجديدة من رجال الفرسان لخبرتهم الطويلة ، وبالرغم من هذا فقد حرص فسباسيانوس على أن تكون أغلبية المجلس من الولايات الغربية ، لأن آل فلافيوس كانوا يحسون فى اعماقهم بأنهم من الايطاليين وليسوا من روما ومن ثم تعاطفوا مع الولايات اللاتينية الناطقة بهذه اللغة وفضلوها على الولايات الشرقية بصفة عامه .

وقد كان من الملاحظ أن نظرة فسباسيانوس الى السناتوكان يسودها الاحترام والتقدير كما كان ينوط بها شئ من الرفص أو الرضوخ لرغباته ، ومن أقواله المأثورة " أنه ليس من اللائق استخدام الفاظ غير مهذبة عند مخاطبة رجال السناتو " (٢) . ولهذا وقف فى وجه بريسكوس والمتعاطفين معه من الرواقيين والذين طالبوه بالإذعان للسناتو

---

1 - Dio Cassius , 65 . 12 . 1 .

2 - Suetonius . Vespasjanus , I , 5 .

لانه بيت الخبرة والمعرفة . وكانت وجهة نظر فسباسيانوس صريحة وهى انه يعتبر السناتو مستودعا للخبرة والقدرات وليس شريكا فى حكم البلاد ، ولكى يوضح ذلك حرص على اعتبار حكمه يبدا منذ اليوم الذى نادت به قواته امبراطورا وليس من تاريخ موافقة السناتو على هذا الاختيار القائم .

٧ – وفاة الامبراطور :

لقد لفظ فسباسيانوس انفاسه الآخيره عام ٧٩ ميلادية . وهو فى التاسعة والستين من عمره . حيث أعدت له جنازة كبيرة ، وطبقا للعادات والتقاليد الرومانية سار وراء نعشه أحد كبار الممثلين فى ثياب الامبراطور ونياشينه ، ووضع على وجهه قناعا يمثل الامبراطور ، وسار خلف الجثمان وهو يقوم بين اللحظة والأخرى بالقاء حوار مختصر متقمصا شخص الامبراطور الراحل (١) .

ولقد الهه الرومان تكريما كبيرا – حيث كان جديرا بذلك لأنه لم يكن أقل شأنا من غيره من الأباطرة بل اكفأهم منذ اغسطس ، فقد أعاد النظام الى الامبراطورية وانقذ اقتصادها المنهار من الافلاس ، واعاد تنظيم الجهاز الإدارى والمالى على اسس واضحة وثابتة ، ووضح مستقبل العرش بتوريث ابنائه ، ومن ثم كان جدير أن يسميه الناس بمؤسس الامبراطورية الثانية (٢) .

---

1 - Cf., Roltman (F) The life of Vissbasianus, London 1994, P. 129.

2 - Cf., Loc. Cit.,

٣ - الامبراطور تيتوس (٧٩ -٨١ ميلادية) :

كان لوصول تيتوس الى الحكم مرحلة واضحة لدارس تلك الفترة من الصراعات على السلطة ، فقد كان تيتوس شخصية مميزة وفريده لماحاً محبا للخير وكريماً ، كما كان ساعد ابيه الأيمن ، ومحل ثقته ، وشريكه فى السلطات والحكم . فضلا على أنه كان قائد الحرس البرايتورى الذى حمى اباه من مؤامرات الإغتيال بحماس شديد ، وسحق هذه المؤامرات بقسوة متناهية ، حتى شاع عنه حبه للقسوة والعنف . كما تناقلت الأخبار حبه الشهوانى العنيف لبرنيكى اليهودية شقيقة جوليوس اجريبا الثانى ملك مملكة يهوذا ، وربما ادى التشكك فى سلوكه الى معارضة الرواقيين لأبيه عندما عينه وريثا له فى الحكم رغم أنف الجميع وفقاً لما سبق عرضه .

بيد أنه بمجرد جلوسه على العرش حتى تغيرت شخصيته تماما ، اذا أصبح يقدر المسؤلية متفانيا فى أداء واجبه ، وهجر فراش برينكى وسار على منهاج ابيه ، وفتح صدره للناس ببشاشة ولطف ، وكرس حياته لرفاهية الشعب وتحسين أحواله . ولما كان وسيما بشوشا مثقفا وجنديا شجاعا واداريا حازما فقد إعتبره المؤرخون نموذجا لما يجب أن يكون عليه الحاكم (١) . وقد ضرب به المثل فى الكرم وسعة اليد .

والى جانب ذلك فقد اهتم بالمشروعات العمرانية والمرافق العامه ، فرمم العديد من الجسور المياه ، وإعتنى بشبكات الطرق عبر الأمبراطورية كلها . وفى روما اكمل بناء الكولوسيوم وافتتحه وافتتحه فى احتفال استمر مائة يوم ، كما أنشأ فيها حمامات شهيرة عرفت باسم " حمامات تيتوس " وفضلا عن ذلك قضى على نظام المرشدين والمخبرين السريين الذين تفشى خطرهم ، واستفحل ضد امن المواطنين ، ورفض حتى

---

1 - Suetonius , Divus Titus , I .

محاكمة المتآمرين ضده فى سماحة منقطعة النظير ، بل امتدت سماحته الى احترام الديانات المختلفة لشعوب الإمبراطورية ، ويذكر له أن حضر وهو لا يزال وليا للعهد حفل اختيار عجل أبيس فى منف بزيه الرسمى ، ولم يعبأ بالنقد الشديد الذى وجه اليه من جراء هذا التسامح مع رعايا الأمبراطورية من المواطنين فى جميع انحاء الولايات .

ولم يتعد حكمه سوى عامين وبضعة أشهر حيث كان اسعد أيام حكم هذه الأسرة ، بالرغم من أن الامبراطورية تعرضت لكارثتين عنيفتين الأولى فى شهر اغسطس عام ٧٩ ميلادية عندما ثار بركان فيزوف وألقى بحممه فدفن ثا ثة مدن تماما هى بومبى Pompeii وهر كولانيوم Herculaneum وستابيى Stabii ، (١) كلها بالقرب من خليج نابلس . ولم يدر احد أن هذه الكارثة القديمة قدر لها أن تكون ذات فائدة كبيرة لعالمنا المعاصر اذ حفظت لنا حمم البركان وترابه هذه المدن خاصة بومبى حيث كشفت الحفائر عن مدينة رومانية كاملة بمنازلها وشوارعها ومرافقها تكاد تنطق بالحياة . أما الكارثة الثانية فقد حدثت عام ٨٠ ميلاديه عندما اندلع حريق كبير فى روما راحت نيرانه تلتهم المبانى والمنازل ثلاثة أيام متواليه ، وقد أتت هذه النيران على معبد جوبتر الكابيتولى الذى بناه فسباسيانوس ، ولم يتوانى تيتوس فى تقديم العون ميلادية وهو فى الثانية والأربعين من عمروومواساة الضحايا وإصلاح ما دمر ، ولكن يد المنية امتدت اليه فى سبتمبر عام ٨١ م على أثر حمى إصابته وبكاه السناتو والشعب الرومانى وأعلنوا رفعه إلى مصاف الآلهه مثل باقى الأباطرة المؤلهين طبقا لنظرية التأليه الامبراطورية .

---

١ - راجع بلينى الأصغر فى وصفه لهذه الكارثة فى إحدى رسائله .
(Epistuale VI , 16)

٣ – الامبراطور دوميتيانوس Domitianus (٨١ – ٩٦ ميلادية):

وبمجرد وفاة شقيقه حتى اسرع دوميتيانوس الى ثكنات الحرس الإمبراطورى وحصل من الجنود على موافقتهم فى ترشيح نفسه إمبراطوراً حتى قبل أن يبدى السناتو رأيه فى ذلك . ويبدو أن هدفه فى ذلك كان وضع السناتو أمام الأمر الواقع ، وقطع خط الرجعة على المعترضين على فكرة الخلافة بالتوريث ،ربما أراد تقليد أبيه فسباسيانوس عندما اعتبر انتخاب قوات الشرق له هو التاريخ الرسمى لتوليه الامبراطورية . وبالفعل لم يجد السناتو بدا من الموافقة على هذا الترشيح والإنعام على دوميتيانوس بالسلطات اللازمة والألقاب التقليدية وذلك فى الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ٨١ ميلادية وبصفة رسميه (١) .، ولقد كان دوميتيانوس مولعاً بالسلطة والنفوذ ، متعطشاً للقوة والجبروت ، وكان أبوه وأخوه قد أدركا ذلك من قبل ، فحاول الحد من نهمة بتحديد سلطاته وإبعاده عن المناصب العسكرية بالذات . فقبل أن يصل أبوه من الشرق لتولى عرش الإمبراطورية رسميا كان دوميتيانوس يمثل الأسرة فى روما ، واساء إستخدام سلطته بإندفاع الشباب وطموحه المجنون ، ومنذ هذا الوقت حاول فسباسيانوس ومن بعده تيتوس كبح جماحه بقدر الإمكان . وبالرغم من أنه أعد للخلافة ألا أنه منح سلطات مدنية فقط لا تتعدى القنصلية . وخلال فترة العزل حـول دوميتيانوس طاقته العنيفة الى ميدان الدراسة فإنكب على دراسة أعمال وسيرة تيبريوس الذى كان يقارن حاله بحاله ، كما شغل نفسه بقرض الشعر والقراءة خاصة فى مجال الحضارة الإغريقية ، التى كانت لها مؤاثراتها الواضحة بصورة كاملة عن كثير من نواحى الحضارة الرومانية فى مجال الثقافة والأدب والمعمار واللغة والفنون (٢) .

1 - Cf. Oxford Classical Dictionary, Oxford 1996, P. 491.

2 - Cf., Dio. Cass., 67.

بيد أن طباع دوميتيانوس الشخصية والتى ظهرت ملامحها فور توليه الحكم ولم يخفى دوميتيانوس منذ الوهلة الأولى نواياه فى التحكم والتسلط الأوتوقراطى ، فحرص على أن يتولى منصب القنصل فى كل مرة ، بل غير لقب منصب الرقيب الأبدى Censor perpetuus منذ عام ٨٥ ميلادية ، كذلك حرص على أن ينادى عرفيا بلقب " المولى والرب " Dominus et deus خاصة من جانب موظفيه وكتاب عصره ، فكان رجاله يقولون " أن مولانا وربنا يأمر بأن ينفذ هذا الشئ ...) Dominus et deus noster hoc fieri iubet ، وجعل القسم بعبقرية الإمبراطور شرطا فى كل عقد أو وثيقة . كما أنه قلد خلفاء اغسطس فى تأسيس كهنة لعبادة أبيه وأخيه على غرار الهيئة الأوغسطية وأسس الأسرة الفلافية (١) .

وبالرغم من موقفه تجاه السناتو ونظرته له بالوقار والإحترام إلا أنه لم يترك له الفرصة فى التلاعب أو الخروج عن الحجم الذى أراده له مستغلا فى ذلك سلطته كرقيب أبدى عليه من سلطته أن يسقط العضوية ويمنحها لمن يريد خاصة لأتباعه من رجال الفرسان الذين عينهم فى المناصب العليا .وكقضاة فى محاكمات رجال السناتو ، مما أثار غضبهم عليه بصورة واضحة .

وتوكيدا لفكرته بأن السناتو يجب أن يكون سلطة تنفيذية تابعه للسلطة العليا (٢) حرص على أن يظهر فى إجتماعاته متوشحا بنياشين القائد المنتصر triumphator لكى يذكر الأعضاء بسلطاته العسكرية التى تسمو على حقوقهم المدنية المحدودة ، ولذا لم يكن

---

1 - Suetonius Domitianus , 13 . plin . pan ; Jones (W) , Domitian and the Empire , Oxford 1992 , P . 162 .

3 - Cf . Syme . op . cit ., P . 224 .

بغريب أن يصدر السناتو لعنته عليه بعد موته Damnatio memoriae ويأمر بمحو إسمه وتدمير تماثيله المقامه مما اثار حقد الاصدقاء .

إصلاحاته :

ويبدو أن نظرة دميتيانوس الى الحكم كانت اوتوقراطية بحته الا أنها كانت تتسم بالقدرة والكفاءة . ولقد شرع منذ أيامه الأولى فى تنفيذ برنامج عملاق للبناء والتعمير ، حتى أن معاصريه وصفوه بأنه كان مجنوناً بالتشييد والبناء والتعمير (١) ، فأكمل ما لم يكمله أبوه وأخوه ، وزاد على ذلك بإنشاء العديد من ملاعب الرياضة والحمامات داخل العاصمة ، كما أنشأ فيها المعابد الجميلة ، كما أكمل الكولوسيوم وحمامات أخيه تيتوس وكذلك قوس النصر الضخم الذى كان أخوه الراحل قد شرع فى بنائه ، ورمم البانثيوم وحمامات أجريبا، ومعبد إيزيس وسيرابيس الذى زينه بالمسلات المصرية ، الى جانب ذلك أعاد فتح المكتبات العامه ودعمها بالكتب والوثائق ، كما إهتم بإصلاح شئون الغلال ومخازن التموين . كما أحكم الرقابة على إدارة مرفق المياه ، وعين لذلك مشرفين Curatores يتولون الرقابة على جسور المياه لفترات طوينة ، ولم يكن إهتمامه ببناء شبكات الطرق وتحصينها أقل من إهتمامه بالبناء والتعمير خاصة طرق السفر الرئيسية فى ولايات الإمبراطورية الشرقية بصفة خاصة .

ولا شك أن هدف دوميتيانوس من وراء ذلك كان سياسياً أكثر منه اصلاحيا لأنه عشق الدعاية وحب الظهور ، وحسب ألف حساب للحفاظ على تأبيد الجماهير لحكمه .

---

1 - Suetonius . Ibid . 5 .

فمثلا كان يحرص على نقش اسمه فوق جدران المبانى والمنشآت التى رممها أو أقامها ، خاصة تلك التى أقيمت فوق الخرائب التى أحدثها حريق عام ٨٠ الشهير ، كما أقام المهرجانات الرياضية فوق الكابيتول تكريما لجوبتر وجعلها على غرار المهرجانات الإغريقية فى اولمبيا ودلفى وغيرها من المدن مما أثار إحتجاج المحافظين على بقاء الحضارة الرومانية من التلوث الإغريقى والشرقى . ولكى يكسب الجماهير أغدق عليها ثلاث مرات بالمنح والهبات Congiaria ، فضلا عن توفير الطعام ووسائل الترفيه .

ويبدو أن حرصه على تأييد الجماهير جعله يحرص على ارضاء الجيش وقادته ، فإهتم بتنظيم وسائل الإمداد العسكرى حيث أنشأ قيادة لشئون الجنود المغتربين Castra peregrinorum لتتولى الإشراف على تجهيز القوات المسافرة عن طريق موظفى الإمدادات حتى ولو كانت هذه القوات تنتقل داخل العاصمة ذاتها . وقد طور إهتمامه لوكلاء الإمبراطورية (Frumentarii) بالذات فحولهم الى عملاء سريين يكلفون بمهمات سرية لصالح الدولة ، ومن أجل إرضاء الجنود رفع راتب الجندى الى نسبة الربع تقريباً . وحرص على زيادة ثكنات الجيش بين الفينة والفينة ، بل وقاد الجيش بنفسه فى بعض عمليات الحدود ، ولهذا كسب شعبية كبيرة بين القوات الرومانية (١) ولفترة بعيدة .

كما ورث دوميتيانوس عن ابيه وأخيه المهارة الإدارية والماليه ، ولكنه كان اكثرتحررا فى سياسته ، فبسط يده قليلاً إذ أسقط المتأخرات من الضرائب على الناس ، والتى زاد استحقاقها عن خمس سنوات ، ولكنه أصر على جمع الضرائب اولا بأول ، وقد وجه إليه إتهامات فيما بعد بأنه الصق التهم ببعض الشيوخ ليقضى عليهم وليؤمم أموالهم . ولكن هذا افتراء بحت لأن دافع التخلص من هؤلاء الشيوخ كان سياسياً فى المقام

1 - Ef . R. Syme , op . cit ., P. 13 .

الأول (١) . خاصة إذا ما كانوا من أنصار الرواقيين الذين وقفوا من الامبراطور موقف العداء .

ولقد حاول جاهداً إصلاح الإقتصاد الرومانى بالعناية بالزراعة التى كان يهواها ، ولما لاحظ طغيان المساحة المزروعة بالكروم على تلك المزروعة بالقمح اصدر قرارات تحدد نسبة الأرض المزروعة بالمحصول الأول وتشجيع المحصول الثانى ، ولكن هدفه لم يتحقق بسبب شدة منافسة قمح الولايات خاصة مصر وسوريا للقمح الرومانى بشكل ملحوظ .

أما فيما يختص بتشريعاته وقوانينه فقد كانت فى مضمونها رومانية متزمته وصارمه ، إذ أقام نفسه حاميا للفضيلة ومكافحا ضد الرذيلة . فأوقف بعض العروض التهريجية والتمثيليات الصامته نظراً لهبوط مستواها الأخلاقى ، كما وضع القوانين التى حالت بين العبيد وبين العتق حتى لا يلوثوا المجتمع الحر بإنضمامهم اليه بعد الحصول على حقوق المواطنة وسلطة الامبريوم المطلقة .

---

١ – حدد تاكيتوس كتبه الثلاثة الاخيرة من مولفة التواريخ Hisoriae لاعطائنا صورة قاتمة عن حكم دوميتيانوس وهذا الاتجاه يتفق والصورة العامة التى عالج بها تاكيتوس عهد تيبريوس بل وعهد اغسطس نفسه ، ولهذا يشك بعض المورخين فى تحيز تاكيتوس فيما يختص بدوميتيانوس بالذات خاصة لانه إتهم الامبراطور بعزل ثم دس السم لصهره القائد – اجريكولا .

Cf . Syme , P . 244 .

ومن قوانينه الاخلاقية المتطرفـه احياؤه لقانون قديم ينص على دفن أى راهبة من راهبات الربة العذراء اذا ما فرطت فى عذريتها لأى شخص .

ويبدو أن هذه القسوة المتطرفة فى تطبيق المبادئ الاخلاقية قد افزعت الناس خاصة أنه لم يضرب لهم المثل الأعلى فى سلوكه الشخصى لأنه إتخذ من احدى بنات اخيه تيتوس وهى دوميتيا لونجينا Domitia longina عشيقة له بعد أن قتل زوجها .

وبالرغم من إعتماد الامبراطور على نظام المخبرين السريين إلا أنه انزل العقاب الصارم بالكثير منهم ممن الصقوا تهما بالأبرياء مز الناس ، وكان يقول دائما أن الامبراطور الذى لا يعاقب المخبرين هو الذى يثيرهم Prineeps qui dela ores non castigat , irritat (١) . وكذلك بالكتاب والشعراء ممن لجأوا الى الاسفاف فى القول وشهروا بالشرفاء من الناس ، وتحت رقابته الصارمه قضى على الرشوة وطهر القضاء من خطرها ومن التحيز والمحاباة .

أما فيما يختص بنظرته الاصلاحية فى الولايات فقد سار قدما الى الأمام بسياسة والده فى الإدماج الثقافى والحضارى الرومانى لهذه الولايات ، ومن أجل هذا اختار بحذر موظفى الولايات من العناصر النشطه والقادرة ، ونتيجة لذلك عم الرخاء والهدوء ورفرفت راية العدل والسلام .

سياسته العسكرية :

لم يحاول دوميتيانوس الخروج على التقليد الاوغسطى الذى يعارض التوسع ، ولكنه فى نفس الوقت أدرك أن الانتصارات العسكرية هى تدعيم لسلطته ولحكمه الاوتوقراطى ، فلجأ الى بعض العمليات العسكرة على حدود امبراطورية لهذا الغرض . وضد بعض القبائل والشعوب الثائرة على الحكم الرومانى . فمثلا عندما ثارت قبائل

---

1 - Suetonius , 9 .

الناسامونيين nassamnes الليبية والتى كانت تسكن شرق طرابلس بسبب اجحاف جباة الضرائب من الرومان ، سير جيشاً إليها وأبادها عن آخرها فى أواخر عام٨٥ وأوائل عام ٨٦ ميلادية . كما قام الجيش الرومانى بتأديب القبائل الموريتانية البدوية لمعارضتها سياسة التوسع الزراعى على حساب المراعى . وفى عهده أيضاً قام الوالى الرومانى لبريطانيا وهو يوليوس اجريكولا – Julius Agricola – صهر المؤرخ تاكيتوس – أثناء ولايته ما بين ٧٧ – ٨٤ م بسلسلة من الفتوحات لشمال الجزيرة وفى اسكتلندا (١) ودار بسفنه حول بريطانيا ليؤكد ما ادعاه بحار اغريقى منذ عدة قرون سابقة بأن بريطانيا ما هى الا جزيرة كبيرة . وحاول اجريكولا فتح جزيرة ايرلندا ولكنه استدعى قبل تنفيذه لمشروعه العسكرى – حيث عزل من منصبه .

---

١ – لا شك أن تاكيتوس قد حاول تشويه صورة دوميتيانوس بإظهار صهره اجريكولا فى صورة القائد العظيم الذى وقع ضحية وفريسة لطغيان الامبراطور . فألف مقالا عن اجريكولا أظهره فيه كقائد عظيم يعزل بعد تهديد سرى من الامبراطور ولا يمنح معاشا Salarium ويقضى وقته فى هدوء وإنعزال ، ثم يتهم تاكيتوس دوميتيانوس بأنه دبر وضع السم لاجريكولا ، وقد كان موضوع اجريكولا مثارا للجدل بين المؤرخين حول دقة وصدق تاكيتوس المطلقة فهو هنا يتحيز لصهره ، ولكى يحوله الى صورة بطل قومى لا يقل شجاعة فى معارضة الامبراطور عن زعماء الرواقيين لوى الحقائق واستغل الشائعات التى تتفق وهدفه . ولكن الحقيقة هو أن دوميتيانوس وأجريكولا ربطتها صداقة حميمة وقوية وأن اعتزال اجريكولا راجع الى ارهاقه من الحروب وبعد سنين طويلة من القتال . انظر :

- Dorey (T . A .) . " Agricola and Domitian " Creece and Rome , (Second) series 7 . 1960 . PP . 66 - 71 .

وعن الدفاع عن تاكيتوس فى هذه النقطة انظر :

Kurt von Fritz , "Tacitus Agricola , Domitian and the problem of the pricip - ate " , Classical phiology 52 (1957) , PP . 73 - 77 .

أما بخصوص حدود الراين والدانوب فقد اولاها عناية فائقة اذ سار دوميتيانوس بنفسه على رأس جيش كبير عام ٨٣ (١) ميلادية وعبر الراين حيث أدب قبائل الكاتيين الذين كانوا يثيرون الشغب فى المنطقة كلها ثم احتل الجيش المنطقة الواقعة بين نهرى اللاهن Lahn والماين Main ودعم احتلاله بالقلاع ونقط الدفاع والمراقبة . ولما عادت قبائل الكاتيين للتمرد وطرد الرومان من هذه المنطقة مستغلين حركة التمرد التى قادها أحد ضباط بعض الفرق عاد فطرد هذه القبائل عام ٨٩ ميلادية بعد القضاء على حركة التمرد . وقد علمت حركة التمرد العسكرى دوميتيانوس بالا يسمح لأكثر من فرقة عسكرية واحدة بالتواجد داخل ولاية واحدة كما أنه قام بفصل الادارة المالية لولايتى المانيا من تبعيتها لادارة ولاية بلاد الغال البلجيكية Gallia Belgica كما دعم الخط الدفاعى بين الراين والدانوب بمجموعة من القلاع والتحصينات ونقاط المراقبة المتقدمة ليضمن خط امداد سريع وقصير بين القوات المعسكرة على ضفاف هذين النهرين . وقد احتفى بأنتصاره هذا على الجرمان بأن سك عملة تحمل عبارة " لقد سقطت المانيا .

Germania Capta !

وخلال عهده ايضاً واجهت روما عدة مصاعب عن جانب القبائل والشعوب الجرمانية التى تسكن وادى الدانوب خاصة فى إقليم بوهيميا .

وكان اخطر القبائل الثائرة قبائل الداكيين Dacians التى كانت تسكن شرق اوروبا فى المنطقة المعروفة الآن باسم رومانيا والمجر . فقد اندفعت هذه القبائل عام ٨٥ ميلادية بقيادة ملكها ديكابالوس Decabalus بعد أن وحدت صفوفها وعبرت نهر الدانوب الى موسيا Moesia حيث سحقت القوة الرومانية وقتلت حاكم الإقليم الرومانى وسارع دوميتيانوس على رأس جيش كبير حيث طرد القبائل الغازية شمالاً (٢) .

1 - B . W . Jones , " The Datisg of Domitian's War against the Chatti " , Historia . Band X II (1973) , Hefl I . PP . 79 - 90 .

2 - Mattingly , op . cit ,. vol II , Pl . LXII , no . 3 . cf . Syme , op . cit ., 214 , P . 338 .

ولما حاول قائد الحرس البرايتورى كورنيليوس فوسكوس Comelius Foscus غزو داكيا واجه هزيمة قاسية هلك فيها ومعظم من معه . ولما حاول الجنرال الرومانى تاتيوس جوليانوس الانتقام للقوات الرومانية عام ٨٨ ونجح فى تحقيق بعض الانتصارات السريعة ثارت القبائل الجرمانية فى منطقة بوهيميا وسارع دوميتيانوس مرة اخرى لتأديب الثوار ولكنه رد على اعقابه خاسرا عندئذ لجأ الى سلاح الدبلوماسية فسعى لعقد صلح مع ملك داكيا – اعترف بمقتضاه بسيادة روما على هذه المنطقة وأعاد أسرى الحرب من الرومان مقابل دعم مالى من روما لبلاده ودعم فنى من مهندسيها وبذلك أعلن دوميتيانوس عام ٨٩ م أبناء انتصاره على الداكيين والكاتيين مرة واحدة ثم وجه همه لتأديب ما تبقى من القبائل الثائرة التى ظلت تقاوم حتى تم اخضاعها عام ٩٣ ميلادية . وبذلك خفف من حدة التوتر فى ولاية الدانوب العليا والوسطى .

الاضطرابات والمعارضة لحكمه :

وأمام ما تقدم فقد كانت قيادة دوميتيانوس وإدارته للدولة حكيمة وناجحة حتى أن عدد المعارضين لها كان قليلا . ولكن كانت هناك عوامل دعت الى وجود نوع من القلق وعدم الرضا عن حكم الاسرة الفلافية وحاولت إسقاطه وكان مصدر هذا القلق هو تسلط الامبراطور فى الإدارة وفرضه لسياسته فرضاً رغم انف المعارضين ، ولما طلب الامبراطور من موظفيه واتباعه أن ينادوه " بالمولى والرب " احتج الناس ممتعضين لأنهم ظنوا أن كاليجولا جديد قد ظهر . ولما تشددت قبضة الامبراطور على الدولة قام انصار المدارس الفلسفية (١) والمنجمون (٢) بالوقوف فى وجه التسلط والطغيان ، وإزاء هذا اصدر الامبراطور قرارا بطردهم من البلاد . كما أن تبنيه لعدة قوانين اخلاقية متزمته

1 - Cf, R. (Macmullen,) op. cit., PP. 78 - 80.

2 - Cf. op. cit., P. 113 - 132.

بقصد تطهير سلوك الناس وإحياته لعقوبة الدفن حيا " لرهبات الربا فستا " أثارت احتجاج الناس وقللت من شعبيته فى عصر تحرر فيه الرومان نتيجة لظهور المدارس الفلسفية من قيود التقاليد وسنن الآباء خاصة أن سلوك الامبراطور الشائن مع ابنة اخيه جعلهم يقولون أن فاقد الشئ لا يعطيه . وأخيراً فأن انغماس الامبراطور فى الاغريقيات ومحاولته ادخالها فى شكل الالعاب الاولمبية والمساجلات الشعرية والادبية وبناء الديار الجميلة الرقيقة لإقامة الرياضيين ترك انطباعاً سيئا عند الرومان الذين عافوا هذه الاغريقيات واعتبروها ميوعة وعناصر هدامة لشعب تربى على الدم والقتال والرجولة والإقدام (١) ومن ثم انطلق صوت أنصار حماية التقاليد الرومانية معترضا . ولكن المعارضة الفعلية جاءت من السناتو الذى اقلقه التسلط والغرور والذى رفض أن يكون تابعا للإمبراطور وقاد هذا الشعور انصار المدرسة الرواقية .

وقد بدى واضحاً مدى الغضب والرفض فى حركة تمرد عسكرية عام ٨٩ ميلادية فى تكتلات القوات الرومانية فى المانيا العليا والتى تزعمها انطونيوس ساتورنينوس Antonius Saturninus الحاكم الرومانى لولاية المانيا العليا (٢) . وقد حرض ساتورنينوس جنود الفرقتين اللتين يقودهما على اعلانه امبراطورا وذلك فى تكناتها فى مدينة ماينز الالمانية وذلك فى شتاء عام ٨٨ ، ٨٩ م . وبنى ساتورنينوس احلامه على تأييد بعض قادة الجيوش الرومانية وعلى مساعدة قبائل الكاتيين الالمانية . وقد استجابت هذه القبائل لولا أن اعاقت الثلوج طريقها ، ولسوء الحظ لم يجد ساتورنينوس من يساعده بل على العكس وجد حاكم المانيا السفلى الموالى للامبراطور يهب لسحق حركة التمرد وبالفعل سحقت الثورة سحقا وسقط ساتورنينوس صريعا قبل أن يصل الامبراطور على راس قواته

1 - Cf. R. Syme, op. cit., P. 509 - 510.

2 - Ibid, PP. 32, 75, 213.

وقد نمى الى علم الامبراطور أن وثائق قد عثر عليها مع ساتورنينوس معظمها خطابات تأييد من أشخاص عديدين تمنوا له النصر وحثوه على المض قدما فى ثورته وبالرغم من أن هذه الوثائق قد دمرت قبل أن تقع فى يد الامبراطور الا أنها تركت فى نفسه مرارة وتعطشا لتمشيط العاصمة من اعدائه الذين يتربصون به فى كل مكان .

ونتيجة الى تلك الاحداث فقد سيطر الرعب والقلق على الامبراطور ، وراح يتخيل المؤامرات التى تحاك ضده . وبدأ بذلك عهد ارهاب جديد ، وراح بلا هواده يسفك دماء الأعضاء البارزين من رجال السناتو والإدارة ، ووجد المخبرون السريون اذانا صاغية من الامبراطور فراحوا يكيدون للناس انتقاما منهم وحقداً عليهم وابتزازاً لأموالهم وطمعاً فى ذهب الامبراطور ، وقد أدى هذا الرعب الى كراهية الناس له ولأعماله حتى أن المؤرخ تاكيتوس أخذ موقفاً معاديا ومتحيزا منه ومن الامبراطورية الثانية التى اسسها ابوه ، ودفع الرعب دوميتيانوس الى أن يعيش داخل حجرته فى قصره لا يخرج منها الا نادرا ، وقد قيل أنه كسا جدرانها بغطاء لامع حتى يستطيع أن يرى من يقف وراءه لكى لا يطعن من الخلف ، بل أنه حرص على أن يضع خنجرا تحت وسادته ليلا . وبلغ به الرعب لدرجة أنه لم يعد يضمن أنه سيعيش غده ويروى سويتونيوس كيف أنه وضع بضع تفاحات على المائدة (١) وراح فى كل مرة يقسم " لوقدر لى أن أحيا لأكل هذه التفاحات ! " :

Si niodo licuerit

وزادت الأحوال سوءا . اذ بدا المواطن يفقد ضمان السلام ولا يعرف ماذا يحدث له . وهو يرى المحاكمات والاعدام يحدث كل يوم لمشاهير السياسيين بتهمة الخيانة العظمىولأخرين بتهمة الالحاد بالديانة الرومانية وكان معظم هؤلاء من المعتنقين للديانة اليهودية والمسيحية على السواء .

---

1 - Suetonius, Domtianus, 16 .

وقد كان آخر الذين اعدمـوا ابـن عـم الامـبراطور ويسـمى فلافيـوس كلمنـس Flavius Clemens وكان فتى كسولا مشاكسـا ، كذلك نفـى الامـبراطور زوجـة هـذا الأخـير وكـان اسـمها دوميتـلا Domitilla (١) وهـى فـى نفـس الوقـت احـدى بنـات شـقيق الامــبراطور . وأغلب الظن أن دوميتلا كانت تمارس الشعائر المسيحية أن لم تكن قد اعتنقتها لانها تبنت قضية المسيحيين الرومان ولهذا قرر الامبراطور نفيها من المدينة دونه ايه إدانه واضحة .

مصرع الامبراطور دوميتيانوس :

وأمام تلك المحاكمات التعسفية التـى تلصـق التهـم بالأبريـاء قـرر بعـض الذيـن كـانوا يخشون وقوعهم فى حلبة الغدر أن تكون لهم المبادأة ويغدرون بالامبراطور قبـل أن يغـدر هو بهم . حيث نجح المتآمرون فى التـأثير علـى زوجـة الامـبراطور دوميتيـلا التـى كـان الامبراطور قد طلقها متهما اياها بارتكاب جريمة الزنا مع المغنى والراقص الأول فى ذلك الوقت واسمه باريس ، ولم تنس الامبراطوره هذه الإهانة رغم أنه ردها اليه مرة أخرى ، واختارها المتـآمرون لتكون علـى راسـهم بعـد أن انضـم اليهـم قـائدان مـن قـوات الحـرس الامبراطورى احدهما يدعى ستيفانوس والآخر بارتينوس بالإضافة الى العديد مـن موظفى

---

1 - Ef. R. Syme, P. 216 - Suetonius, Dom, XV, I, Dia, LXVII, 14.

القصر ورجال الحكومة . وقبل أن يخرج المتآمرون خناجرهم (١) من تحت ارديتهم بحثوا طويلا مسألة الامبراطور الجديد ووقع اختيارهم على محام عجوز من أبرز رجال القانون والسناتو على السواء وحصلوا على موافقته بقبول منصب الامبراطور اذا ما نجحت المؤامرة . وكان هذا الرجل هو ماركوس كوكايوس نيرفا الشهير بالامبراطور نيرفا Marcus Cocceius Nerva ، وفى ليلة من ليالى شهر سبتمبر عام ٩٦ ميلادية سقط الأمبراطور تحت ضربات خناجر المتآمرين فتنفس الناس الصعداء ولم يذرف السناتو عليه دمعة واحدة ، بل على العكس انزل عليه اللعنات واصدر السناتو قرارا بمحو اسمه من على المنشآت وهو ما يعرف بلعنة الذكرى damnatio memoriae وتركت جثته ملقاة حتى دفنت فى مقابر المعدمين لولا مربيته التى اعادت دفنها سرا فى مقابر اسرته وهكذا سقطت الاسرة الفلافية بعد مرحلة من الاحداث والصراع الدامى .

مؤثرات تاريخ الاسرة الفلافية :

لا شك ان تاريخ اسرة الفلافيين قد ترك لنا تباين واضح حول شخصيات تلك الاسرة – بيد انهم قد اجتمعوا حول سمات مشتركة تمثلت فى حب العمل والكفاءة المتناهية فى الإدارة . ولهذا لم تتأثر المشروعات العمرانية أو الإصلاحية بموت ايا منهم لأن التالى له كان يكملها ويزيد عليها ، فمثلا ورث دوميتيانوس سياسة ابيه فى دعم مركز الحكومة فى الداخل ودعم قوة الامبراطورية فى الخارج الا أنه كان ينقصه مرح أبيه وفطانته وقدرته وإحتمال تيتوس فى العمل ، ومهما قيل عن أباطرة هذه الأسرة فسيذكرها التاريخ بما

---

١ – يشير ديو كاسيوس الى أن ابوللونيوس التيانى Apollonius of Tayana كا ن فى مدينة ايفيسوس فى آسيا الصغرى وفى لحظة مصرع دوميتيانوس فى روما دعى ، الناس اليه ثم صاح " أحسنت ياستيفانوس أحسنت ياستيفانوس !! أطعن الخبيث . لقد جرحته . لد جرحته .. لقد قتلته !! " ولم يفهم أحد ما يقول . ويؤكد المؤرخون صدق الرواية . وأن صحت فانها قد تكون من باب توارد الخواطر Tetepathy

Cf. Dio, LXVII, 11.

حققته فـى مجال التنظيم والإدارة فهـم أول مـن وضـع للعمـل الإدارى فى الامبراطوريـة قواعد ونظما وحدودا ومنهجا كان لها أثر دائم على الامبراطورية فى معظم فتراتها .

ففى مجال الدفاع والسياسة الخارجية لم يكن الفلافيون توسـعيين ولـم يسمحوا لجنـون العظمة الوطنية لتقودهم فى متاهات التوسع ، بل عرفوا مقدرة وحدود قوة الامبراطورية ، وآمنوا بنظريـة الامبراطور اغسطس فى تفـادى التوسـع ، ولكنهم رغم هذا أدركوا أن الجيش الخامل خطر على الدولة ومصدر لأعمـال الشغب والتمرد ، ومن ثم فكروا فى امتصاص طاقة الجيش وجعله منهمكا . فاستخدموا الجيش فى تنفيذ مشروعات المرافق العامه والمشروعات المدنية وفى تأمين حدود الامبراطوريـة عن طريق حروب صغيرة مانعـة لهجوم الأعداء سواء فى أفريقيا أو بريطانيا أو ألمانيا وعلى طـول وادى نهـر الدانوب ، كما حرصوا على أن يكونوا دائمـا بين الجنود وفى ثكناتهم ، وقيادتهم فى المعارك ، كذلك حرص الأباطرة الثلاث على اختيار المجندين من ابناء الطبقة الوسطى فى الاقاليم ضمانا لمعدن جيد من الرجال المتزنين الخالين من مركبات النقص الاجتماعية . وضمانا للسلام وتفاديا للتمرد ، كما باعد الاباطرة بين القوات الرومانية على الحدود حتى يجعلوا حجم التمرد اذا ما حدث – محدودا يسهل القضاء عليه بشكل او بآخر .

لقد نجح أباطرة هذه الأسرة فى تأمين وتجديد حدود الأمبراطوريـة وحمايتها بطريقة سهلة لا تكلف الدولة كثيرا وصد القبائل البربرية المهاجمـة عبر الحدود أو المتمردة من داخلها ، وقد أولى هؤلاء الأباطرة عناية خاصة بولايات الشرق ، وخوفا من خطـر دولة بارثيا دعمت ولاية كابادوكيا لتصبح حصنا اماميا عائقا فى طريق بارثيا ، كذلك اهتموا بولاية سوريا بصفة خاصة (١) .

---

1 - Cf. Ratolat (M) , Roman Syria , New york , 1993 , P . 28 FF .

لتسهيل الاتصال بين الفرق الرومانية الست والتى كانت موزعة على ولايات الشرق ، ولتسهيل نقل الامدادات من الغرب فى حالة الضرورة .

وفى شمال افريقيا حاول هؤلاء الأباطرة اجبار سكان موريتانيا ونوميديا الرحل على ترك حياة البداوة وشجعوهم على الاقامة الدائمة وزراعة الأرض الغنية التى ادركت الامبراطورية أهميتها فى زيادة الدخل الزراعى . وفى بريطانيا قضى الـــرومـــان على مناطق الثورة فى ويلز وغيرها من المناطق ، بل وصل الجيش الرومانى لأول مرة الى اسكتلندا وحاول غزوا ايرلندا لولا استدعاء الامبراطور لقائده اجريكولا ، وقد قلنا ما فيه الكفاية عن تأمين الحدود الجرمانية الدانوبية وقمع ثوراتها فى عهد دوميتيانوس وتدعيمه لهذه الجبهة المشاكسه بوضع تسعة فرق على طول وادى الدانوب وهذه أكبر مظاهرة عسكرية قامت فى تاريخ الامبراطورية الرومانية منذ بداية عهد الامبراطور اوغسطس .

أما اطارفى الإصلاح المالى والإقتصادى والإدارى فقد نجح اباطرة الأسرة فى وضع قواعد ثابته لاختيار الموظفين الإداريين ظل معمولا بها حتى بعد سقوط هذه الأسرة ولفترة اخرى . كما حرص الفلافيون على الاستعانة بالكفاءات القادرة فى الادارة والحكم من أمثال الجنرال اجريكولا Agricola ، وفرونتو Fronto وفرونتينوس Frontinus ، وبلينيوس الكبير Plinius ، وتاكيتوس المؤرخ العظيم ، الذى كانت لتوجيهاته الإدارية نظرية يحتذى بها مستقبلا .

كما دوميتيانوس أول من عين خبراء قانونيين Juridiei للإشراف على الإجراءات القانونية المدنية فى بعض الولايات الكبيرة وبهذا كان أول من فصل الإدارة المدنية عن الإدارة العسكرية فى التنظيم والحكم ووضع أسس نظرية بفصل بين السلطات (١) .

وقد اتبع أباطرة الأسرة الفلافية تقليد اغسطس الخاص بالإعتماد على طبقة الفرسان لخبرتهم الطويلة فى الإدارة المالية وتقوية جبهتها فى مواجهة الطبقة النبيلة الارستقراطية . ولما كان الفلافيون أنفسهم ينتمون الى طبقة الفرسان فقد اولوها عناية خاصة ووثقوا فيها

---

1 - Cf., Finley (M. I), The Ancient Econommy, J. R. S., Lxv, 1975, pp. 164 - 71.

وملاءوا الوظائف الشاغرة برجالها بدلا من العتقاء الذين قامت عليهم الادارة فى عصر الاسرة اليوليوكلاودية ، وبمقتضى سلطة الرقيب الابدية أصبح الأباطرة قادرين على ترقية من يحبذونه من الفرسان الى طبقة رجال السناتو وقد فعلوا ذلك بالفعل وأصبح لهم جبهة مناصرة من الأعضاء الجدد داخل السناتو مما زاد من حقد النبلاء عليهم .

لقد شكلت التقاليد الفلافية الخاصة كالحرص المالى والعناية بالزراعة واحترام الملكية الخاصة وحقوقها ملامح الحكم وحددت رسالة الامبراطور كخادم للشعب وأمين على ممتلكاته ومسؤل عن رفاهيتة وسعادته . وهذه التقاليد نبع من البيئة التى جاء منها هؤلاء الأباطرة وأصبحت فى القرن التالى لسقوط اسرتهم تقليدا أساسية بل وملزمة لأى امبراطور . أما مدى نجاح كل منهم فى ارضاء الجماهير فهذا يتضح من نظرة الناس اليهم بعد موتهم فقد الهوا بعضهم بجدارة ولعنوا بعضهم بحقد يكاد أن يكون شخصيا وبرواسب الماضى المرير .

الحياة الثقافية عهد الاسرة الفلافية :

لقد سار الفلافيون على درب اغسطس فى التمسك بفكرة بناء الأمة العظيمة فى كافة المجالات التى تمس حياة الأفراد بما فى ذلك المجال الفكرى والروحى ، ومن بين العبقريات الأدبية التى تلألأت فى عهدالأباطرة الفلافيين الشاعر الملحمى سيليوس ايتاليكوس Silius Italicus الذى اتخذ من فرجيل مثله الأعلى واحتذى بحذوة فى ملحمته القتالية التى الفها عن احداث الحرب البونقة الثانية ، وفى نفس العصر تشبع فلاكوس بروح الشاعر الاغسطسى اوفيديوس عندما الف ملحمته الرائعة لارجوناوتيكا Argonautica أو رحلة السفينة أرجو . كما عكف سناتيوس على البحث عن الأفكار القديمة فى مؤلفاته مثل ملحمة طيبة Thebais وملحمة أخيل Achilleis وفى ديوانه " الغابات " Silvae الذى سجل فيه أشعاره الارتجالية . ولكن للأسف تميزت معظم هذه الأعمال الدبية بروح العصر التى كانت تحرص على التكلف والبلاغة والخطابة بدرجة تثير فى النفس الاحساس بثقلها

وعبوسها الى حد بعيد (١) .

ومن الأدباء الظرفاء فى ذلك العصر كاتب الابجراما " أى الاشعار القصيرة " والزجال الناقد اللاذع مارتياليس Martialis الذى لم يترك كبيرة ولا صغيرة فى الحياة الرومانية الا وتناولها بالنقد اللاذع والتقريظ الذكى مستخدما حسن التعبير وحيوية الوصف وسلاسة الأسلوب مما جعل منه شاعرا عظيما يرتبط اسمه بفن الابجراما الرومانية وحامل رايتها .

ومن ابرز النقاد – الناقد الرومانى كونتلياتوس Quintilianus واضع قواعد الخطابة Institutes Oratoriae التى هى مصدرنا الأول عن نظم التربية التعليمية فى المدارس الرومانية فى هذه الفترة لأن هذا المؤلف يشمل منهجا كاملا وضع لغرض تعليم فن الإنشاء الخطابى . ولكن الذى لاريب فيه هو عشق كونتلياتوس الواضح للأسلوب الشيشيرونى السامى ومحاولته رفع الاسلوب العام فى الكتابة الى هذا المستوى الرفيع . وهو طموحا ما من شك فى ذلك . وجدير بالذكر أن معظم هذه العبقريات الأدبية لم يكن رومانية لحما ودما فقد كان ايتاليكوس ومارتياليس وكونتلياتوس من اصول أسبانية كما كان سينيكا ولوكانوس فى عصر خلفاء اغسطس . ومن ثم اولوا ظهورهم للتقليد الرومانى القديم كما بسط الأباطرة الفلافيون حمايتهم ورعايتهم على هذه العبقريات الأدبية وأخذوا بيدها وانعموا عليها بالمناصب فمثلا شغل سيليوس ايتاليكوس وكونتلياتوس منصب القنصل وغيرهم فى مناصب أخرى .

ولقد بدت ملامح الثقافة والأدب فى هذه الفترة بمنظور لا يمكن أن يتصفا معه بالرقى والسمو الرفيع لأن الكثير منها كان جامدا ، وان كان الأرستقراطيون قد اعرضوا عنها الا ان العامة انكبت عليها وتأثرت بها وأثرت فيها ،والدليل على توغل الثقافة والفنون الى اعماق الناس واضح من خلال مؤلف بترونيوس الظريف المعروف باسم ساتيريكون Satiricon ، ومن حفائر الأثريين في بومبى بعد ازاحة تراب بركان فيزوف الذى دفنتها لاحظ الأثريون اهتمام اصحاب المنازل حتى المتواضعة منها بتزيين جدرانها بالرسوم

1 - Cf., Ploofr (M), The Roman Litrature, warsso 1995. PP. 112 ff.

الجميلة والاهتمام بجمال قاعات الطعام وتنظيم الحدائق هذا الى جانب الإهتمام الواضح بتجميل المرافق العامة بما يليق التطور . ويبدو ذلك واضحا من خلال ملامح آثار مدينة بومبى ومنازلها ومبانيها والشعور بمدى ارتفاع درجة التذوق الفنى عند الناس فى هذه الفترة والذى يعكس دراية ولو سطحية بالشعر والشعراء وقديمهم وحديثهم وحب عميق لكل ما هو رقيق وجميل وحساس .

لا شك ان الاهتمام بالجمال والفنون وانتشار الثقافة حتى ولو كانت بشكل سطحى بين الناس يعكس ايضاً نظرتهم الى الدين فى هذه الفترة . فقد لاحظ العلماء تدهور العبادات الرسمية والشعائر التقليدية فمثلاً سجل الأثريون ملاحظة هامة من مدينة بومبى هى أن المدينة تعرضت لزلزال دمر مبانيها عام ٦٢ ميلادية قبل أن يدمرها البركان عن آخرها عام ٧٩ ميلادية . كما لاحظ الأثريون أن سكان المدينة لم يكلفوا أنفسهم عناء ترميم معابد الآلهة الرومانية التقليدية وتركوها خرائب واطلال أما معبد الربة ايزيس المصرية فلم يتوانى أهل المدينة عن ترميمه وبنائه عقب الزلزال مباشرة وهذا يثبت انتصار الديانة الشرقية ودخول آلهة النيل منتصرة الى معاقل آلهة التيبر رغم التشنيع والمعايرة التى إنهال الشعراء الرومان بها على آلهة النيل أثناء الحرب ضد كليوباترا ، حقا لقد أصبح المنتصر أسير المهزوم عندما احستى جماهير الرومان فى هذا العصر بأنها متعطشة لينابيع ديانة الشرق ونهلت منها حتى امتلأت عقولها بأسرارها وقدسيتها وحتى فقدوا ذاتهم المتميزة فى بحر الفكر الشرقى العارم الذى جرف فى طريقه سدود المقاومة رغم أنف المتطرفين .

تطبيق نظام حكم المواطن الأول :

يموت دوميتيانوس كان قد انقضى مائة وثلاثة وعشرين عاما على تأسيس أغسطس لنظام حكم المواطن الأول (١) تولى الحكم فيها اسرتان ، الاسرة اليوليوكلاودية التى شملت

1 - Cf. Kloft, Liberalitas principis, 1968, pp. 16 ff.

الأباطرة الذين انحدروا من المؤسس سواء بالقربى او بالتبنى ، والاسرة الفلافية التى اوجدها المؤسس الثانى للامبراطورية فسباسيانوس . ومن الملاحظ أن اباطرة الاسرتين تمسكوا بضرورة توريث الحكم لابنائهم اواقاربهم لكى تظل الخلافة فى بيوت اسرهم .

وقد أعلن ذلك فسباسيانوس صراحه عندما أعلن اما أن يولى ابنـاءه او لا أحد يتولى الحكم من بعده وتركه للأصلح (١) .

وأمام ذلك ظل السناتو مسلوب الإدرادة فى اختيار الأباطرة ، ولم يتبق أمامه سوى منح موافقته التقليدية ، واضفاء القاب التكريم والسلطات المعهودة على الشخص المختار امبراطورا من قبل قوى خارجه عن ارادته ، لقد ثبت أن نظـام توريث الحكم كان أسوا نظم الحكم . ذلك لأن البنوة أو القرابة تفرض شخصا قد يكون غير لائق نفسيا وعقليا للحكم من أمثال جايوس ونيرون ودوميتيانوس وجايوس .

كذلك كان تخويل السلطات على الامبراطور بصورة مطلقة ولدى الحياة جعل من الصعب التخلص من الأباطرة المنحرفين وأصبح الحرس البرايتورى هو المتحكم فهو الذى يبقى على الامبراطور او يقتله . وفى هذا الجو تجسمت فكرة الاغتيال والمؤامرات والانقلابات وقد أدى ذلك الى إنتشار الصراع وقيام الحرب الأهلية فى كافة أنحاء الامبراطورية الرومانية كما حدث فى أعوام ٦٨ و ٦٩ ميلادية على وجه التحديد .

ولقد انحصرت شروط تنصيب الإمبراطور على الاقل فى نظر السناتو ان يكون عادلا وكفء ذا سلوك حميد ويضرب المثل الأعلى للناس . والا فان الامبراطور يتعرض للمؤامرات أو الاغتيال ، وإذا نجا منها فان السناتو كان يحرمه من اضفاء التكريم والتاليه عليه بعد مماته كما جرت العادة . ولكن الأباطرة لم يتقيدوا بوجهات نظر السناتو على الاطلاق فى حياتهم ، لأن كلا منهم باشر عمله بنفسه فى ظل الظروف القائمة والقادمة .

---

1 - Dio Cassius L . V , 12 . 1 .

ويلاحظ جلياً ان الالقاب التشريفية والألاهية التى انعم بها مجلس السناتو على كل من كلاوديوس وفسباسيانوس وتيتوس تماما مثلما فعل مع اغسطس كان ذلك بمثابة أعلان الرضا من جانب السناتو لهؤلاء الأباطرة نظرا لإلتزامهم بالقانون والعرف ، وعندما صب السناتو لعناته على نيرون ودوميتيانوس فان ذلك كان يعنى انحرافهما عن الدستور وسوء سلوكهما . وهناك عدد من الأباطرة من أمثال تيبريوس وجالبا واوتو وفيتليوس امتنع السناتو عن تأليههم او تجريدهم من التكريم مؤقتا ثم عاد وكرمهم فيما بعد على نمط نظامى ثابت .

ولقد اختلفت وجهات النظر الاباطرة حول نظرية الحكم ، فكان منهم من يعتبر الامبراطور موظفا كبيرا وليس الا مواطنا أول بين مواطنيه ومن ثم يقع اختصاصه فى حدود القانون الذى يحكم تصرفاته ومن خلال العرف الذى سار على نهجه من سبقوه . وذلك الرأى كان يراه اغسطس وتيبريوس وكلاوديوس وفسباسيانوس وتيتوس ، أما الرأى الثانى فيرى ان الامبراطور يجب ان يكون امبراطوا له مطلق التصرف ومطلق السلطات وأن السناتو والشعب الرومانى ماهم الا رعيته وأتباعه والامبراطور يجب ان يكون فوق العرف والقانون كما رأى كل من جايوس ودوميتيانوس ، بل اضافوا على ذلك وجوب الاعتراف بالوهية الامبراطور فى حياته وبعد مماته مثلما فعل جايوس كاليجولا على التحديد (١) .

وعلى ذلك فقد قسم السناتو الاباطرة الى فريقين : فريق يؤمن بسيادة القانون ، وفريق آخر اختلف معه ومن ثم جر على نفسه البلاء والمؤامرات . ولكن هناك نتيجة اضحت فى حكم الحقيقة الثابتة هى ان فى كلا الحالتين نجد الامبراطور هو الحاكم وليس السناتو او كبار الموظفين . ولم يجد بعض رجال السناتو الساخطين والحالمين بأيام الجمهورية

1 - Cf. stolba (R . F) , unterzuchunger zu den wahlen in der roemischen kaizerzeit , turis verlag , 1967 , PP . 63 ff .

الأرستقراطية نفع من توجيه النقد والاتهامات الى الامبراطور سوى الانتقام من جانبه ورد الامبراطور بالانتقام الدموى منهم . واخيرا وجد السناتو ان حلم اسقاط حكم المواطن الأول خرافة . وأنه من الخير ان يسمى الى توثيق صلاته بإمبراطور عادل خيرا من أن يظل على عناده القديم وأن فكرة ارجاع الجمهورية القديمة أصبح أمرا محالا بعد أن رسخت دعائم نظام حكم المواطن الأول فى الامبراطورية ، بل وبالرغم من كل عيوبه ثبت أنه خير نظام لحكم الامبراطورية الشاسعة ، لأن الفوضى السياسية التى كانت قائمة خلال الفترة الأخيرة من عصر الجمهورية كانت لا تزال ماثلة فى ذهن فريق من الجمهوريين الأرستقراطيين ، وقد شجع ذلك على قبول الامر الواقع وأن كان مريرا على أنفسهم ، مخيبا لآمالهم وأحلامهم عن الأيام الخوالى أيام كان السناتو هو مركز أعصاب الدولة لا يترك رجاله المحتكين امرا الا وقلبوه نقاشا بين محبذ ومعترض قبل أن يتخذوا قراريهم ، ونظروا بحسرة الى الأيام التى كان فيها امرهم شورى بينهم ، ومن ثم قبلوا الواقع المر وفضلوا أن يؤقلموا أنفسهم مع النظام الجديد بشكل يتفق قدر الإمكان مع متطلبات التغيير تباعاً .

عصر الأباطرة الصالحين

****

لا شك أن تلك الفترة كانت بين الفترات الحرجة فى تاريخ الامبراطورية الرومانية – خاصة وأن مصادر عن تلك الفترة التى تبدأ بموت دوميتيانوس عام ٩٦ ميلادية وتنتهى عند الامبراطور سيفيروس الاسكندر Se /erus Alexander فى عام ٢٣٥ ميلادية قليلة ، ولهذا قسمت هذا الفصل الى فترتين الأولى وتنتهى عند موت ماركوس اوربليوس Marcus Aurelius عام ١٨٠ م ، وهى فترة العصر الذهبى للامبراطورية الرومانية حيث وصلت الى أقصى درجات التوسع والازدهار السياسى والإجتماعى والحضارى نتيجة لسيادة السلام الرومانى فى الخارج وكفاءة الإدارة فى الداخل ، أما الفترة الثانية فهى التى تبدأ من ١٨٠ م حتى حكم سيفيروس الاسكندر فى عام ٢٣٥ م . وهى فترة التدهور السياسى والفوضى الاقتصادية والحروب الأهلية بين الجيوش الرومانية مما سبب ازمات راحت تهدد الامبراطورية ذاتها . بل وكانت الارهاصات الأولى للعوامل التى أدت الى سقوط الامبراطورية الرومانية (١) فى الغرب على يد الجرمان عام ٤٧٦ ميلادياً .

وتعتبر تلك الفترة من الفترات الحرجة التى تفتقر فيها الى مصادر كافية ، بينما تقوم ديوكاسيوس Cassius Dio الذى يغطى هذه الفترة حتى عام ٢٢٢ ميلادية لم يتبق منه سوى أجزاء بسيطة من كتابيه الاخرين . أما الباقى فليس أمامنا خيار سوى الاعتماد على ما كتب فى القرن الحادى عشر الميلادى عن هذا المؤلف المجهول الهوية .

---

1 - Ef . Joseph Vogt : The Decline of Rome , (English edition London . Weidenfied and Nieolson 1967) . PP . 25 - 28 .

وهناك مؤلف آخر كتبه اغريقى اسمه هيروديانوس Herodianus (١) هو الذى كتب سجلا للفترة ما بين ١٨٠ و ٢٢٨ ميلادية ، الى جانب ذلك نعتمد أيضاً على سلسلة من التاريخ الذاتى أو تاريخ السير لبعض الأباطرة ابتداء من هادريانوس ، جمعت ابان القرن الرابع الميلادى وعرف باسم Historia Augusta ومن المصادر الهامة لتلك الفترة خطابات بلينيوس الاصغر ومراسلاته مع الامبراطور اثناء توليه حكم ولاية بيثينيا Bithynia ما بين ١١١ – ١١٣ ميلادية .

وهناك مصادر صغيرة اخرى متفرقة خاصة تنحصر فى تواريخ السير الذاتية ولكنها ليست بذات الاهمية الكبرى . ونظرا لندرة المصادر الأدبية فان اعتمادنا على المصادر المباشرة يصبح حيويا مثل النقوش وأوراق البردى وقطع العملة وكل ما يساعد على إعطاء صورة حية وناطقة للحياة فى عصر ازدهار الامبراطورية الرومانية . وهنا تبرز اهمية الولايات الرومانية فى امداد المؤرخين بالمعلومات سواء البردية أو النقشية او الأثرية . خاصة مصر ذات التراث الغزير والمصدر الأول للوثائق البردية الذاخرة بكل المعلومات الخاصة والعامه والمشاكل

---

١ – هيروديانوس السورى مؤرخ اغريقى عاش ما بين ١٧٠ – ٢٤٠ ميلادية فى مدينة روما حيث شغل عددا من المناصب فى البلاط والقضاء . وقد ترك لنا سجلا لتاريخ الأباطرة من ماركوس اوريليوس حتى تولى جورديانوس الثالث عام ٢٢٨ ميلادية . ويتميز تاريخه بالوضوح والحياد والبساطة والموضوعية وتسود فيه النزعة الاخلاقية وبالرغم من أنه سطحى الى حد كبير الا أن معاصرته يضفى على تاريخه اهمية خاصة .

- Cf. Herodianus, Qxford classical Dictionary 1996.

التى استولت على الناس ابان عصر الامبراطورية (١) .

أولا : عصر الإزدهار : من ٩٦ ميلادية الى ١٨٠ ميلادية :

بموت دوميتيانوس سقطت الاميرة الفلافية وادرك الرومان من الدروس السابقة ضرورة تغيير نظام تولى الاباطرة وأن نظام توريث الحكم للابن الاكبر او احق ابناء الاسرة ليس بالنظام الافضل . وقد ساعدهم على ذلك أن دوميتيانوس مات دون أن يكون له وريث ، وفى هذه الأثناء تبلورت فكرت جديدة - ربما من باب الصدفة - لاختيار الامبراطور وقد نجحت هذه الطريقة واتت بأفضل العناصر على الاطلاق فى تاريخ الامبراطورية وهو نظام التبنى من خارج دائرة الاسرة وهؤلاء الأباطرة الأكفاء على التوالى يمكن ادراجهم على النحو التالى : -

١ - الامبراطور نرفا (٩٦ - ٩٨ م) :

وقد عرف باسم ماركوس كوكيوس نرفا ، وهو الرجل المسن الذى سبقت الاشارة اليه بأنه قد اختير من جانب المتآمرين لتولى الحكم وكان يبلغ من العمر ست وستين سنه ، وكان ينحدر من اسرة عريقة عملت بالقانون ابا عن جد . بل أنه كان يمت عن طريق المصاهرة الى الاسرة اليوليوكلاودية وقد جعلته كفاءته على علاقة طيبة بالفلافيين ، ولكن لما كان نرفا لم ينجب ولدا فان أحدا لم يخش عليه من فكرة تأسيس اسرة جديدة أو احياء الاسرة اليوليوكلاودية لتلك الفترة .

---

١ - راجع حفائر كلية آداب القاهرة بالفيوم فى مناطق كرانيس كوم اوشيم (انظر التقرير العلمى الأول والثانى لمواسم ١٩٧٢ ، ١٩٧٣) .

- Cf ., Ramow (L) , Karanis , paris , 1988 .

كانت أول محاولة للامبراطور نرفا هو التشاور مع شيوخ السناتو والتعاون معهم من أجل استعادة ثقة الشعب الرومانى فى الامبراطورية ورفع روحه المعنوية من اجل مستقبل الشعب . ولهذا بدا فـى شراء الأرض وتوزيعها علـى المعدمين مـن الرومـان . كمـا بـدا مشروعا بمقتضاه اصبحت الدولة تفرض رعايتها على أبناء فقراء الاقاليم وتمدهم بالمعونة والتعليم ذلك عن طريق التبرعات وقد اتسع هذا المشروع فيما بعد حتى اصبـح مـن أهـم أجهزة الدولة المتعددة (١) .

كذلك شجع نرفا الرومان الأثرياء على توريث اقرباءهم (٢) المقمين بالريف الايطـالى عن طريق الوصايا واوقف عمليات القمع ضد أنصار دوميتيانوس حتى لا يسـبب ذلـك رد معاكس يكون له تأثيره فى تقليب الأوضاع .

ولقد تبلورت شخصية نرفا فى امانته وجديته ، بيد انه كانت ينقصه التـأييد العسـكرى وقد أدرك نرفا هذا النقص عندما هب الحرس البرايتورى فى حركة تمرد ضـد قـائده عـام ٩٧ م لأن هذا الأخير اشترك فى التآمر على حياة دوميتيانوس الذى كانت الجنود تحن الى ايامه وحسن معاملته للقوات ، واجبر الثوار الامبراطور على اعدام قائد قواتهم ولم يستطع الامبراطور أن ينقذ رفاقه الذين اجلسوه على العرش ، ولكنه اتخذ خطوة جريئـة ردا علـى هذا الخطر المتمثل فى العسكريين ، بأن اختار خليفتـه مـن بيـن احـد جنرالاتهم الحـازمين وأعلن تبنيه لهذا الجنرال وهو ماركوس اولبيوس تراجـانوس Marcus Ulpius Traianus وكان حاكما علـى منطقـة المانيا الـدنيا . وتبنـاه ثـم أنعـم عليـه بكافـة التشـريعات ومهـد لاشراكه معه فى الحكم وذلك عن طريق منحه السلطات المخولة للامبراطور . وقـبـل أن

---

1 - Cf., A. R. Hands : Charities and Social Aid in Greece and Rome Thames and Hudson, London 1968, P. 21.

٢ – عن سياسة نرفا الاقتصادية انظر :

Cf. Syme (R) J. R. S (1930), P. 55. FF ; Sutherland J. R. S, (1935), P. 150 ff.

يعود الورييث من ولايته فى المانيا حيث كان يشرف على تنظيم طرق ومعسكرات القوات الرومانية ليتسلم مهام منصبه الجديد لفظ الامبراطور العاقل نرفا انفاسه متأثرا بالمرض الذى كان مصابا به ، ودفن الامبراطور الراحل فى الضريح الامبراطورى الذى بناه الامبراطور اغسطس ، بل كان آخر الاباطرة الذين نالوا هذا الشرف العظيم .

ولقد تمتع نرفا بحب مجلس السناتو والشعب الرومانى على السواء ، حيث كانت سياسته على النقيض تماما من سياسة الذين سبقوه . فمثلا كسب ولاء النبلاء عندما اقسم على الا يحاكم أى عضو من أعضاء السناتو أو يلحق بهم الاذى الابناء على الحكم السناتو نفسه ، بل أنه اوقف محاكمات الخيانة العظمى تلك التهم الملفقة التى كان الأباطرة السابقون يستخدمونها لتصفية اعدائهم ، وأكثر من هذا اعاد نرفا كل المنفيين السياسيين والفلاسفة المطرودين بسبب عدائهم للحكم السابق ، كما سمح للمواطنين الذين نالهم الأذى بسبب وشايا المخبرين بأن ينتقموا لأنفسهم بإقامة الدعاوى القانونية ولم يتدخل الامبراطور لوقف انتقامهم الا عندما زاد عن الحد وكاد ان يهدد الأمن والسلام على حد سواء .

ولقد تلقى نرفا درسا من الدروس القديمة للأحداث الرومانية ، حيث أبدى اهتماما كبيرا بشئون ايطاليا كلها ، وجعل الاعفاء من ضريبة لارث التى كان قدرها ٥٪ أكثر شمولا من ذى قبل لكى يضيق التناقضات بين خزانة الدولة ودافعى الضرائب من الموظفين ، ويعتبر مشروع نرفا بإنشاء لجنة لمساعدة الفلاحين الايطاليين الفقراء ورعاية ابناء المحتاجين وتعليمهم من اعظم انجازاته (١) . وقد عرفت هذه بالمعونة alimenta ، ولهذا حرص خلفاؤه من الأباطرة خاصة تراجانوس على تدعيم هذا المشروع حتى

1 - Ef . B . W . Henderson : Five Roman Emporors (London 1927) . PP . 212 FF ., Ef, A . R . Hand , op. cit ., P . 107 .

أصـــبـــح مـن أهم الأجهزة التنفيذية فى الامبراطورية . أن اختيار الشخص الكفء ليخلـف الامبراطور كان نقطة تحول فى تاريخ الامبراطورية الرومانية لأن أصبح يأتى بالعناصر الصالحة والمتزنه . وقد سارع السناتو فمنـح تراجـانوس لقب قيصـر اعترافاً بـه كشريك للامبراطور نرفا وكامبراطور منتظر وولى للعهـد ومنحـه أيضـاً السـلطة التربيونيـة والامبريوم . وكان نرفا يتوقد شوقا ليرى تراجانوس يشاركه فـى الحكـم الا أنـه لـم تمـض ثلاثة أشهر على هذا حتى فارق نرفا الحياة فى الخامس والعشرين من يناير عام ٩٨ م فـى بيته فى روما . وأعلن السناتو امتنانـه للامبراطور الراحـل بـأن أضـاف اسمه الى قائمـة الاباطرة المؤلهين اعترافا منه بفضله على الامبراطورية . لقد كان نرفا امبراطورا قـادرا ومتعقلا ولكنه كان ضعيفا مسالما ، ولكن تبنيه لخليفته مستقبلا على اساس القدرة والكفـاءة حال دون اندلاع الصراع حول العرش بعد مماته . مثلما حدث فى عام الانقلابات الاربعـة فـى (٦٨ - ٦٩ م) . وبذلك انتهى عهد الاسر الحاكمـة ، وبدأ عهد الأبـاطرة الذيـن يختـارون ويدربـون مـن خـارج العائلـة الحاكمـة ويختـارون علـى أسـاس كفـاءتهم ، ومـن الطريف أن معظم هؤلاء الاباطرة لم يكونوا حتى من أصول رومانية بل كانوا من أصـول اسبانية ، لكنهم يمثلون أعظم وأصلح الأباطرة والذين بفضلهم وصلت الامبراطوريـة الـى أقصى مراحل التوسع .

٣ - الامبراطور تراجانوس (٩٨ - ١١٧ م) :

يعتبر الامبراطور تراجانوس من أعظم واكفأ الأباطرة جميعها الا أن المصادر الأدبيـة عن حياته وأعماله قليلة . فمؤلف ديون كاسيوس عن " حياة الأباطرة الاثنا عشر " يتوقـف عند موت دوميتيانوس عام ٩٦ ميلادية وبذلك حرمنا من عمل دقيق لمس عن قـرب حيـاة الاباطرة وعكس بدقة منقطعة النظير سيكلوجيتهم وأعمالهم . وما تبقى من الأعمال الأدبية لا يعطينا الصورة الدقيقة عن حياة تراجانوس وتفكيره ونفسيته ، بل يدور فى فلك الأعمال التقليدية التى تتملق الاباطرة .

ولحسن الحظ تصل الينا أعمال المؤرخ العظيم تاكيتوس التى نشرها بعد تولى تراجانوس العرش بقليل لكنها للاسف لا تلمس الا القليل عن عهدى نرفا وترلجانوس عندما يعلن أن الماضى الأسود الذى عاشت فيه الامبراطورية تحت حكم دوميتيانوس قد تبدل الى الأحسن (١) ، وهذا لا يفى الباحث بالمعلومات المطلوبة لكنها برغم لختصارها فتعتبر قاطعه وجازمه فى الحدث التاريخ بحكم أنها احد المصادر الأدبية .

أما دون ذلك فأن المصادر الأدبية الاخرى الباقية تخلوتماما من صدق الحوس وتلجأ الى المديح والرياء والتعلق التقليدى ، ومن أمثلة هذه الأعمال " رسائل الأديب بلينيوس الأصغر الى الامبراطور تراجانوس ، وخطبته الغراء التى القاها فى مديحه أمام السناتو عام ١٠٠ ميلادية ، وكذلك مقالات الأديب الإغريقى ديو كريسوستوموس Dio Chrysostomos مواطن مدينة بروسا Prusa فى بيثينيا بآسيا الصغرى - عن الصورة المثالية للامبراطور المتمثل فى تراجانوس كلها اعمال سطحية تقوم على تزلف الامبراطور وتملقه ، وتعيق البحث التاريخى ولا تساعده على تقصى الحقيقة من مصادرها الاصلية .

أما المضمون التاريخى لكتاب ديو كاسيوس السادس والثمانين المفقود والذى اعده لنا مؤرخ القرن الحادى عشر الميلادى كسيفيلينوس Xiphilinus وأكمله مؤرخ القرن الثانى عشر الميلادى زوناراس Zonaras فهو صورة قاتمة ومصدر متحامل على الامبراطور وعصره ، ويكاد أن يكون على النقيض تماما منالاعمال التزلفية المتحيزة للامبراطور ، كذلك نجد مؤلفات ادبية معادية كتبها اليهود ضد عدوهم الامبراطور تراجانوس متمثلة فى المشنة Mishna (٢) والتلمود وغيرها وهذه ايضا لا يمكن الاعتماد عليها لأنها مصادر

---

1 - Tacitus Agricola 3 , Historiae I ,I , Annales , 4 , 33 .

٢ - المشلة : مجموعة من من الفتاوى والنصائح والتفسيرات التى وضعها اليهود كروح للتلمود جمعها الحبر الاعظم يهوذا حاناسى الملقب بالأمير فى مطلع القرن الثالث الميلادى والذى كان على علاقة طيبة مع الامبراطور كاركالا (٢١١ - ٢١٧) ميلادية . وكان حاناسى يلعب دور الكاهن الأعظم وزعيم اليهود فى فلسطين .

بعيدة عن درجة القطع والصدق للحدث التاريخى .

وأمام ذلك فإننا نلاحظ أن المصادر الأدبية عن سيرة اعظم الاباطرة جميعا عاجزة عن تقديم الحقيقة المحايده ، لأنها اما متحيزة له بشكل ملفت اومعادية له بصورة قاتمة . أو تخلوا عن الواقعية المصدرية .

وعلى ذلك فإن المؤرخون يلجأون فى كثير من الأحيان الى المصادر غير الأدبية المتمثلة فى المصادر تاوثائقية مثل النقوش وأوراق البردى والنقود وقطع الشقافات وقد ساهمت مصر فى ذلك بالنصيب الأكبر ، كما يلجأ المؤرخون الى الآثار خاصة عمود تراجانوس الشهير الذى بناه الامبراطور فى روما والمصور بمناظر عن حياة الامبراطور وفتوحاته ، وكذلك الى قوس النصر الذى اقامه الامبراطور فى بينيفينتوم Beneventum فى ايطاليا احتفاء بانتصاراته وفتوحاته فى الشرق . وعن طريق مقارنة المصادر الادبية ومواجهة بعضها بالبعض ، ثم الاستدلال بالمصادر الأثرية المصورة او المكتوبة يمكن للمؤرخ فى النهاية ان يتلمس طريقة ليرسم صورة حقيقية محايدة عن الامبراطور تراجانوس خلال فترة حياته .

حياة الامبراطور تراجان :

يرجع أصل الامبراطور تراجانوس الى أصول غير رومانية ، فقد كان من سكان ولايات الامبراطورية ، وبالتحديد من مواليد مقاطعه ايتاليكا Italica التابعة لولاية بايتيكا Baetica فى جنوب اسبانيا ، وكانت هذه المقاطعه غنية بمواردها الطبيعية وهناك عاشت اسرته منذ اجيال بعيدة ، وكان منها اعضاء بارزين شغلوا مناصب عليا فى الامبراطورية ، كما كان تراجانوس فخورا بأبيه الذى كرمه الامبراطور فسباسيانوس بضمه الى عضوية السناتو والى رجال الطبقة الأرستقراطية . كما أوكل اليه العديد من المناصب الهامة من القنصلية وقيادة قوات الجبهة الشرقية فى سوريا ، وتولى حكم ولاية وغير ذلك من المناصب القيادية التى جعلت من الابن يفخر بوالده .

ولقد تقلد تراجانوس العديد من المناصب قبل أن يختاره الامبراطور نرفا ويتبناه ويشركه معه فى الحكم كولى للعهد . فقد كان تاريخه العسكرى فى عهد فسباسياتوس وابنه دوميتيانوس مشرفا للغاية خاصة فى جبهتى الراين والدانوب وفى سوريا وأسبانيا ، كما تولى حكم ولاية جرمانيا الجنوبية فى عهد نرفا حيث حقق انتصارات باهرة اهلته للحصول على لقب " جرمانيكوس " أى بطل المانيا وقاهرها ، ومن ثم اختار نرفا رجلا عسكريا صارما ، صريحا وحازما ، وقد اثبتت الأحداث حسن الاختيار وأبرزت مدى قدرة تراجانوس على تحمل المسؤلية ، والتفانى فى أداء واجبه على خير وجه وفى احسن صورة خاصة فى مجال التنظيم والإدارة ونظم الحكم .

ولا شك أن وصول تراجانوس الى العرش كان بداية لإنتهاء صراعات سيادة اثرياء الايطاليين والرومان واحتكارهم للوظائف العليا فى الامبراطورية ، وبداية تولى طبقة من النبلاء والأعيان القادمين من الولايات الغربية – الوظائف القيادية فى الامبراطورية ، وكان هؤلاء اكثر الناس تفهما لعقلية شعوب الولايات ومشاكلهم ، ولهذا يعتبر عصرهم عصر الإزدهار الذهبى لولايات الأمبراطورية وشعوبها المختلفة .

وفى ضوء التكتيك العسكرى فلقد أمضى تراجانوس عامين بعد موت ترفا منهمكا فى تحصين خطوط الدفاع فى جبهتى الراين والدانوب تاركا السناتو والشعب فى انتظار وصوله الى روما لتولى مقاليد الحكم رسميا وهذا دعم من شعبيته الجماهيرية ، فضلا عن قوة شخصيته ومظهره الذى يوصى بالوقار والجدية ، فقد كان طويل القامة ، صارم الملامح ، يغطى رأسه الشعر الأبيض . قضى عمره فى المعارك بين الجنود مما جعله يختلف عن غيره من الأباطرة الذين سبقوه فى مجال الخبرة العسكرية .

سياسة تراجانوس تجاه مجلس الشيوخ (السناتو) :

أما عن سياسته الداخلية فقد سلك تراجانوس مع السناتو سياسة الاحترام والتقدير وتعاون معه بشغف فى نفس الوقت الذى حظى فيه بحب الجماهير ، ولهذا منحه السناتو

لقب " أفضل الأباطرة " Optimus princeps وذلك فى عـام ١٠٠ ميلاديـة ، وقـد سك هذا اللقب على النقود الرومانية عـام ١٠٥ ميلادية لكنه لـم يصبح لقبـه الرسـمى الا فـى عـام ١١٥ ميلادية . وظللت ذاكـره لقرون عديدة موضع التقدير حتى أصبح مثلا وقدوة ، ففـى القرون التالية كان السناتو يكرم ويتملق الأباطرة بعبارة تقليدية تقول " يأسعد من أغسطس ويا اكفا من تراجانوس " Felicior Augusto , melior Triano (١) .

ومما يجدر بالملاحظة أن السناتو الذى تعامل معه تراجانوس كان يختلف تماما عن السناتو الذى تعامل معه الاباطرة المبكرين ، فقد قلمت اظافره واهينت كبرياؤه على ايدى نيرون ودوميتيانوس واضحى ضعيفا لا يملك حولا ولا قوة ، ولهذا رحبوا بـه واعتبروه امبراكورا خيرا من الأسوأ Melior pessimo princeps كما أن تركيب السناتو كان قد تغير تماما . ففى عهدى كلاوديوس وفيباسيانوس كان السناتو يضم عددا قليلا من أبناء الولايات أما فى عهد تراجانوس فقد أصبح أبناء الولايات يمثلون اكثر من ٤٠ ٪ تقريبا من المجلس ، كما أن عددا كبيرا منهم جاء من الولايات الشرقية بالذات ومن ثم أصبح السناتو مستأنسا وراغبا فى التعاون مع الامبراطور العاقل ، لقد كان تراجانوس جنرالا عسكريا من الدرجة الأولى . كما كان نشيطا ذا ضمير حى فى إدارة شئون الإمبراطورية ، ملمـا بكل بواطـن الامور الصغيرة والكبيرة فى جهازها . كما كان يتخذ القرارات الفورية بسرعة وفى الوقت المناسب ويتعامل مـع المواقف المختلفة بحزم وحسـم . فمثـلا وضـع الحـرس البرايتورى عند حده وجعله موضع الضبط والربط ، وراقبه بحذر ولم يعد هذا الحرس يتحكم فى حياة الأباطرة كما كان الحال قديما . كذلك لم يسمح تراجانوس للبـارزين والطموحين من أعضاء السناتو فى استغلال مناصبهم كما كانوا يفعلون أثنـاء حكم نيرفا عندما استغلوا كهولة الامبراطور وتسامحه وميلـه للمسالمة ، وطلب من مجلس السناتو محاكمة أمثال هؤلاء دون تدخل منه لأنه أعلن مرارا وتكرارا أنه يصدر حـكـمـا سـواء

1 - Cf. Ramo (P) Tra Janus , London 1996 .

بالإعدام أو النفى على أى عضو من الشيوخ ما لم يكن الحكم صادرا من المجلس ذاته . كما الغى كل احتفالات التاليه السابقة مما جعل السناتو والشعب الرومانى يثق فيه على نهج ما حدث لاوغسطس سالفا :

أعمال ترجانوس الإدارية :

أما عن اعمال ترجانوس فقد توجت بنمط انسانى حيث وسع من نظام المعونة الغذائية والرعاية التعليمية لأبناء الفقراء فى الاقاليم وجعل لها ادارة تحت اشراف رقباء الطرق نظرا لوقوع الشئون الإقتصادية فى اختصاصهم . كما قد للفلاحين المساعدات والسلفيات المالية نظير نسبة محددة من الفائدة وخصصت أرباح هذه السلفة لاعانة ابناء الفقراء والمعوزين من أبناء الاقاليم (١) كما منح ابناء الرومان الحق فى شراء القمح المسعر مثل الكبار تماما تشجيعا للأباء على الانجاب وزيادة تعداد السكان . لقد كان هدف تراجانوس من تقديم السلف الزراعية للفلاحين هو انعاش الزراعة فى ايطاليا وتشجيعها على منافسة النهضة الزراعية فى الولايات الرومانية الغربية ولهذا حظر الهجرة من ايطاليا وشجع اصلاح الأراضى فيها وتوطينها بالجنود المسرحين من مختلف الوحدات وخاصة ثورات الـ auxilia المساعدة .

ولقد عكست سياسة تراجانوس الحكيمة فى إدارة الولايات حيث كان يقوم بدراسة شئون الولايات جيدا ويتخذ قراره بحرص شديد ، كما كبح جماح المسؤلين الذين يسيئون شئون الإدارة ويستغلون ضعف الأباطرة فى التعدى على حقوق الناس مما سبب الخراب الإقتصادى لكثير من المناطق ، ومن ثم كان تراجانوس يبعث الى هذه المناطق امناء ماليين Curatores لمساعدة هذه المانطق على إصلاح أحوالها المالية . ومن أمثلة الولايات التى وقعت فريسة لخراب ولاية بيثينيا Bithynia فى آسيا الصغرى . وكانت قبل ذلك ولاية تابعة للسناتو ومن ثم سلمها السناتو راضيا الى الامبراطور ليتخذ ما يشاء من

---

1 - R. Hand, p .cit., P. 108.

قرارات من أجل اصلاح أحوالها المتدهورة : وعلى الفور عين الامبراطور تراجانوس صديقة الاديب الرومانى بلينيوس الاصغر ليتولى ادارتها ، ولحسن الحظ وصل الى ايدينا الكثير من المراسلات الخاصة بين الامبراطور وصديقه بلينوس والتى القت الضوء على تاريخ هذه الفترة كما سبق أن أشرنا ، وكان الامبراطور يحرص على كل رد أو استفسار يطلبه صديقه الاديب ويساعده فى ذلك موظفو الادارة والخبراء ويتخذ قراره بناء على سوابق قانونية ، أما اذا لم توجد سابقة فانه يتخذ قراره بناء على ما يمليه عليه عقله وحكمته وضميره الانسانى ، وقد ترك لنا بلينيوس عدة تساؤلات وجهها الى الامبراطور شملت نواحى متعددة من المشاكل المادية والمعنوية ابتداء من عادة التخلص من الاطفال الرضع عند الاغريق ، الى قضية اضطهاد المسيحيين وشكواه لتدهور الحمامات العامة والخاصة واخطار المجارى المكشوفة وما تسببه من أمراض مطالبا بسرعة الاصلاح ، لكن سياسة التدخل فى شئون المدن والمقاطعات الايطالية بهدف الاصلاح المالى والإدارى ورفع الظلم عن الناس خلق نوعا من الوصاية ووضع سابقة لمن خلفه من الاباطرة للتدخل فى الشئون المحلية للمقاطعات فكان بداية لتدهور الحكم المحلى والاعتماد على الحكومة المركزية قدر الإمكان .

ولا شك أن تراجانوس قد حرص على تحسين الطرق والجسور والموانئ فى الولايات الرومانية وبناء طرق جديدة لخدمة التجارة والجنود فى السلم والحرب واهمها الطريق الذى كان قائما على خليج العقبة (١) ، وأعاد حفر القناة التى كانت تربط بين النيل وخليج السويس كما أعاد تنظيم البريد Cursus Publicus وتعيين مشرف عليه من طبقة الفرسان Vehiculorum praefectus ، وأصبح استخدام الطريق من جانب كبار المسؤلين الرومان امرا عاديا فى عهده . وكان اهتمام الامبراطور بانعاش اقتصاد الامبراطورية

---

1 - Ef . Inscr . Lat . Sele no 5834 .

وتجميل العصمة كبيرا مما دفعه الى القيام بحركة بناء وتعمير كبرى ، فمثلا راح يحسن فى احوال الميناء الكبير فى اوستيا ويوسع من مرافقه ويعيد تشييد منشآته التى كان كلاوديوس قد بدأها ، وحيث كان القمح يخزن فيها . كما ساعد اصحاب المطاحن والمخابز على تحسين وسائلهم ، ومن ثم بدت روما تصبح مدينة ذات مركز اقتصادى هام وذات استراتيجية هامة .

كما اهتم تراجانوس بتجميل العاصمة فأقام ساحة جديدة Forum رائعة يحيط بها مرافق الحياة لعامة من اسواق ومخازن وحوانيت وفى سطها أقام عمودا ضخما زين برسومات تبين غزواته ضد أهل داكيا ، حيث يمكن التفرج عليه من شرفات المكتبات التى بناها من حوله ، ويعرف هذا العمود الشهير باسم عمود تراجانوس . كما أقام جسر المد الاحياء الفقيرة على الناحية الاخرى من التيبر بالمياه عرف باسم جسر مياه تراجانوس .

كما شجع الامبراطور اغنياء الاقاليم على الاقتداء بـه واقامة المنشآت بقصد تجميل مدنهم على نفقتهم الخاصة مساعدة منهم فى انعاش وتعمير الولايات ، وساد فى القرن الثانى الميلادى حركة تعمير أهلية فى كافة مدن الامبراطورية ، وتنافس الاغنياء فى كل مكان على بناء الحمامات وملاعب الرياضية والمسارح ومجارى المياه والمعابد وغيرها من المرافق العامه . لقد احسن تراجانوس معاملة سكان العاصمة فأقام لهم المهرجانات ابتهاجا بالمناسبات وانفق عليها ببذخ شديد لم يسبق له مثيل وقد ضرب المثل بعدد هذه الاعياد . فمثلا ظل مهرجان انتصاره على أهل داكيا قائما لمدة ماية وست وعشرين يوما (١) بكل وسائل التسلية والترفيه مثل المبارزات وصيد الوحوش وعروض السيرك

---

١ – عثر فى كوم ارشيم على عملة تذكارية صكت بمناسبة هذا الانتصار وقد ظهر النيل يحيى انتصار الامبراطور وفى نفس الوقت يظهر فى وثائق البردى لفظ بطل داكيا وبطل بارثيا :

Cf., Grenfell, Hunt and Hogarth : Fayum Towns and their papyri, London 1900. no : 47, P. 172.

والمسرح . هذا الى جانب إهتمامه الكبير بالعناية بوسائل التربية الرياضية وتنظيم المسابقات التى كانت تتقسم بروح المنافسة والإعداد المنتظم .

٣ - الامبراطور هادريانوس (١١٧ - ١٣٨م):

وعلى مسرح الاحداث السياسة لحكم روما وما أن وصلت الأنباء بأن تراجانوس قد مات حتى هتفت القوات الرومانية فى انطاكية بحياة هادريانوس قائدها الأعلى لمبراطور ، ثم صدق السناتو فى روما على قرار الجنود بعد بضعة أيام قليلة ومنحه السلطات التقليدية كما هو متبع ، لكن بعض الشائعات رواها لنا ديوكاسيوس (١) Dio Cassius افلوطينا Plotina ارملة تراجانوس دست وصية مزورة عن زوجها بتبنى هادريانوس وتولية العرش ويقول أنه لولا رضا افلوطينا لما تولى هادريانوس الحكم ، لكن هتاف الجنود به لمبراطور ثم تصديق السناتو على هذا القرار هما الأمر الأساسى الذى أتى بهادريانوس الى العرش وأضفى عليه الصفة الشرعية .

وبالبحث فى حياة الامبراطورهادريانوس نجد فى النقوش والوثائق البردية وقطع النقود والآثار معلومات قيمة بالإضافة الى المؤلفات التاريخية مثل تاريخ الأباطرة Historia Augusta وهو مؤلف يعطينا موجزا عن سيرة الأباطرة الرومان خلال القرنين الثانى والثالث الميلادى برغم ما تثيره من مشاكل وتعقيدات ، كذلك نجد تلميحات غير مباشرة الا انها كانت على قدر كبير من الماده الغزيرة للمؤرخ تاكيترس الذى لوح بها فى مضمون كثير من كتاباته .

1 - Dio Cassius ,LXIX , I .

ويلاحظ أن هادريانوس كان مثل سلفة تراجان - ينحدر من مستوطنة ايتاليكا الأسبانية بل قيل أن هادريانوس ولد فى مدينة روما عام ٧٦ ميلادية وفى سن العاشرة فقد هادريانوس والداه ، فانتقل الى العيش فى بيت تراجان - أقرب من بقى له من الأهل فرعاه ورباه (١) ولم يبخل عليه بالتعليم الـراقـى بعد أن ابدى الصبى ولعا شديدا بالثقافة والفنون الاغريقية وانكب عليها ينهل بنهم شديد حتى خرج وهو لا يرى العالم الرومانى الا من خلال منظار اغريقى ، ولهذا تهكم عليه المتطرفون من الرومان ولقبوه " بالمتأغرق " Graeculus وربما كان هادريان سعيدا بهذا اللقب لأنه يدين بالكثير للثقافة الاغريقية التى خلقت لديه فكرا راقيا وحكمة واتزانا ، عاملا بوصية افلاطون القديمة أن الأمور لن تستقر الا اذا اصبح الملك فليسوفا والفيلسوف ملكا كمثل يحتذى به .

كما كان يحرص على الحفاظ على لياقته الذهنية وفى نفس الوقت على لياقته الجسمانية عملا بالحكمة الرومانية القديمة بأن العقل السليم فى الجسم السليم , Mens Sana Corpore Sano ، فقد كان يتمتع بقامة ممشوقة ، ويتفجر حيوية وصحة ، وله لحية كثة تبعث على المهابة والوقار ، وكان رياضيا من الدرجة الأولى ، محبا للرحلات والتجول وكانت هوايته الأولى هى القنص ، كما كان جنديا بكل معانى الكلمة فقد تقلب فى مناصب الجيش المختلفة ، وكان يهوى حياة الجنود ، حتى بعد تولية العرش كان لا يزور مقاطعه الا ويبدأ بزيارة ثكنات الجيش وقضاء الوقت معهم مرتديا زى جندى بسيط ، ويصدر الأوامر والنصائح ويستعرض الأسلحة والخنادق حتى مطابخ الجنود كان يزورها ويفتش عليها ، وأحيانا كان يصحب الجنود فى مسيرات طويلة لتعويدهم على التحمل ، وكان يتقدمهم وهو يضع متاعه فوق ظهره ، مما جعل الجنود تحتذى به (٢) .

---

1 - Cf . B . W . Henderson : life and principate of Emperor Hadrian (117 - 138 (1) A . D) London 1923 , PP . 19 - 23 .

2 - Ibid , P . 24 . Hejhelcheim & yeo , op . cit., P . 355 FF .

ولقد تعددت مواهب هادريانوس حيث تقلب فى المناصب الإدارية والعسكرية ابتداء من نقيب الفرقة الى الكوايستورية ، ثم أصبح نقيبا للعامة ، وتولى البرايتورية القضائية ، ثم القنصلية . كما خدم فى كافة ولايات الامبراطورية مع الجيش الرومانى وشارك مع حروب تراجانوس فى بارثيا وداكيا ، وكان آخر منصب تولاه قبل موت تراجانوس هو حاكم سوريا وقائد القوات فيها وذلك فى عام ١١٧ م . وتشير المصادر الى ان فلوطينا زوجة تراجانوس هى التى اختارت له زوجته وهى فيبياسابينا Vibia Sabina حفيدة شقيقة تراجانوس المسماه ماركيانا Marciana وذلك لجعل الامبراطور وخليفته على اتصال وثيق ، وقد تم الزواج عام ١٠٠ ميلادية تحت مساعى ومباركة افلوطينا من أجل مستقبل هادريانوس ، وكانت فيبياسابينا امرأة ساحرة الجمال شديدة العبث ولم تكن على وفاق دائم مع هادريانوس ، وهى التى اصطحبته فى رحلته الى مصر عام ١٣٠ وسجلت اسمها على تمثالى ممنون بالأقصر مع وصيفتها جوليا بالبيلا Julia Baibilla التى كانت هى الأخرى ذات حظوة خاصة .

ولقد تعددة الأقاويل التى تلقى ظلال من الشك حول علاقة ترجانوس بهادريانوس قائلين أنها كانت متوترة بدليل أن تراجانوس لم يشرك هادريانوس فعليا معه فى الحكم مثلما فعل نرفا مع تراجانوس ، وأن الرجلين لم يكونا على اتفاق كامل ، حتى أنهم يشكون - كما سبق أن اشرنا - فى أمر التبنى الذى جاء فى آخر لحظة ، عندما كان تراجانوس يلفظ انفاثه الأخيرة ، ويرون أنه من صنع افلوطينا ، لكن سواء تمت الوصية أو لم تتم فأن قرار القوات الرومانية فى سوريا كان كافيا لتولى هادريانوس العرش (١) .

وأمام ما تقدم فإننا نلاحظ أن هادريانوس كان يتمتع بإحترام كبير بين قوات الجيش وبين جموع الشعب الرومانى وشعوب الولايات ، فقد كان تاريخه العسكرى مشرفا للغاية

---

1 - Heihel cheim and yeo , op . cit ., P . 355 FF .

ولهذا لقى قرار تعيينه ارتياح وترحيبا ولقد ورث هادريانوس تركه مثقلة عن سلفه تراجانوس صاحب سياسة التوسع والاندفاع العسكرى ، فقد كلفت هذه الحروب التوسعيه الاقتصاد كثيرا ، كما أهلكت جزءا كبيرا من القوة البشرية فى الامبراطورية ، كما أن هذه السياسة العدوانية أدت الى اندلاع الثورات المعادية من جانب بعض القوميات مثل ثورة اليهود التى اندلعت من قورينائية فى ليبيا وامتدت الى المغرب وقبرص ومصر وسوريا وفلسطين ، كما قامت ثورة بين الجرمان فى وادى الدانوب الأدنى وكذلك فى بريطانيا ، ولولا وقوف حفنة من كبار الضباط المتعاطفين مع الإمبراطور الجديد وعلى رأسهم القائد الفذ ماركيوس توربو Marcius Turbo الذى عينه هادريانوس قائدا اعلى للقوات بدلا من القائد المراكشى لوسيوس كويتوس Lusius Quietus لإنهارت الامبراطورية فوق رأس حاكمها .

سياسته الخارجية :-

أما فى ضوء السياسة الخارجية فقد قرر هادريانوس احداث تغيير شامل فيها لوقف النزف الاقتصادى والبشرى الذى اصاب الامبراطورية من جراء حروب تراجانوس التوسعيه ، فاصدر قرارا بوقف التوسع شرقى دجلة والفرات ، واصدر أوامره الى قواته بالانسحاب من ولايتى آشور Assyria وبلاد النهرين Mesopotamia اللتان كان تراجانوس قد ضمهما الى الامبراطورية ، كما أعاد أرمينيا الى وضعها القديم وهو الاستقلال الذاتى بشرط أن تسير فى فلك الامبراطورية ، كما عقد معاهدة سلام مع البارثيين ، كل هذا من أجل الدفاع عن حدود الامبراطورية وحمايتها ، وكان هذا سلوكا شجاعا من جانب هادريانوس فى وجه فريق العسكريين التوسعيين والذين كانوا يحملون بفتوحات جديدة ويرون فى تراجانوس الامبراطور الأمثل الذى يجب أن يحذر حذوه سائر الأباطرة ، وقد اعترض هؤلاء بشدة على سياسة هادريان المسالمة والدفاعية والتى تقوم على دعم ما هو واقع وتتفادى أى توسع أو تورط من شأنه أن يكلف الامبراطورية أكثر مما فى طاقتها أو فى حوزتها .

ولقد تعرض قرار هادريانوس لموجة شديدة من النقد على المستوى الشعبى وسرت الشائعات بأنه يعد للإنسحاب من داكيا تاركا الآلاف من المستوطنين الرومان لقدرهم ، وأنه أمر بتدمير الجسر الذى أقامه تراجانوس فوق نهر الدانوب ، ولكن هادريانوس لم يعبأ بهذه الموجه من النقد والتشنيع وتمسك بسياسته الواضحة التى لها سابقة فى تاريخ الامبراطورية وهى سياسة الامبراطور اغسطس نفسه التى وضعت حدا للتوسع ولــهـذا إتخذ لنفسه لقب هادريانوس اغسطس والذى ظهر على نقود عام ١٢٣ م والتى تصادف مرور ١٥٠ عاما على تاريخ الانعام بلقب اغسطس على اوكتافيانوس (عام ٢٧ ق . م) . وتشبها بسياسة الامبراطور اغسطس اطلق هادريانوس على سياسته اسم السلام الأوغسطى Pax Avgusta نسبة الى رائد الامبراطورية .

بيد ان احياء سياسة " السلام الرومانى " من جديد وهجر سياسة التوسع ، لم تعجب بعض كبار قادة الجيش من اتباع تراجانوس خاصة قائده المراكشى لوسيوس كويتوس Lusius Quietus الذى كان يحلم بفتوحات جديدة ويرى فى سياسة سيده الراحل النموذج الأمثل الذى يجب أن يحذو حذوه سائر الأباطرة ، ويعتبر سياسة هادريانوس المسالمة سياسة انهزاميه وتفريطا فى ممتلكات الشعب الرومانى . والحقيقة أن هادريانوس حاول أن يحتذى حذو الامبراطور اغسطس عندما هجر سياسة أبيه يوليوس قيصر التوسعيه واوجد " السلام الرومانى " الذى يقوم على دعم ما هو موجود ورفض أى توسع جديد من شأنه أن يرهق الامبراطورية ، وأن حدود الامبراطورية يجب أن تتكافئ مع مقدرتها الحربية والاقتصادية . ويبدو أن السناتو كان مقتنعا برأى هادريانوس الذى طبقه حتى قبل وصوله الى روما لتولى العرش ، وربما شجع غياب الامبراطور كبار القادة على التآمر لقلب نظام الحكم ولكن السناتو كان بالمرصاد لهؤلاء العسكريين التوسعيين وقدمهم الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى وصدر الحكم بإعدام لوسيوس كويتوس وثلاثة من رفاقه ، ولم ينتظر السناتو حتى وصول الامبراطور لكى يصدق على الحكم ، وتعجل تنفيذ الحكم فى غيابه بإعتباره الهيئة المسؤلة عن سلامة الامبراطورية فى غياب الامبراطور ، ويرى البعض أن هادريانوس لم يكن يرضى أن يبدأ حكمه بالإعدام والقتل وأنه كان يفضل العفو

عنهم لدعم مركزه ، بينما يرى البعض الآخر أن الامبراطور تعمد أن يتلكأ فى العودة لحين أن ينتهى السناتو من دور الجلاد بالنسبة له ، وأن تنصله من مسؤلية اعدام الجنرالات الأربعة ليس الا وخداعا ومراوغة ومكراً (١) .

وبتغيير الاوضاع هدأت العاصفة وطبق الامبراطور سياسته واعدم قادة التوسعيين ، بدأ الركب الامبراطورى يسير الى روما بعد أن توقف فى بيزنطه ونيقوميديا حيث زار حدود الامبراطورية عند الدانوب ، وفى صيف عام ١١٨ ميلادية وصل هادريانوس الى روما لتولى العرش رسميا وبصفة شرعية .

وبعد بضعة أيام ظهر الامبراطور بقامته القائمة ولحيته ذات المهابة والوقار ووقف فى السناتو يعلن عدم مسئوليته عن اعدام القادة ويقسم أمام الأعضاء أنه لن يسمح بإعدام أى عضو من أعضاء السناتو مستقبلا الا اذا صدر عليه حكم بذلك من السناتو ذاته ، وبالفعل نفذ هادريانوس وعده ، كما قام هادريانوس بحركة دبلوماسية ذكية وهى أنه قدم اعتذاره للسناتو لقبوله تولى السلطة ومهام الامبراطورية فور اعلان الجيش وقبل موافقة السناتو عليها ، ثم اتخذ مكانه فى السناتو كأى عضو عادى ، وبذلك كسب تأييد السناتو ورضاه مضيفاً الى رصيده نقطة ثمينه الى حكمه (٢) .

ولقد اجزل العطاء الى الشعب الرومانى من خلال مضاعفة الهبة المالية Congiarium , أو النفحة الامبراطورية التى كانت تمنح فى المناسبات للفقراء ، وأكثر من هذا أعلن تنازل الامبراطورية عن الديون المتأخرة على الناس من الضرائب ، وليوكد للناس صدق قراره أمر بحرق الدفاتر والسجلات الضريبية فى احتفال مهيب فى الفورم الرومانى ، وقد بلغ حجم الديون عن الفلاحين فى ايطاليا وسائر الولايات ٩٠٠ مليون سستركيس رومانى (ما يقرب من خمسين مليون دولار امريكى بالتقدير الحديث) ، ثم

---

1 - Cf. O. C. D., Hadrianus - ff.

2 - Cf., Ramow (L). Hadrianus, London 1993, PP. 33 - ff.

أعلن دعمه لصندوق الاعانة والرعاية للفقراء وطبق عليهم الرعاية الطبية والتعليمية . حرر المعدمين من العوز والحاجة تحت شعار " الحرية المستعادة Libertas restituta " ، وقد اكسب هذا القرار الامبراطور شعبية كبيرة خاصة فى الولايات التى عصرها التفقر والاستغلال الرومانى مثل مصر (١) وآسيا الصغرى بصفة خاصة .

وفى ضوء تلك الأحداث فقد ساعدت الفترة التى خدمها الامبراطور تحت قيادة تراجانوس فى تفهمه للمشاكل الإقتصادية والإجتماعية ، وأدرك هادريانوس أن قدرة الاقتصاد الرومانى لا تسمح بفتوحات توسعية جديدة كالتى قام بها تراجانوس ، ويقال أن قلق الامبراطور كان فلسفيا ايضاً لأنه كان لا يريد الانفتاح حضاريا على الشعوب الشرقية حتى لا يؤثر ذلك على الحضارة الهللينية وصورتها الرومانية ، وحتى لا تتلوث بحضارات وعقائد وأفكار أجنبية لأن هادريانوس كان شديد الحرص على نقاء الحضارة الهللينية ، ولهذا رأى أن تعكف روما على تقوية اقتصادها لكى تنتعش ثقافتها وغنونها بإعتبارها الوريث الوحيد للحضارة الهللينية (٢) ، ومن المعروف أن هادريانوس يحكم

---

١ - عن بساطه وعصاميه الامبراطور راجع البردية التى عثر عليها فى أم الاثل (باخياس بالفيوم) والتى يعتقد العلماء أنها موضوع انشاء تلميذ مدرسة تخيل نفسه الامبراطور هادريان يكتب خطابا لحليفته يتحدث فيها بلهجة شاعرية فلسفية روحانية . (راجع)

Grenfell & Hunt & Hobarth , op . cit ., no XIX , P . 212 .

كذلك انظر مصر الفراعنة تأليف سير الن جاردنر - ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل ومراجعه د. عبد المنعم أبو بكر - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣ ص ١٥١ .

٢ - ازدهرت الفنون فى عهده لدرجة أصبحت هناك مدرسة متميزة للفن فى عصر :

Ef . J. Toynbee : The Hadrianic School A chapler in the history of Greek Art , Cambridge University Press . (1934) PP . XXI .

تعليمه كان عاشقا لهذه الحضارة متيما بأفكارها مدركا لرسالتها وأهميتها فى توحيد الفكر العالمى الرومانى ، ومن ثم نظر الى الأمور نظرة عالمية وليس من زاوية المصالح الرومانية السطحية (١) .

هادريان يزور ولايات الشرق الأوسط ومصر :

ولقد كانت لزيارات هادريان للولايات وخاصة بمنطقة الشرق الأوسط أثر كبير فى استقرار توطيد أمن واستقرار الامبراطورية وخاصة آسيا الصغرى ثم سوريا التى كان حاكما عليها قبل تولية العرش ، ثم زار فلسطين ود خل بيت المقدس (مدينة اورشليم) حيث وجد المدينة اطلال مهجورة ووجد معبد سليمان تسكنه الثعالب ووجد اليهود مشردين ومحرما عليهم الاقتراب من هيكل سليمان ، ومن ثم خطرت لهادرينتوس فكرة وهى أن يعيد بناء اورشليم من جديد على الطراز الرومانى وباسم رومانى جديد هد آيليا كابيتولينا Aelia Capitolina ويجعل فيها معبدا لرب الرومان جوبيتر الكابيتولينى Jupiter Capitolinus ويقوم فوق هيكل سليمان وقدس الاقداس وبذلك يجعل اورشليم مدينة مختلفة تماما عن نظرة اليهود ويحولها الى مستعمرة رومانية خالصة ، كما أعلن حظر ممارسة عادة الختان بين اليهود لأنه وصفها بأنها عادة بربرية غير انسانية ، وقد اثار هذان المشروعان ابشع حركة تمرد قادها اليهود على طول تاريخهم بعد سنوات قليلة من مغادرة الامبراطور للمنطة .

ولم يعبأ هادريانوس بما الحقه قراره بمشاعر اليهود فى فلسطين وأكمل تجواله فى الشرق بعبور حدود فلسطين الى مصر فى صحبة زوجته فيبيا سابينا ووصيفتها جوليا بالبيلا Julia Balbilla وغلامه المفضل انطينووس Antinous وكان شابا من اقليم بيثينيا فى آسيا الصغرى كان يرى فيه تجسيدا لكمال الاجسام الاغريقية ورشاقتها ، خاصة أن الامبراطور هادريانوس يتخيل نفسه بطلا اسطوريا مثل هرقل الذى كان يتخذ له صبيا

---

1 - Cf., H Stuart. The Roman Empire, Cambridgo (1945), P. 175 - 195.

أسيويا من بيثينيا ، والمعروف لنا أن هرقل كان يعتبر البطل الإغريقى القوى المدافع عن الحضارة الهللينية ضد انتقام الشعوب البربرية وبالتالى أراد هادريانوس أن يظهر بنفس الدور الذى قام به هرقل فظهر فى صحبة غلام أسيوى مثله ، على أى حال ابحر هادريانوس وزوجته وحاشيته الى الفرما راسا من فلسطين ، حيث وصل الى مصر فى مطلع خريف عام ١٣٠ ميلادية ، وقد سجلت عملة مدينة الاسكندرية الصادرة فى السنة الخامسة عشرة من حكم هادريانوس تلك الزيارة الامبراطورية ، ولما كان النيل فى ذروة فيضانه فقد اضطر الامبراطور الى الانتظار حتى مطلع الخريف ليقوم برحلته النيلية الى الأقصر وأسوان على نحو ما فعل جرمانيكوس منذ أكثر من قرن ، فقد كان محرما على هادريانوس بصفته فرعونا على المصريين أن يركب النيل أثناء الفيضان . وفى آخر خريف عام ١٣٠ بدأ اليخت الامبراطورية يتهادى على أمواج النيل حتى وصل الى طيبة القديمة وتفرج على معابدها وآثارها ووقف طويلا هو وزوجته سابينا أمام تمثالى ممنون فى البر الغربى من الأقصر ومتع سمعه بالنواح الذى قيل انهما كان يصدانه عند مطلع الشمس ، ولحسن الحظ ان بعض بطانه الامبراطور نحتوا أسماءهم فوق هذين التمثالين العملاقين ، كما نقشت الوصيفة جوليا بالبيلا بعضا من الاشعار باليونانية تخليدا لهذه الذكرى فى إطار شعرى ركيك (١) .

ولقد تملك الحزن هادريانوس نتيجة لتدهور الحضارة الإغريقية فى مصر وتغلب القومية المصرية عليها فنا ودينا وفكرا ، كما لاحظ أن عدد المدن الاغريقية فى مصر لا يتناسب ومساحة مصر وعدد الاغريق فيها والذين اضطروا الى العيش فى عواصم الاقاليم المصرية وفى الريف وسط جموع الفلاحين ومن ثم اصبحوا مصريين واكتسبوا الطابع المصرى ، فعدد المدن الاغريقية فى مصر ثلاثة هى الاسكندرية ونقراطيس فى الدلتا ،

---

1 - Cf., A et E Bernard (A . E) , Les Inscriptions grecques et Latines du Colosse de Memnon (paris 1960) PP . 15 - 24 .

ويطلمية فى سوهاج فى الصعيد ، كما ادراك أن مصر الوسطى وهى المساحة الممتدة من منف (ميت رهينة) حتى افروديتوبوليس (كوم شقاوبالقرب من طما محافظة سوهاج) خالية تماما من أى مدينة أغريقية كبرى ، ومثلما قلد تراجانوس الاسكندر فى فتوحاته قلد هادريانوس الاسكندرأيضا فى اقامتهللحواضر والمدن الاغريقية وأعطائها اسمه فقد بنى فى الجزء الاوروبى من تركيا عبر البسفور مدينة سماها مدينة هادريانوس Hadrianopolis لا تزال اطلال قائمة حتى اليوم ، كما بنى أيضا ضاحية بذلك الاسم فى مدينة أثينا ، وبالقطع جاء وهو يفكر فى بناء مدينة بنفس الاسم فى مصر ، غير أن الروايات روت أنه اثناء الرحاة النيلية وعندما كان ا خت الامبراطورى يتهادى قبالة قرية الشيخ عبادة (مركز ملوى محافظة المنيا) غرق الصبى انطينووس أثناء ملئه وعاء بالمياه لمولاه الامبراطور ، وقلد الامبراطور البطل الاغريقى الاسطورى هرقل فى حزنه عندما غرق فتاه هولاس فى ظروف مماثلة ، وحزن عليه بشدة مدعيا أنه أصبح مؤلما وكان الاغريق يقدسون ويعبدون الغرقى مثلما كان المصريون يفعلون ازاء غرقى النيل (١) ، ومن ثم وجد انصار مزج الحضارتين فى مصر فرصة لخلق ديانة مشتركة نواتها الفتى الغريق انطينووس الذى أصبح مثل اوزوريس تماما ، وهنا وجد هادريانوس فرصته فى اعلان بناء حاضرة أغريقية خالصة بالقرب من المكان الذى غرق فيه انطينوس وأطلق على هذه المدينة اسم أنطينوبوليس Antinoupolis ، وجعلها النموذج الأمثل للحواضر الاغريقية فى مصر (٢) واتخذ من دستور نقراطيس القديم لها دستورا لحب الامبراطور لكل ما هو عتيق من الحضارة الاغريقية ، ووطن فيها ما تبقى من

---

١ – راجع (سيد أحمد الناصرى) الاغريق وعبادة الغرقى فى مصر العصرين اليونانى والرومانى مجلة الجمعية المصرية لدرسات التاريخية – المجلد الثامن عشر ١٧١ ص ١ – ٢٠ .

2 - Bell (H . I) : Antinoopolis : A Hadrianic Foundation in Egypt Journel & Roman Studies XXX (1940) , PP 133 - 147 .

Cf ., Dudley , op . cit ., P . 199 - 202 .

العناصر الاغريقية التى لم تتمصـر خاصـة مـن اقليم اليوم اقرب الامـاكن مـن الحـاضرة الجديدة وشجع المستوطنين باعطائهم امتيازات مختلفة مثل الاعفاء من الضرائب وتوزيـع الأراضى وحق الزواج من المصريات ، وبنى للمدينة طريقا للقوافل يربط بينها وبين ميناء برينكى على البحر الأحمـر ليعطـى المدينـة مصـدرا اقتصاديـا دائمـا ، وقد ازدهرت هـذه المدينـة فـى العصـور المتـاخرة بـل عرفهاالمسـلمون باسـم مدينـة انصنـة ، كذلـك متـع هادرياتوس نفسـه بتفقد مدينـة الاسـكندرية الخـالدة والدخـول فـى محـاورات مـع فلاسفتها المقيمين فى الموسيون (دار الحكمة) بل يقال انه ضم الى عضوية الموسـيون اثنيـن مـن الفلاسفة المتجولين المشهورين وهما بوليمون اللاذقى وديونيسيوس الميليطى ، وقـد لاحـظ المتخصصـون فى الآثار السكندرية وجود موجة من الانعاش الفنـى الهللينـى خـلال وعقـب زيارة الامبراطور سواء على النقود او فى رسم اقنعة الموميات التى اشتهرت بها اللاهون والفيوم والروبيات بمصر الوسطى والتى لا يخلو متحف من متاحف الدنيا من نمـوذج لهـا كذلك لاحظ المتخصصـون فى دراسة الوثائق البردية بداية تطبيق نظام تقسيم الأراضـى فـى مصـر حسـب جودتها وتجديد الإيجارات حسب هذه الجـودة والتـى كـانت تتفـق مـع سياسـة الامـبراطور الاقتصاديـة التـى أصدرهـا عـام ١١٨ م(١) ، خاصـة فـى اقليـم الفيـوم وكـانت الضرائب قد تراكمـت فـى الصعيـد لمـدة خمس سنوات ، وفـى مصـر الوسـطى تراكمت الضرائب لمدة أربع سنوات ولمدة ثلاث سنوات فى الدلتا ، وربمـا أقـر الامـبراطور طلـب الإدارة الرومانية فى مصر الذى تقدمت بـع عقـب مـوت تراجـانوس مباشـرة بالسـماح لهـا بتطبيق نظام الأراضى حسب مناطق جودتها الزراعية ولا شك أن الغـاء الديـون المتـأخرة عن كواهل الفلاحين المصـريين بعث فى الناس الامل وانعش الإقتصـاد الذى قتلتـه الحـروب الأهلية المخربة بين الإغريق المصـريين وبين اليهود والتى دارت رحاها على طول الوادى ، وأدت الى نقص الأيدى العاملة بعد أن جند تراجانوس الفلاحيـن المصـريين فـى الميليشيـا الـتـى كونها لوقف هذه الحروب ، كما أن تخفيض الإيجارات أدى الى انعاش الزراعة فى

---

1 - Cf., Finley (M. I)., The Ancient Econommy, (J. R. S), Lxv, 1975, PP. 169 - ff.

مصر حتى أن البعض يلخص أعمال هادريانوس فى مصر بأنها ثورة زراعية وثقافية (١)

هادريانوس و ثورة اليهود فى فلسطين : –

وبمجرد دعودة هادريانوس الى روما من رحلته الى مصر حتى اندلعت ثورة اليهود فى فلسطين فى خريف عام ١٣٢ م ،حيث قام اليهود بأعمال تخريبية إرهابية فدائية ضد القوات الرومانية المعسكرة فى فلسطين وكان يقودها متطرف يهودى كان يدعى شيمون باركوخبا او شيمون بن النجمة ، على الفور ابحر هادريانوس الى سوريا ، وجمع الجيوش الرومانية من عدد من ولايات الشرق ، كما عين عليها الجنرال الرومانى الشهير يوليوس سيفيروس الذى استدعاه من قيادته فى بريطانيا ، واتبع سيفيروس نفس الاستراتيجية التى طبقها فسباسيانوس وتيتوس من قبل وهى عزل جيوب الثوار ومحاصرتها حتى المجاعة ثم تصفيتها بطريقة منظمة ، وقد بلغ عدد اليهود الذين لقوا حتفهم فى هذه الحرب ما يقرب مننصف مليون يهودى . وأسر ما يقرب من هذا العدد ، وبذلك تم سحق هذه الثورة عام ١٣٥ م بعد حرب استمرت عامين ، ودمرت اورشيلم وتحولت الى اطلال حيث تفرق اليهود هائمين على وجوههم بعضهم وصل الى الحجاز واليمن ومصر وعادت فلسطين الى حوذة الرومان . بينما بدأ تضاؤل اعداد اليهود تباعاً .

---

1 - Cf., Westermann, J. E. A. (1925) PP. 172 - 177 ;

– أمال الروبى : كرانيس كوم اوشيم دراسة اقتصادية واجتماعية فى العصر الرومانى – رسالة دكتوراة غير منشورة – أداب القاهرة ١٩٧٥ ص ٨ – ٨١ وما بعدها.

الإهتمام بتأمين حدود الامبراطورية :

لا شك أن سياسة هادريانوس الخارجية قد انطوت اساسا على تأمين حدود الامبراطورية – خاصة وأن ذلك جعل من سياسته الإقتصادية لها نمط توجهي لدعم موارد الامبراطورية مما دفعه الى الحفاظ على بعضها والانسحاب من بعضها . ضرورة حتمية لانقاذ اقتصاديات الامبراطورية ، لكن ذلك لم يكن تراخيا أو اهمالا لحدود وممتلكات الشعب الرومانى ، فقد حظى الجيش فى عهد هادريانوس بإحترام كبير وأصبحت قوة روما مرهوبة الجانب تخشاها أمم الأرض جميعا ، وأصبحت حدودها قوية محصنة ، فقد كان هادريانوس أول امبراطور رومانى يطبق خطة دفاعية منظمة لاقامة الحصون والأسوار والخنادق الدفاعية مثل حائط هادريانوس الشهيرة التى أشرنا اليها فى شمال بريطانيا . وقد لقيت الحدود الالمانية بالذات معظم اهتمامه اذ بنى فيها عددا من القلاع والأسوار ذات الأبراج المحصنة والبوابات الكبيرة وبذلك احاط الامبراطورية بسيلج دفاعى حقق الامن والسلام لشعوبها من هجوم البرابرة ، بل أصبحت هذه القلاع والحاميات على الحدود تشكل مناطق لجمع المكوس والجمارك ولضبط حركة التجارة بين الامبراطورية والشعوب الاخرى فى منظومه اقتصادية موجهة لصالح اقتصاد الامبراطورية .

اصلاحات هادريانوس :

أ – فى الناحية العسكرية :-

عمل هادريانوس على وضع ملامح جديدة للسياسة العسكرية ، حيث ادخل برنامجا اصلاحيا شمل الضبط والربط والتجنيد والتدريب واستراتيجية المعارك وتكتيك القتال لقد كان هادريانوس يعبد الضبط والربط العسكرى وسبق أن ذكرنا حبه لثكنات الجنود التى كان دائم الزيارة لها بل قيادته للجنود فى تمرينات المشى الطويل وهو يرتدى زى جندى عادى ويحمل متاعه مثلهم فوق ظهره ، وكان لا يترك جزاءا من الثكنات الا وزارها وأعطى اوامره الفورية اللازمة بخصوصها ولذا التف الجيش حوله فى ولاء واخلاص ،

وأصبح محبا للنظام والطاعة ، وعلى درجة عالية من اللياقة القتالية والاستعداد الهجومى والتكتيك العسكرى (١) .

ولقد تناولت تلك المتغيرات التى اجراها هادريانوس فى المجال العسكرى ازالته للفروق بين القوات الرومانية النظامية المعروفة باسم الفرق Legiones ، وبين القوات المساعدة auxilia التى كانت تتكون من الحلفاء الاجانب ، فى مجالات التدريب والتسليح والتشكيل ، ولأول مرة لم يعد المواطنون الرومان ينضمون الى الفرق فقط والجانب للقوات المساعدة فقط ، بل أصبح هناك مواطنون رومان يخدمون فى القوات المساعدة واجانب يخدمون فى الفرق الرومانية . وقد حرص هـ ريانوس على تحريك الجيوش لتكون بالقرب من أطلاف الحدود وأبعادها عن المنادلق الداخلية ، وكان دائم الحث للشباب للانضمام الى صفوف الجيش عن طريق تعميق الاحساس بالوطنية والواجب وعن طريق اغرائهم يتوطينهم فى مستوطنات عسكرية دائمة على الحدود وذلك بعد التسريح من الخدمة ، وقد نجح بالفعل فى تجنيد اعداد كبيرة من سكان مناطق الحدود ، وكان أغلبهم من أبناء الجنود الذين ولدوا بالقرب من المعسكرات أثناء الخدمة ، ومن ثم منح هادريانوس هؤلاء حق " وراثة الاب " وكان هذا الحق محرما عليهم قبل ذلك . وقد شجع هذا القرار المزيد من أبناء الجنود على الإنضمام الى جيوش الحدود الرومانية طمعا فى تلك الامتيازات .

أما عن الحاميات العسكرية فيلاحظ أن القوات المساعدة التى عسكرت فى القلاع والابراج على طول حدود الامبراطورية خاصة فى جبهتى الراين والدانوب أسس هادريانوس قوات جديدة اطلق عليها اسم " الفئات " numeri وذلك من القوميات المختلفة التى تتكون منها شعوب الامبراطورية مثل الجرمان وسكان الدانوب ومن البريطانيين

---

1 - Cf ., saxer (R) , untersuchungen zu en Vexillationem des Roemischen Kaiserheerres von Augustus bis Diolkletian , (E . S .,) I , kleon , Boehlau , 1967 , P . 133 f .

ومن المراكشيين ، وكانت كل قومية من هذه القوميات تشكل قوة Numeri وتقاتل بروح الجماعة وبطريقتها الخاصة ، وترك لتكل منها حرية استخدام لغتها القومية واسلحتها المحلية ، وكانت كل قوة تشكل مجموعة متحركة وخفيفة السلاح والحركة أشبه بالقوات الخاصة فى الجيوش الحديثة ، وتتكون كل قوة من مجموعة المشاة أو مجموعة من الخيالة أو من المجموعتين معا ، كما شمل بعضها جماعات الاستطلاع والاستكشاف exploratoios ، وفى بعض الأحيان كان يقود كل وحدة ضابط رومانى برتبة قائد مائة centurion ، وبالطبع كان لهذه القوات تأثير كبير فى حماية الحدود التى تعيش فى مناطقها أو بالقرب منها فضلا عن معرفتها الجيدة بطبيعة الأرض والعدو وسرعة حركتها وانتقالها بشكل سهل وميسر .

كما تناول هادريانوس مسألة التجديد فى فن التكتيك الحربى الذى ادخله وسارت على نهجه الجيوش الرومانية حتى مجئ ديوقلديانوس ، فكان احياء نظام الفيالق المقدونية القديمة phalanx عند الهجوم والدفاع ، فعند عمليات الهجوم تقوم القوات لمساعدة بمناوشة العدو وتجهيز ميدان المعركة لفيالق الفرقة الرومانية لتضرب ضربتها القاضية والنهائية ، وفى حالة صد الدفاع تتلقى القوات المساعدة الضربة من العدو وتستوعبها ثم تقوم فيالق الفرقة بأكالة الضربة الانتقامية للعدو بشكل تكتيكى منظم .

ولا شك أن هادريانوس قد عمل على خلق جيش دفاع وطنى متأهب للعمل فى اللحظة التى تصدر اليه الأوامر لكى يزود عن حدود الامبراطورية وسلامتها ويجعل المعتدين يفكرون الف مرة ومرة قبل التعدى على حدود الامبراطورية ، كما أن رعاية الامبراطور الخاصة لثكنات الجيوش وضربه المثل الأعلى للجندى جعل الروح المعنوية للجنود على درجة من العلو والنظام لم يسبق لها مثيل ، وحتى لا تفقد الجيوش عند الحدود لياقتها العسكرية أصدر أوامره بتحريم بناء الثكنات الفخمة البعيدة عن روح الجنود التقشفية ، كما حرم على الجنود العمل فى الزراعة أو التجارة وتكريس أنفسهم لشرف القتال حتى لا يفقدوا هذه اللياقة ويبقوا فى درجة عسكرية عالية متأهبة ، ورغم هذا لم يؤثر

هادريانوس سياسة التوسع العسكرى ، وانما كان هدفه جعل الجيش فى درجة الاستعداد والتأهب الدائم وفى حالة تسخين مستمر بقصد ارهاب العدو دون التورط فى حروب ، ففى عهده لم تقم جيوش الامبراطورية بأى حروب سوى الحرب ضد اليهود الباقين فى فلسطين وهى حرب فى جوهرها دفاعية وليست هجومية .

تنظيم الإدارة فى الولايات :

عرف هادريانوس بتعدد مواهبه وخاصة الإدارية حيث اكتسب خبرة كبيرة من خلال خبرة وقدرة السابقين منذ يوليوس قيصر (١) ، فكان يحاول دائما أن يستحوذ على كل شئ ، ويلم بكل شئ وفى نفس الوقت كان يخرج من أشد المعضلات واعقدها بالحل الناجح والأمثل . كما أن رحلاته الطويلة ومراسلاته مع كبار الموظفين فى الولايات جعلته يلم بقدر كبير بفن الإدارة فكان يعرف كل شئ عن كل ولاية وكان يرعى الشعوب مطبقا شعاره الذى رفعه وهو " مع الفقراء ضد الوجهاء ، مع المعوزين ضد الموسرين " humiliores contra honestiores , tenuiores contra potentiores فكانت قراراته الفورية التى اتخذها أثناء تفقده لشئون الولايات عادة من اجل الفقراء البسطاء ، ففى اثينا اصدر قرارابوقف تصدير زيت الزيتون حتى يحد من ارتفاع اسعاره ، كما وضع سعرا محددا للأسماك حماية للبسطاء من الناس من جنون الأسعار ، وفى آسيا الصغرى أعفى المدن من متاخرات الضرائب ، بل منح الاعانات المالية للمدن التى أصابتها الزلازل والكوارث الطبيعية ، وفى مصر خفض ايجارت ارض الامبراطورية بالنسبة لمزارعيها من الفلاحين وخفض الضرائب والغى المتأخرات ، كما أعاد تنظيم أنواع الأراضى وحدودها حسب جودتها وحدد الضرائب على ضوء ذلك . كما أعفى مزارعى الاقطاعات الامبراطورية فى مصر من الخدمة الالزامية التى كان يفرضها وكلاء الامبراطور الماليين conductores ، أو المشرفين على تحرير عقود الايجارات ، كما جعل مدة سريان عقود الايجار طويلة

1 - Cf., Andrew (L), Hadrianus , Scharacter , London 1993 , P . g f .

ومؤمنة حتى يطمئن المزارعين ويشجعهم على العمل بعد أن كانوا تحت رحمة هؤلاء المسؤلين ، فساعد ذلك المعدمين من الفلاحين على الاستقرار المالى .

أما فى ولايات افريقيا الشمالية فقد شجع الرومان على استيطان وتعمير الأراضى البور بزراعتها بحدائق الزيتون ، والغى الايجارات طوال المدة التى تكون أشجار الزيتون فى مرحلة قبل الانتاج ، ثم تبدأ الايجارات مخفضة وتزداد تدريجيا . كما أعطى هؤلاء المستوطنين الحق فى الاتصال به مباشرة اذا وقع عليهم ظلم اوضيم من وكلاء الامبراطورية الماليين أو جباة الضرائب الجشعين . ولذلك اصبح هادريانوس محبوبا من رعايا الامبراطورية الفقراء ويحظى عندهم بالحب والتقدير (١) .

أما فى مراحل الاستقرار الاخيرة فقد كان هادريانوس مولعا بالتعمير واقامة المدن المختلفة فى كل ارجاء الامبراطورية ، ووصل العمران والتحضر اقصى درجاته فى الولايات فى عهده ، وحول كثيرا من القرى التى قامت بالقرب من ثكنات ومعسكرات الجيوش الرومانية الى حواضر ومدن تتمتع بالاستقلال الذاتى ، ومن المدن التى أقامها هادريانوس فى الولايات مدينة هادريانوبوليس فى تراكيا (على الحدود البلغارية – التركية واسمها الآن ادريانوبوليس) ومدينة هاردياتوثيرا Hadrianuthera وستراتونيكا فى آسيا الصغرى ومدينة انطينوبوليس فى مصر ومستوطنة جوليا هادريانا افينيو (Colonia Julia Hadriana Avenio ومكانها الآن مدينة افينيون Avignon فى جنوب فرنسا) وغير ذلك الكثير فى ولايات الدانوب وفترات طويلة .

وأمام هذا النشر فى العمران والحضارة بقد ما نشر حقوق المواطنة الرومانية كمكافأة للشعوب التى تشربت تماما بالروح وبالثقافة الرومانية ، وهى سياسة رومانية سبق

---

1 - Cf., Westerman, G. E. A., 1925, PP. 172 - 177.

الاشـارة اليهـا عند الحديث عـن شـمال افريقيا وبـداهـا يوليوس قيصر وقلدها الامبراطوراغسطس ، وسار عليها الأباطرة خلال القرنين الأول والثانى الميلادى ، وكان أعلى مرحلة هى منح القاطعة أو الولاية درجة المستوطنة Colonia الرومانية حتى يتمتع سكانها بالجنسية الرومانية الكاملة بدلا من الحقوق اللاتينية اذا كانت المدينة او المقاطعة متحالفة مع روما Municipia ، فمثلا رفع هادريانوس بعض اجزاء ولاية شمال افريقيا وولاية داكيا من درجة المقاطعة المتحالفة Municipia الى درجة المستوطنة الكاملة Colonia .

ولقد انتهج هادريانوس نهجاً جديداً وهو منح الحقوق اللاتينية لأعضاء مجالس الشيوخ فى ولايات الامبراطورية (decuriones) وكبار الموظفين المحليين فيها ، وسماه الحقوق اللاتينية الكبرى (Latium Maius) أو المجال اللاتينى الأكبر . وكان هدفه هو تشجيع الوفاء للإمبراطورية فى الولايات بخلق جماعات رومانية الثقافة والحقوق حتى تتحول الامبراطورية الى امبراطورية عالمية وليست وقفا على الرومان والايطاليين فحسب .

اعادة تنظيم اجهزة الحكم:

ولما كان النظام disciplina بالنسبة لهادريانوس يكاد أن يكون مبدءا - فقد وجد الحاجة ماسة لإعادة بناء الجهاز الحكومى المركزى واختيار اكفأ العناصر للعمل به ، فقد وضع شروطا لاختيار هذه العناصر لا تكاد تختلف عن الشروط التى نضعها للموظفين فى عصورنا الحالية : مثل أن يكون الفرد كفئ وقادرا ومدربا ووفيا للامبراطور وللامبراطورية ، ومقابل ذلك زاد من الرواتب وأكثر من المكافآت التشجيعية لحثهم على العمل الدائم والخلاق .

كذلك نهج هادريانوس على نهج فسباسيانوس فى الاعتماد على رجال الفرسان لشغل المناصب العليا بدلا من المعتقين الذين كان يعتمد عليهم كلاوديوس واساءوا كثيرا الى الدولة حيث نشروا بذور الفساد والبيروقراطية ، لقد زاد هادريانوس من الاعتماد على طبقة الفرسان لادراكه مدى مهارتها العلمية والقيادية فى ادارة شئون الامبراطورية ، كما عين الفرسان فى رئاسة الدوواوين المركزية الأربعة التى لوجدها كلاوديوس وهى ديوان المراسلات (ab epistulis) ، وديوان المظالم a libellis وديوان المحاسبات (a rationibus) وديوان المعارف a studiis وتكريما لمديرى الدواوين كان ينعم عليهم بالألقاب الشرفية والفخرية مثل الرجل المبجل Vir egregius . والرجل الأكمل Vir perfectissimus والرجل الاسمى Vir eminentissimus وكانت هذه الألقاب قبل ذلك وقفا على قادة الحرس البرايتورى (١) فضلا عن ذلك أنشأ هادريانوس ديوانين جديدين لزيادة مشاركة الفرسان فى الادارة وتدعيما لسير العمل فى الامبراطورية وهما ديوان النقل والبريد Cursus Publicus وكان البريد قبل ذلك ليس له ادارة مركزية بل تكليف يقع على عاتق سكان المقاطعات الايطالية وشعوب ولايات الامبراطورية ، لكن هادريانوس جعله ديوانا مركزيا منظما وجعل على راسه رجلا من طبقة الفرسان بدرجة برايفكتوس Praefuectus Vehiculorum أى رئيس المركبات . أما الديوان الثانى فهو ديوان الضرائب المركزية الذى كان يرأسه أمين الخزانة Procurator والذى ينتشر رجاله ووكلاؤه فى كافة اجزاء الامبراطورية ، ومن التجديدات الإدارية والقانونية التى اوجدها هادريانوس وظيفة محامو الخزانة Fiscus Advocati لإقامة الدعاوى نيابة عن الخزانة العامة وديوان الضرائب ، واوكلت هذه الوظائف لرجال الفرسان الذين كانوا يشغلون وظائف عسكرية صغيرة ويريدون تغير مجال عملهم الى العمل الإدارى والتدرج فيه ، فكانت وظيفة محام الخزانة هى أولى درجات سلم الوظائف العليا بالنسبة لهؤلاء الفرسان المدنيين ، وهكذا فصل هادريانوس بين سلك الفرسان العسكريين وسلك الفرسان الإداريين ، وكان الأخيرون لا يشتركون فى القتال ولكن يقومون بالشئون الإدارية فى الولايات وفى داخل الثكنات التى

---

1 - Heihelcheim , op . cit ., P. 122 .

جعل لهم فيها ادارة خاصة وحدد لهم واجباتهم داخل القيادة ، وبذلك لأول مرة منذ عهد اغسطس عين فرسانا مدنيين بلا خبرة او تدريب عسكرى لتولى وظائف ادراية وكان هدف هادريانوس من ذلك جذب اصحاب الكفاءات والخبرات من غير العسكريين للمشاركة فى دعم اجهزة الحكم المختلفة .

ويلاحظ ان البعض كان ينتقد فكرة الفصل بين سلك الفرسان العسكريين والفرسان المدنيين لأنها خلقت قيادات عسكرية كبرى بلا خبرة مدنية او إدارية وجاهلين فى فن الحكم كما خلقت قيادات ادارية كبرى خبرة عسكرية و جاهلة بروح التعامل مع الجيوش والمواقف التى يتطلب فيها استخدام الجيوش . وكانت النتيجة هو المواجهة بين القيادات العسكرية والقيادات المدنية كما حدث فى القرن الثالث الميلادى عندما وجدت القيادات الإدارية العليا نفسها تحت رحمة القيادات العسكرية الجاهلة تماما بروح الإدارة المدنية مما ادى الى تولى سلسة من الاباطرة العسكريين الأجلاف الذين تدهورت على ايديهم الادارت المدنية . وهذا عجل بتدهور الامبراطورية الرومانية فيما بعد وكان أحد عوامل سقوطها .

كما عمل الامبراطور هادريانوس الى انشاء مجلس دائم للرئاسة Consilium principis يتكون من رؤساء الدواوين المختلفة وقادة الحرس البرايتورى ، والخبراء من الفقهاء والمشرعين ، وأصبح هذا المجلس هو الذى يرسم السياسة ويضع القرار بالنسبة للامبراطورية وللامبراطورية ، بل وأصبح هذا المجلس هو الهيئة التشريعية العليا التى تقترح على الامبراطور سن القوانين وتفسيرها ، بل وكان يتحول الى محكمة عليا لمحاكمة أعضاء السناتو وكبار قيادات الموظفين ، وأصبح هذا المجلس للامبراطور بمثابة مجلس سناتو خاص ، بل وكان يصحبه هذا المجلس حتى فى رحلاته ، ويقال فى تفسير نشأة هذا المجلس ، أن الامبراطور هادريانوس كان كثير الترحال والسفر لتفقد أمور الثكنات والولايات ومن ثم كان بعيدا عن مجلس السناتو وغير قادر على الاتصال به

او التفاهم معه ، ومن ثم كون هذا المجلس (١) Consilium الاستشاريون اساسا من الفقهاء والخبراء القانونيين من أمثال الفقيه سالفيوس يوليانوس Salvius Julianus الذى تطور التشريع الرومانى على يديه تطورا كبيرا ، وبدأ يأخذ الشكل الانسانى العالمى الذى اعطاه الخلود والبقاء حتى عصرنا الحديث وبشكل منتظم .

الاصلاحات التشريعية والقانونية :

ولقد حرص هادريانوس على تطبيق القوانين تطبيقا عادلا وانسانيا فى كل امور الدولة سواء فى مجال تخفيف الضرائب عن كواهل الناس وقت الأزمات الاقتصادية ، أو تجميد الأسعار اوتشجيع فلاحة الأراضى البور ، او رفع مستوى الرعاية والخدمة فى احياء العاصمة المكتظة بالفقراء والعبيد ، ولقد أصبحت اصلاحات هادريانوس فى مجال التشريع تراثا عاما للبشرية وقدوة لرجال القضاء فى كل مكان وزمان فمثلا جعل لفتاوى المشرعين والفقهاء responsa قوة القانون وملزمة للقضاء للأخذ بها عند نظر القضايا ، ولا يصبح القاضى حرا منها الا اذا تناقصت هذه الفتاوى مع بعضها البعض عندئذ يرجع القاضى الى ضميره ورايه لاصدار الحكم ، وقد جمع الامبراطور جستنيانوس الأول البيزنطى (٥٢٧ – ٥٦٥ م) هذه الفتاوى فى موسوعة قانونية Digesta نسبها الى نفسه هذا الى جانب كثير من الاعمال القانونية الهامة التى اثرت تاريخ الامبراطورية .

---

١ – أشار الأديب بلينيوس الاصغر الى حضورة لحدى لجتماعات هذا المجلس Epistulae , VI , 31 ، وعن موضوع الخلاف بين هادريانوس والسناتو حول المجلس الاستشارى انظر :

- Henderson , op . cit ,

كما كلف الامبراطور الفقيه سالفيوس يوليانوس باعادة مراجعه لوائح وتشريعات رجال القضاء البرايتورى Praetores ووضع لوائح ثابته لهم للسير عليها بقيت مستخدمة ومراعاة لقرون عديدة ، وخلصت التشريع الرومانى من العوائق والتناقضات القانونية التى لم يطلق هادريانوس على بقائها . وقد عرفت هذه اللائحة باسم اللائحة الدائمة edictum perpetuum بعد أن وافق السناتو والامبراطور عليها وبذلك أصبح التشريع ثابتا ومواده معروفه وواضحة . بل أعطى للمواطن الحق فى إقامة دعوى ضد قانون معين ومقاضاة الدولة ولذلك أصبح القانون العادل هو الحكم فى كل انحاء الامبراطورية وفى معظم الولايات .

واستنادا الى مبدأ التنظيم القضائى – فقد عمل هادريانوس على تسهيل فض القضايا المتكدسه أمام المحاكم البرايتورية وقسم ايطاليا – باستثناء روما – الى اربعة الوية قضائية - وجعل لكل لواء ادارة قانونية مستقلة يتراسها قاضى القضا Juridicus consularis الذى كان عادة من رجال السناتو الذين يختارهم الامبراطور ، وقد قصد بهذا التقسيم تحرير القضاء من احتكار مجلس السناتو الرومانى وادارته الانفرادية المطلقة لهذا الجهاز ووضع ايطاليا فى درجة معادلة ودون تمييز لسائر ولايات الامبراطورية أمام القضاء والعدل ، كما قصد بها نزع البساط من تحت اقدام السناتو الذى ساءت علاقته بالامبراطوربعد هذا القرار . كذلك زادت اهمية الامبراطور فى مجال التشريع وأصبحت قراراته (Constitutiones) مصدرا للقوانين بل لها صفة القوانين الملزمة . وكانت هذه القرارات ذات درجات مختلفة فهى اما مراسيم امبراطورية edicta يصدرها الامبراطرو بحق الامبريوم الذى يحمله ، او قرارات decreta يتخذها بعد نظر المشكلات ، او ردوده responsa على التساؤلات التى يبعث بها موظفوه ، او توجيهاته mandata الى الموظفين التابعين له وبذلك بدات ملامح التشريع الرومانى تأخذ الشكل الانسانى الخالد (١) .

---

1 - Heihelcheim , op . cit ., P .

هادريانوس ومجلس الشيوخ (السناتو) :

ولقد بدأت حياة هادريانوس فى الحكم بعلاقات طيبه بينه وبين مجلس الشيوخ (السناتو) السناتو باعتبارهذا المجلس من ناحية النظرية شريكا للامبراطور فى حكم الامبراطورية فعند وصول هادريانوس الى روما لتسلم الحكم اتخذ مكانة فى السناتو كعضو عادى ، ثم قدم اعتذاره لتولية السلطة بعد صدور المبايعة من الجيش مباشرة ودون انتظار موافقة المجلس ، ثم اقسم أنه لن يحاكم عضو من المجلس بتهمة الخيانة العظمى الا امام محكمة من السناتو ذاته وقد حافظ هادريانوس على وعده طوال مدة حكمه وبشكل ملحوظ .

بيد أن ملامح الخلاف بدأت تتجمع بين الامبراطور ومجلس الشيوخ السناتوحيث كان الامبراطور كثير الترحال والسفر وبذلك وجد السناتو نفسه معزولا بلا عمل ، كما أن احتضان الامبراطور لرجال الفرسان فى الادارة أثار حقد السناتو الدفين ضد رجال هذه الطبقة ، وزاد من الخلاف تكوين الامبراطور للمجلس الاستشارى Consilium الذى كان يتنقل مع الامبراطور ويرجع اليه فى المشورة ، زاد من احساس اعضاء المجلس بأنهم مهملين ولا يشاركون فى ادارة الامبراطورية . خاصة أن غالبية الخبراء والفقهاء القانونيين الذين كان يتكون منهم المجلس كانوا من طبقة الفرسان التى كان السناتو يحتقرها ، ثم كانت الضربة الكبيرة التى سحب الامبراطور بها البساط من تحت اقدام السناتو وهى تقسيم ايطاليا الى اربعة الوية قضائية يشرف عليها الامبراطور ويختار لكل منها رئيس قضائها ، وظل السناتو يقاوم هذا القرار وبالفعل نجح فى الضغط على خليفة الامبراطور هادريانوس وهو انطونينوس بيوس بأن يلغى هذا القرار ، لكن الامبراطور الفيلسون ماركوس اوريليوس عمله على اعادته للحكم مرة اخرى .

وأمام ما تقدم فيلاحظ ، برغم من أن الشعب الرومانى وشعوب الامبراطورية قدرت أعمال واصلاحات هادريانوس ، الا أن السناتو استاء فيما بعد من تصرفات الامبراطور الذى لم يستطع فهمه على الطلاق ، ومن ناحية اخرى احسن هادريانوس بجفوة وهوة واسعة تفصل بينه وبين هذا المجلس .

وقد زادت هوة الخلاف فى الايام الأخيرة لحكم الامبراطور عندما اصيب الامبراطور بمرض مؤلم مزمن جعله اقل صبرا فى تحمل مضايقات السناتو عند معالجة بعض الحساسيات التى كان يثيرها هذا المجلس ، لكن السناتو لم يفلح ابدا فى الحط من شأن هذا الامبراطور الواسع الادراك . والذى كان يعتمد على نفسه فى الالمام بكل الامور وفى اتخاذ القرار المناسب ، كما فشل لسناتو فى سبر اغوار نفسه ومعرفة ما يدور فى عقله ، ولهذا ادعوا فيما بعد بأنه كان مختل العقل والشعور .

٤ – الامبراطور انطونينوس بيوس (Antoninus Pius) (١٣٨ –١٦١ م) :

بموت هادريانوس أصبح خليفته المتبنى تيتوس اوريليوس انطونينوس امبراطورا ، وقد اظهر منذ أول لحظات تولية العرش وفاء شديدا لسلفة الراحل ، واصر فى شجاعة وعناد غريب أن ينتزع من السناتو المتمتع قرارا باعتبار هادريانوس الاها على غرار الأباطرة العظام ، وبسبب ذلك الاصرار كسب الامبراطور الجديد كنيته الخالدة بيوس Pius اى التقى ، ومن ثم عرف عند المؤرخين باسم انطونينوس بيوس تعبيرا عن تقواه تجاه هادريانوس وبسبب التزامه بالواجب وبالفضائل والشمائل الرومانية القديمة ، وقد دفعه وفاؤه ازاء هادريانوس أن يكرس وقتا ومجهودا كبيرا لإكمال ضريحه بحيث يتناسب مع مقامه كإمبراطور مؤله يعرف باسم هادريانوس المؤله .

Divus Hadrianus

حكم انطونينوس بيوس ثلاث وعشرين عاما مرت هادئة ، فقد كان الامبراطور هادئا وديعا فى حياته الخاصة والعامة ، لم يخرج ابدا عن سياسة هادريانوس ، بل سار على منوالها بوفاء عظيم ، فلم يحدث فى عهده حروب او ثورات فى أى جزء من أجزاء الامبراطورية الا نادرا .

كان انطونينوس بيوس ذا قامة فارغة . وطلعه بهية تنبئ بالوقار والتقوى . وكان رقيقا مهذبا فى معاملته للناس ذكيا . محبا للتبحر فى العلوم والمعرفة وخطيبا مفوها كما كان حازما مجدا فى عمله ، يكره الترف والتزلف ويعشق البساطة والصدق ، كما كان بعيدا كل البعد عن الكبرياء والغرور ، محبا للخير والعدل ، وقبل كلا شئ كان وديعا . ولهذا لم يكن له اعداء كثيرون ، بل احبه الجميع واخلصوا له .

ولد انطونينوس بيوس فى لانوفيوم Lanuvium احدى المدن اللاتينية القديمة ، وقد هاجرت اسرته من نيماوسوس Nemausus (نيميس Nimes فى بلاد الغال جنوب فرنسا) وكانت اسرته اسرة ارستقراطية عريقة تملك العديد من الضياع فى ايطاليا ، وقد احب انطونينوس ضيعته الواقعة فى لوريوم Lorium بإقليم كمبانيا النائى حبا شديدا ، وكان يقضى فيها معظم وقته يحيا حياة الريفى البسيط ، يطعم مواشيه وطيوره ويقيم المآدب لاصدقائه ، ويقطف الثمار والزهور بنفسه ، ويقضى وقت فراغه فى صيد الاسماك والقنص ، وكان بيته الريفى البسيط احب اليه من القصور الخرافية التى بناها هادريانوس ومن سبقه من الاباطرة .

ولقد تقلب انطونينوس فى سلك الوظائف العليا حتى وصل الى القنصلية التى تولاها للمرة الثانية فى عام ١٢٠ م ، ولكنه آثر بعد ذلك أن يعتزل الحياة السياسية ويعود الى ضيعته ليحيا حياة الرومان القدماء ولما تولى هادريانوس الحكم أخرجه من عزلته واختاره رئيسا لقضاة أحد الألوية القضائية الأربعة التى قسم اليها ايطاليا ، وفى عام ١٣٥ م عينه حاكما على ولاية آسيا الصغرى بدرجة بروقنصل ، ولقد أظهر انطونينوس خلال فترة

حكمه لأسيا الصغرى مواهبه وقدراته ونزاهته المطلقة ، وساعده على ذلك خبرته الطويلة فى مجال القضاء ، وتكريما له اختاره هادريانوس عضوا فى مجلس رئاسة الدولة . وقبل موته بقليل اختاره خليفة ووريثا له .

انطونينوس ومجلس الشيوخ (السناتو) :

رأينا كيف أن انطونينوس دخل فى دور التحدى مع السناتو بعد موت هادريانوس مباشرة عندما اصر على تأليهه اسوة بغيره من الاباطرة العظام ، بينما كان السناتو يصر على احلال اللعنة عليه ، بل والغاء كافة قراراته decrem وهذا يعنى الغاء قرار التبنى الذى جاء بأنطونينوس الى العرش ، لكن انطونينوس نجح فى عقد صفقة مع السناتو . وهى ان يوافق على منح الالقاب الربانية لهادريانوس مقابل أن يلغى قرار تقسيم ايطاليا الى أربعة الوية قضائية يقوم الامبراطور بإختيار كبار قضاتها بقصد ابعاد السناتو عن مجال التحكم فى القضاء فى ايطاليا والذى كان يحتكر مجلس السناتو منذ قديم الزمان ، وبالفعل أصدر انطونينوس قرارا بإعادة نظام القضاء الى ما كان عليه قبل صدور قرار هادريانوس ، واصدار العفو عن اعضاء السناتو الذى قبض عليهم هادريانوس فى ايامه الأخيرة وكانوا فى انتظار الموت .

وفى ضوء هذه الفقة نجح انطونينوس فى اعادة الثقة بينه وبين السناتو ، بل حرص على دعم هذه الثقة بإظهار احترامه لذلك المجلس واعتبار نفسه عضوا فيه قبل أن يكون امبراطورا ، ولذلك كان يحرص على حضور الجلسات ، ويستشير المجلس فى الكثير من المشاكل التى تواجهه ، كما كسب حب ورضاء السناتو بارساله المعونات المالية سرا لأسر اعضاء السناتو الفقراء ، ورفضه انزال ايطاليا من وضعها المتميز واعتبارها كغيرها من الولايات الاخرى فى الامبراطورية ، كما كان هادريانوس ينوى أن يفعل .

سياسته واعماله :

ولقد حرص انطونينوس بشكل قاطع على أن تأخذ العدالة مجراها وأن يسود القانون فى كل ربوع الامبراطورية ، كما حرص على دعم حدودها بإقامة الحصون والقلاع والموانع عند اطرافها حتى ينعم اهلها بالسلام والطمأنينه ، ومن أشهر هذه الموانع الحائط الكبير الذى بناه فى شمال بريطانيا ، والواقع الى الشمال من حائط هادريانوس بالإضافة الى عدد كبير من القلاع المحصنة والأبراج العالية فى المانيا ووادى الدانوب . وهى نفس السياسة التى بداها هادريانوس ومن بعده .

كما أدى تنظيم الجهاز المالى فى عصر هادريانوس الى الأستقرار الاقتصادى فىالامبراطورية ، وامتلأت الخزانة العامة بالأموال التى راح انطونينوس ينفق منها بلا تحفظ على التعمير والعمران وأعمال الخير والبر والرعاية الاجتماعية للفقراء ، وكانت الموانئ الايطالية اولى اهتمامه ، كما بنى الحمامات والمسارح وملاعب الرياضة والمكتبات العامة فى كثير من المدن الإيطالية المختلفة .

كما عمل على ارضاء اللمحتاجين والفقراء فى ايطاليا بدافع دعم صندوق الاعانة الاجتماعية والغذائية والصحية والتعليمية القديم ، وفتح فروع لها فى كافة الاقاليم الايطالية (١) وزيادة على ذلك فقد انشأ فى روما دارا لرعاية الفتيات اليتيمات والفقيرات تكريما لزوجته الوفية فاوستينا Faustina ، وقد أطلق على هذه المؤسسة الخيرية اسم فتيات فاوستينا puellae Faustinianne وهو اسم تناولته الاوساط الخيرية لفترة بعيده .

---

1 - Ef. Hands, op. cit., Pp. 110, 140 (2) ibidem P. 110, 140.

كما كانت لشعوب ورعايا الامبراطورية فى الولايات قدر من الرعاية لدى الامبراطور ، ففى عهده ازدهرت الطبقة الوسطى ونعمت بالعدل ورغم استمرار النزف الرومانى لاقتصاد هذه الشعوب ففى مصر مثلا ، اعتبر عصره عصرا مبارك الخيرات حيث اكتملت الدورة الدهرية فى عصره (وهى ١٤٦٠ سنة) فى عام ١٣٩ م وظهر الطائر الخرافى العنقاء phoenix لينهى الدورة القديمة ويبدا الدورة الجديدة ولذا ظهر العنقاء مصورا على عملة مدينة الاسكندرية عام ١٣٩ م ، وعبر الفلاحون المصريون عن رضاهم بالامبراطور المبارك فى نقوشهم وخلعوا عليه الالقاب الدينية المختلفة فقد ذاقوا لاول مرة طعم العدل وشعروا بحماية الامبراطور العادل ضد الموظفين المستغلين لهم بدون وجه حق ، لكنه لم يستطع أن يوقف النزف الاقتصادى للولايات واغلق عيناه تماما عن هذا الخراب الاقتصادى ، غير انه ابدى استعداد لمواساة الملايين من الشعوب بالنظر فى شكواها بحرص ضد المستغلين من الوسطاء والحكام (١) ، وفى ظروف معينة كان يخفض الضرائب او يلغيها مضطرا بسبب حدوث الكوارث الطبيعية خاصة فى ولاية آسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط .

وبالرغم من انفاقاته على رفاهية الايطاليين وعلى العمران فى الامبراطورية الا أن الاموال ظلت تتدفق على الخزانة وبلغ الفائض من الاموال عند موته الفين مليون سستركيس أو ما يعادل تقريبا ١٣٥ مليون دولار ذهبى (بالتقدير الاقتصادى الحديث) .

---

١ – يؤكد ذلك العثور على قصاصة بردية تسجل جزءا من محاكمة كاتب قرية مصرية بناء على دعوى اقامها أحد الفلاحين عليه وحقق فيها والى مصر فاليريوس بودايمون بنفسه وكان صديقا شخصيا للامبراطور انطونينوس ، وأمر بتغريم كاتب القرية والزامه برد تعويض للفلاح المصرى يعادل اربعة امثال ما صودر منه والوثيقة مورخة فى ١١ فبراير عام ١٤٣ م انظر :

William Linn Westermann" The praefect of Liturgist , J . E . A . Vol . 40 (1953) PP 0 107 - 111 .

تطورات التشريع الوضعي :

ان اعظم اعمال انطونينوس مساهماته الخلاقة فى مجال التشريع والقانون ، فقد احاط نفسه بأنبغ فقهاء التشريع والقانون وملأ بهم مجلس الدولة ، وأهم مشاهير هؤلاءالفقهاء سالفيوس يوليانوس الذى قام بوضع اصول لائحة ثابته للقضاء ، عرفت باسم اللائحة البرايتورية الدائمة ، كما كان لسالفيوس يوليانوس عدد من التلاميذ الفقهاء من أمثال فولوسيوس مايكيانوس Volusius Maecianus معلم الامبراطور ماركوس اوريليوس ومؤلف الموسوعة الكبرى عن الائتمان المالى Fidei Commissa فى ستة عشر مجلد وموسوعته عن القضاء العام De iudiciis publicis فى أربع عشرة مجلد ، ومن الجدير بالذكر أن فولوسيوس ما يكيانوس كانواليا على مصر عام ١٦٠ م فى أواخر عهد انطونينوس ، ومن بين اعلام القضاء والتشريع الذين ضمهم أنطونينوس الى بطانته سكستوس بومبونيوس واولبيوس ماركيللوس .

لقد كان أنطونينوس خبيرا بكا دقائق القانون وقواعد الفقه والتشريع وله مساهمات عظيمة فى التفسير والتوضيح خاصة فى قوانين الوصاية على القصر والأيتام وضمان حقوق هؤلاء الصغار من ظلم الأوصياء وقوانين عتق العبيد حيث شدد من العقوبات المفروضة على السادة الذين يعذبون عبيدهم أو يقتلوهم وبذلك تحققت دعوة الكلبيين بأن العبد انسان قبل أن يكون عبدا ، كما حارب أنطونينوس الجرائم بتشديد العقوبات عليها خاصة جرائم الخطف التى تفشت فى ايطاليا فى ذلك الوقت ، ومن مساهمات أنطونينوس فى القانون الرومانى تخفيفة العقوبات المفروضة على الهاربين من الجندية والجيش ، واطلاق سراح الأسرى الذين قضوا عشرة سنوات فى الأشغال الشاقة بالمناجم والمحاجر ، كما ألغى الحظر الذى فرضه هادريانوس على اليهود بخصوص ممارسة عادة الختان ، وحظر أى اضطهاد ضد المسيحيين ، ومن الطريف أن انطونينوس هو صاحب أشهر قواعد القضاء مثل " المتهم برئ الى أن تثبت ادانته " ومثل اذا تنازع القضاة حول الحكم يفسر ذلك لصالح المتهم " .

سياستة الداخلية والخارجية :

بالرغم من عشق انطونينوس للهدوء والسلام ، الا أنه لم يأل جهدا فى أن يضرب بشدة اذا لاح فى الأفق خطر او تمرد أو تعرضت حدود الامبراطورية لأى خطر ، فمثلا قام بردع المتمردين من القبائل فى بريطانيا وموريتانيا ، كما ردع البارثيين بقوة وأوقف تقدمهم فى أرمينيا ، فقضى على العديد من أعمال الشغب والتمرد ، لقد كان أنطونينوس رمز العظمة والقوة والمهابة للامبراطورية وفى عهد شدت سفارات الشعوب البعيدة رحالها الى روما طلبا للصداقة والسلام مع الرومان ، فجاءت سفارة من الصين وأخرى من باكتريا وثالثة من الهند ، وتردد اسمه فى بلدان وأقطار دول آسيا . بل لعب دور الحكم فى خلافات الممالك ، فعندما علم أن ملك بارثيا يستعد للاستيلاء على ارمينيا أنذرة فى رسالة جعلت الملك البارثى يهجر المشروع كله ، وكان يعيين الملوك ويختار الحكام ويتحكم فى حدود هذه الممالك . لقد كان حظ هذا الامبراطور التقى الوديع العادل حسنا ، اذ لم يستغل ضعفه ووداعته أحد من الطامعين فى الحكم فثار عليه ، لقد جنى انطونينوس ثمار سياسة تراجانوس العنيفة التوسعية ، وسياسة هادريانوس القائمة على القوة المتيقظة الرادعه لكن الوداعة وحدها لا تحمى الامبراطورية لأن السلام لا يقوم الا على القوة المتيقظة والرادعه كما كان الحال فى عصر هادريانوس . ولولا ذكرى تصرفات تراجانوس وهادريانوس لتحركت القبائل البربرية ضد الامبراطورية وزحفت على حدودها لسلبها مصادر خيراتها ، لكن الخوف جعلها تحجم عن ذلك . غير أن انطونينوس اعتمد على جنى ثمارمن سبقوه دون أن يساهم هو لمن بعده بشء فى دعم الوسائل الدفاعية للامبراطورية ، بل على العكس دفعه حرصه فى توفير الموال الى اهمال نفقات الدفاع فبدأ التراخى العسكرى ، وبدأ الضبط والربط الذى خلقه هادريانوس يضعف ، وبدأت صلابة القوات الرومانية تلين وتتدهور ، فى حين كان اعداؤها خارج حدودها يتهافتون على تعلم مزاياها العسكرية وتقليد تدريبات وتكتيكات قواتها ، أملا فى أن يرثوا بطشها يوما ما ، وعلى رأس هذه الشعوب الجرمان والعرب والهون والفرس . ومن ثم كان عصره هو بداية العد التنازلى للقوة والكفاءة الأسطورية للعسكرية الرومانية ، وبداية

عصر التراخي الذي أدى الى طمع اعداء الامبراطورية فيها .

لم يقلد أنطونينوس سلفة هادريانوس فى كثرة التحرك والقيام بزيارات طويلة لولايات الامبراطورية ، بل أثر أن يعتكف فى روما أو فى احسن الأحوال فى مزرعته فى لوريوم بسهل كمبانيا يدير منها شئون روما والمقاطعات الايطالية والولايات البعيدة وذلك من أجل توفير نفقات السفر الباهظة ، وكما قلنا كان من نتيجة حرص الامبراطور فى الانفاق أن توفر لدى الخزانه العامه أموال كثيرة استطاع أن ينفق منها بكرم من أجل رفاهية الشعب الرومانى ، فأقام له المهرجان الرياضية والترفيهية لتسليته ، وشيد له العديد من المرافق والمبانى والمنشئات ، واعفى غير القادرين من الضرائب المتأخرة ، لكن أعظم أعمال انطونينوس بيوس ، فرضه لروح القانون العادل الذى كان به مولعا ومتيما وخبيرا ، واصربشدة على أن تأخذ العدالة مجراها فى شتى الاجهزة الإدارية والمالية دون تحيز لاحد مهما كانت درجته الاجتماعية وبذلك أكد مبدأ المساواة المطلقة بين الناس أمام شريعة القانون ، فى نفس الوقت حرص على تطويره ليتماشى مع خدمة الانسان ورفاهية المجتمع ولذا اعتمد كما رأينا على اعلام الفقه والتشريع وهم الذين اعطوا للقانون الرومانى روحه ونصوصه التى نعرفها الأن والتى ورثته عنه الكثير من القوانين الحديثة والمعاصرة .

وفاة الامبراطور انطونينوس بيوس :

يلاحظ أن هادريانوس عندما اختار انطونينوس أرغم هذا الاخير عل تبنى فتى ايبانيا اسمه ماركوس أنيوس فيروس Marcus Annius Verus ، ومن الطريف أن انطونينوس كان متزوجا من عمة هذا الشاب واسمها فوستينا الكبرى Faustina والتى أصبحت الامبراطورة بعد تولى زوجها انطونينوس العرش ، وقد أصبح ماركوس أنيوس فيروس بعد تبنى أنطونينوس له يلقب باسم ماركوس اوريليوس Mareus Auielius .

وفى عام ١٣٩ م أنعم الامبراطور انطونينوس بيوس على خليفته ماركوس اوريليوس بلقب القيصر وكان ذلك بمثابة اعلانه خليفة له رسميا ، وفى عام ١٤٤ ميلادية زوجة من ابنته فارستينا الصغرى ، ثم ولاه القنصلية ثلاث مرات ، وفى عام ١٤٦ طلب من مجلس السناتو الموافقة على منح ولى العهد السلطة التربيونية والامبريوم ، وكان هذا اعلان بأنه شريك منذ تلك اللحظة فى الحكم وامبراطور فى الظل .

وفى أيامه الأخيرة احس انطونينوس بنتائج اهماله فى المجال العسكرى وفى اعداد وتطور وتدعيم القوات ، وأن رصيد أعمال تراجان وس وهادريانوس قد نفذ وأن جيش الامبراطورية الآن ليس بالقوة الرهيبة القادرة بإنزال الرعب فى قلوب الاعداء والطامعين (١) ، ويقال أنه وهو على فراش الموت فى ضيعته فى لوريوم فى مارس ١٦١ م راح يهذى ويزمجر وينتقد الاباطرة الذين سبقوه الى أن خمدت انفاسه .

٥ – الحكم المزدوج بين ماركوس اوريليوس ولوكيوس فيروس :

وبموت انطونينوس بيوس فى مارس عام ١٦١ ميلادية خلفه ماركوس اوريليوس فى الحال ، وفى صمت تولى عرش الامبراطورية .

لقد كان ماركوس اوريليوس Marcus Aurelius من أبرز وانبل اباطرة الامبراطورية ، فقد تربى فى كنف اسرة اسبانية ثرية مستنيره اعطته حقه فى التعليم خاصة فى الفلسفة التى عشقها هذا الامبراطور وتبحر فيها وأصبح من أبرز اعلام الفلاسفة الرواقيين .

---

١ – كان سر قوة الامبراطورية وسياسة السلام الرومانى تقوم على المبدا القائل اذا تردت ان تصنع السلام فاستعد للحرب .

Si pacem Facis bellum para .

ومن الواضح أن انطونينوس بيوس لم يلتزم به وهذا سر قلقه عندما اكتشف ذلك كان ماركوس اوريليوس رحيما ، خيرا ، متسامحا حتى شبهه البعض بالسيد المسيح فى أخلاقياته وسلوكه وحبه للمسالمة ، ولعل ماركوس اوريليوس رغم أنه لم يكن مسيحيا – قرا عن السيد المسيح وعرف شيئا عنه من المسيحيين الاول . فقد كانت المسيحية فى طريقها الى الانتشار والازدهار ابان القرن الثانى .

وقد اقبل ماركوس اوريليوس على الحكم بدافع الاحساس بالواجب وكاختيار لعزيمته فى التفانى فى المسئولية حسب تعاليم الفلسفة الرواقية ، وليس طمعا فيه لانه كان زاهدا عن متاع الدنيا (١) ، لكن حكمه قدر له أن يواجه اشد العدوان خطورة على حدود الامبراطورية من جانب الجرمان والبارثيين .

ولد ماركوس اوريليوس فى روما عام ١٢١ م لاسرة اسبانية ثرية وفى سن السادسة من عمره اجبر هادريانوس لوكيوس كومودوس فيروس على تبنيه ثم اجبر انطونينوس بيوس على تبنيه كخليفته من بعده .

ولقد اصر منذ الوهلة الاولى للحكم على ان يشرك معه اخاه المتبنى لوكيوس فيروس Lucius Verus فى تولى عرش الامبراطورية ويشاركه سلطاتها والقابها كاملة ، ولأول مرة يبدأ عهد جديد وهوالحكم المزدوج للامبراطورية واصبح يتولى عرشه امبراطوران كل يحمل لقب اغسطس .

---

1 - Cf. J. Romaine, Marc - Aurele, ou l'empereur de bonne volonte, paris 1968 . P 18 FF.

ويرى البعض أن هذا التجديد نابع من حب ماركوس اوريليوس الشديد لأسرته ورغبته فى تدعيم صلة الرحم ، بينما يرى آخرون أن صفاء ذهن الامبراطور جعله يؤمن أن الامبراطورية كانت فعلا فى حاجة الى اكثر من رجل من اجل النهوض بأعبائها والوصول بها الى المستوى اللائق فى الداخل والخارج . والدليل على ذلك أن دقلديانوس وصل الى نفس القرار من باب الوازع الدينى الخالص بعد ماية وثلاث وعشرين عاما .

لكن امل ماركوس اوريليوس قد خاب لأن لوكيوس فيروس كان متقاعسا ، ضعيفا ، يلهث وراء ملذاته ولهوه ، بالرغم من أنه كان شديد الاخلاص للامبراطور ملقيا عليه مسئولية الحكم وحده ، وقد حاول ماركوس اوريليوس بقدر الامكان تحريكه والافادة منه لصالح الامبراطورية ولكنه لم ينجح .

كان ماركوس اوريليوس فيلسوفا بطبيعته (١) ومريدا مخلصا للرواقية التى كان قد تلقى فى شبابه دروسها ، ومارس افكارها ، ولكن بغير تشدد اوتعصب . وقد تركت الافكار الرواقية بصماتها واضحة على تفكير الامبراطور وسلوكه الاجتماعى فكان دائم الرضى والقناعة فى وجه كل الأعاصير ، لا يفرح ولا يحزن بل يقبل الامور على ما هى عليه بنفس راضيه ، وقناعة نابعة من الايمان بالواجب وبالأمر الواقع .

لقد كان ماركوس اوريليوس دائم الرجوع الى ذاته والتأمل فيها ومن ثم جاء مؤلفه الشهير باللغة اليونانية لغة المثقفين والذى سماه مع الذات Ta eis heauton والذى ترجمه الرومان الى التأملات Meditationes وبالرغم من زهده وتجرده عن الطموح وجنون المجد فقد اقبل على حكم الامبراطورية بكفاءة منقطعه النظير ، دافعها الاحساس بالواجب الذى يقدسه الرواقيون ، ومن سخرية القدر أن الرجل الذى عبد السلام والمؤاخاة بين البشر لم يعط الفرصة لترجمة هذا الايمان الى حقيقة لأن الاخطار التى حاقت بالامبراطورية فرضت عليه القتال وهو كاره له من اجل حماية الامبراطورية من خطر الاعداء وهو جوهر الاحساس بالواجب .

---

١ – عثمان امين – الفلسفة الرواقية – القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١ ص ٢٥٦ – ٢٦٩ .

- Birley Marcus Aurelius , London Eyre and Spottiswoode , 1966 .

الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عهد الأباطرة الصالحين :

يعتبر ادوارد جبون الفترة (١) من موت دوميتيانوس حتى تولى كومودوس اسعد عصور التاريخ الرومانى – بل الانسانى – كله رخاء وازدهار . لقد عاشت الناس سعداء مؤمنه حياتها ، وكانت ولايات الامبراطورية ومقاطعات ايطاليا تنعم بالرخاء ، حيث قامت المبانى الفخمة والمزينة بكل أنواع المعمار والتى أقامها أصحابها الأثرياء على نفقاتهم الخاصة وهبطت الضرائب التى لم تكن تزيد على ١٠ ٪ من الدخل العام للفرد ، وكانت الحكومة المركزية كريمة مع المواطنين حريصة على رعايتهم ورضاهم . كان الأغنياء يسكنون " الفيللات " الريفية الجميلة المزينة بأروع فنون المعمار والنحت والرسم مما يدل على ارتفاع الذوق الحضارى والفكرى خلال تلك الفترة .

كان السناتو فى منتهى الرضا ، فالأباطرة الجالسون على العرش كانوا من خيرة العناصر ، محبوبين من عامة الشعب . وقبل كل شئ هم أعضاء صالحون فى السناتو . وبالتالى فقد حرص الأباطرة على احترام السناتو ومعاملته بالملاطفة والرقة وعرض الأمور عليه لأخذ رأيه فيها ، وقد أدى ذلك الى الصياع السناتو بدورة لارادة الامبراطور ومجاراة سياسته وارائه وبالتالى وجد نفسه اكثر اعتماداً على شخصية الامبراطور وقوته عن ذى قبل ، بينما بدأ موظفو الامبراطور ورجاله المخلصون يشغلون الوظائف العامه والحساسه فى الامبراطورية على حساب الوظائف الدستورية الرومانية والموجودة منذ أيام

---

1 - Cf., Gibbon Decline and Fall of the Roman Empire, 1899.

وقد ترجمة الى العربية : على محمد أبو درة وراجعه وقدم له محمد نجيب هاشم – دار الكتاب العربى ١٩٦٩ (فى اربعة اجزاء) .

الجمهورية . فضلا عن عنصر الاستمرارية فى سياسة الأباطرة الصالحين ، بعكس اباطرة القرن الأول الميلادى حيث اختلفت السياسة بإختلاف شخصية الامبراطورية وقدراته الفكرية والعقلية .

ولكن اعتماد حكومات الاقاليم فى نفقاتها على ما تتبرع به الحكومة المركزية ادى الى عواقب وخيمة ، فقد راحت سلطات الاقاليم تنفق الاموال ببذخ معتمدة على معونة الحكومة المركزية فى حالة إفلاس خزانتها المحلية . وهذا جعلها غير ملتزمة بمسؤلية معينة تجاه الامبراطورية . ومن العوامل ذات التأثير لمسئ اعتمادها فى نفقاتها على تبرعات الثرياء من ابنائها لمشروعاتها مما جعل بعضهم يسعى للحصول على وظائف حكومية صغيرة ذات رواتب ويهرب من المناصب الشرفية العليا خوفا من هول نفقاتها ولانها مكلفة ، ووجدت الامبراطورية نفسها فى بعض الأحيان تسعى الى فرض الوظائف بالقوة على الأعيان من ابناء الولايات وبهذا حرمت الاقاليم من خبرات اعيانها فى وقت كانت فى مسيس الحاجة اليهم لتطوير الأحوال فيها .

أن رخاء الاحوال عامة فى الامبراطورية فى القرن الثانى الميلادى لا يجعلنا نهمل حقيقة هامة وهى وجود تناقض كبير بين الطبقات الاجتماعية ، فبينما كانت الفيلات الفخمة والحالمة تنتشر فى الاقاليم كانت هناك الاحياء الشعبية القذرة فى المدن بسكانها الرعاع الكسالى والفضوليين ، والذين اعتبروا اصلاحات الاباطرة الادارية والتشريعية مثل مراقبة الاوصياء على القصر او الالزام بتسجيل المواليد فى دفاتر القيد لا لزوم له فى حياتهم الخاصة . ولكن بفضل الاباطرة الواعين الصالحين اصبح العالم الرومانى اكثر التزاما وأكثر احتراما للقوانين ، وأكثر ميلا الوضع الامور فى نصابها القانونى ، وبذلك تحول العام الى وقار وانضباط واعتزاز بالواجب بشكل لم يسبق له مثيل .

ازدهار الثقافة والعلوم الاغريقية والرومانية :

لقد خلفت لنا هذه الفترة المزدهرة من الامبراطورية الرومانيـة تراثا غنيـا مـن الادب الاغريقى والرومانى . فلقد ادى السلام والرخـاء الـى إنتشـار العلم والثقافة وحـب الفنـون الجميلة . ولقد أدى عشق بعض الأباطرة الـى الثقافة الإغريقيـة الى إزدهارهـا فـى رومـا ذاتها ، وكان النثر والبلاغة قمة الانتاج الأدبى المكتوب بالغريقية والذى غمر بلدان البحر الأبيض كلها ، أن الدليل على إزدهار اللغة والأدب الإغريقى فى هذه الفترة هو كثرة عـدد الكتاب والادباء الإغريق الذين ازدهروا فى هـذا العصـر ، ثـم الـى تفضيـل المسـيحية الـى استخدام اللغة اليونانية كلغة الاناجيل والكتابات المبكرة لهذه الديانة التوحيدية فـى مهدهـا . بل أن الامبراطور ماركوس اوريليوس نفسـه فضـل ان يكتـب بالإغريقيـة مؤلفـة الفلسـفى الشهير " الى الذات " Ta Eis heauton وقد ترجمـة الرومـان الـى اللاتينيـة تحـت عنـوان التأملات Maditationes .

ومـن أشـهر الأدبـاء الإغريـق فـى هـذه الفـترة الأديـب ايليـوس ارسـتيديس (Aelius Aristides ١١٧ – ١٩٠ ميلادية) والذى الف خمسة وخمسين كتابا فى البلاغة والخطابـة . ومـن بيـن هـذه الخطـب البلاغيـة واحـدة جعـل موضوعهـا عظمـة رومـا ابـان حكـم الامبراطورانطونينوس بيوس ، وفيها وصف الامبراطورية بأنها اتحاد مدن تتزعمه رومـا ، وقـد تلقـى أرسـتيديس تعليمـه علـى يـدى الخطيـب الأثينـى الشـهير هـيروديس اتيكـوس Herodes Atticus (١٠١ – ١١٧ م) والذى عرف بثرائه (١) وتبنيه للمشروعات الأدبيـة والفنيـة فضـلا عـن عبقريتـه . وقبـل ذلـك بقليـل لمـع اسـم الأديـب والمـؤرخ ديـو كروسوستوموس " ذو الفم الذهبى " Dio Chrysostomos (٥٠ – ١١٥ م) الـذى كـان صديقا لنرفا وتراجان والذى ترك لنا مجموعة من الخطب قلد فيها اسـلوب افـلاطـون

---

1 - P . Grandor : Un milliardaire antique , Herode Atticus et sa Famille , (Cairo 1930) .

وديموستنيس وهى عبارة عن مقالات قصيرة ذات موضوعات سياسية وأخلاقية .

ومن أشهر المؤرخين الاغريق الذين عاشوا ابان تلك الفترة بلوتارخوس (٤٦ - ١٢٠ م) وكان رجلا مرموقا جاء من مدينة خايرونيا الشهيرة فى شمال اليونان حيث خلف تراثا غنيا فى الادب التعليمى ، يهدف الى مساعدة الناس فى الوصول الى حياة أفضل ، وكان بلوتارخوس معلما لولى العهد هادريانوس فى عهد الامبراطور تراجان الذى انعم عليه برتبة سيناتورية قنصلية . ولكن بلوتارخوس آثر أن يعود الى وطنه فى بلاد اليونان ليساهم فى ادارتها ولكى يكرس نفسه للكتابة باللغة الإغريقية .

ومن أعظم ما اخرجت عبقريته عمله الكبير " السير المتوازية لحياة مشاهير الإغريق " التى هى دروس فى السلوك والأخلاق وعبرة لمن يريد أن يعتبر وليست سوى تاريخ سير سجل اعمال هؤلاء العظام . وتتميز هذه السير الذاتيه بالحيوية والاتجذابية ، وساعدت على ملئ الفراغ فى بعض جوانب تاريخ هذه الفترة وتزيد من معلوماتنا عم احداثها وتفاصيلها . ولهذا صارت من المطالعات المفضلة لطالبى الثقافة عبر العصور .

ومن مؤلفاته الأخرى عدة مقالات متنوعة غطت مواضيع مختلفة اهمها الجانب الأخلاقى ولكنها شملت ايضاً موضوعات فلسفية وأدبية ودينية وتاريخية وأثرية .

ومن العبقريات التى شهدها هذا العصر الأديب باوسانياس (حوالى ١٥٠ م) Pausanias الذى سلك طريق هيرودوت فى السفر والترحال من اجل المشاهدة والتسجيل ، وقد قام بعدد من الاسفار خرج بعدها مؤلفة الكبير " سياحة فى بلاد اليونان " الذى يقع فى عشرة اجزاء كاملة تحتوى على وصف دقيق لجغرافية اقاليم اليونان ، ولمبانيها الشهيرة والمعابد الكبيرة وأعمال الفنانين الاغريق فى كل جزء فيها . كما شمل وصف باوسانياس معلومات شتى عن العبادات والشعائر والأساطير والروايات الشعبية ، أنـه منجم غنى

يذخر بالمعلومات الهامة التى يعتمد عليها الأثرى والمؤرخ وعالم الفنون القديمة على السواء (١) وقد كتبه باللغة اليونانية أيضا .

وهناك مؤرخ معاصر لباوسانياس وهو اريانوس Arrianus البيثينى Bithynia (حوالى ٦٥ – ١٧٥ ميلادية) الذى قلد اكسنوفون وضاع اعماله على طريقته ، وهوالذى ترك لنا معلومات وفيرة عن الاسكندر الأكبر والتى بدوره استقاها من المصادر القديمة مثل كتابات ارستوبولوس وبطلميوس ، وبالرغم من وفرة معلومات اريانوس الا أنه اخفق فى تحقيق الجانبية الأدبية والتاريخية التى يتميز بها كسينوفون . والى جانب مؤلفة عن الاسكندر الأكبر كتب كتب اريانوس وصفا لشواطئ البحر الأسود وجمع اقوالا مأثورة للفيلسوف الرواقى ابيكتيتوس Epitetetus والذى كان عبدا واعتق وعاش فى الفترة ما بين عهد نيرون وعهد انطونينوس بيوس لقد كان الفلاسفة الرواقيون والكلبيون يقومون برسالة التوجيه المعنوى والروحى للناس ولهذا كسبوا شعبية كبيرة فى هذا العصر كرسل الهدى والخلاص لمن يطلبها من الفقراء والبائسين .

ومن اعظم مؤرخى القرن الثانى الميلادى المؤرخ المصرى ابيانوس السكندرى Appian of Alexandria ٩٠ – ١٦٠ م تقريبا) وكان ابيانوس موظفا مدنيا بروما ، أحس بالفارق الكبير بين الحياة المضطربة فى عصر الجمهورية الملئ بالحروب وبالسلام الرومانى والرخاء فى عصر الامبراطورية فكتب مؤلفه الكبير " التاريخ الرومانى " الذى سجل فيه الحروب التى خاضتها روما منذ نشأتها حتى توحيدها دويلات البحر المتوسط فى ظلال الامبراطورية والسلام ، كما عالج الحروب الأهلية ولما كان ابيانوس معاديا لسياسة روما فى عصر الجمهورية فقد دلل على ذلك بمصادر قديمة وهامة بعضها حقيقى مكملا لمصادرنا الأخرى ، ووجهة نظر معترضة تكمل الصورة الشاملة من زاويتين مختلفتين .

---

1 - Cf ., James George Frazer , Sir , Pausanias Description of Greece , London 1898 .

وفى ذلك العصر ايضا عاش لوكيلس الساموساتى (of Samosata) (١٢٠ - ١٨٠ م) ولوكيانوس معروف لقراء الأدب الاغريقى بمحاوراته التصويرة ذات النقد اللاذع ، تسخر من الالهة ، والعظمة ، وجنون العصر ، وحماقته ، ومن الفسق ، والفجور ، بأسلوب حيوى جذاب يشد القارئ اليه ويسترعى انتباهه ، بالرغم من ان لا يقدم بديلا ايجابيا للاشياء التى يسخر منها وذلك لان طابع التشاؤم يغلب على تفكيره .

هؤلاء هم رجال الفكر والادب الاغريقى فماذا عن رجال العلوم العلمية الذين نبغوا فى هذا العصر .

يتلألأ فى هذا العصر عبقريتان فى العلوم العلمية هما بطلميوس ، وجالينوس البرجامونى Galinus of Pergamum حوالى ١٢٩ - ١٩٩ م وكلاهما اغريقيان . اما بطليموس فقد الف عملا عظيما فى الجغرافيا والتضاريس اعتمد فيه لاول مرة على الخرائط مما يدل على مدى تقدم هذا العلم عند الاغريق ، كما الف عملا ثانيا ضخما عن " الفلك " يعتبر من احسن الاعمال التى وضحت النجوم والكواكب ورصدت حركتها نتيجة للملاحظة الدقيقة وقد ظلت نظرياته قائمة حتى عصر النهضة الاوربية ، بالرغم من انه جعل الارض هى مركز المجموعة الشمسية كلها . كما أن نظرياته من علم المثلثات القائمة على وتر الدائرة لا تزال الاساس الاول فى علم الهندسة فى العصر الحديث .

أما جالينوس فقد ذاع صيته كطبيب ماهر وعالم فى وظائف الجسم او الفسيولوجيا حتى ان الامبراطور ماركوس اورليوس استدعاه الى روما ليعمل كطبيب خاص له . وبالرغم من أن جالينوس مهنة الطب بشغف الا انه وجد وقتا للبحث العلمى الاكاديمى فشرح الحيوانات واجرى التجارب ودون الملاحظات وخرج بالنتائج التى ظلت المصدر الاول لدارسى الطب حتى اعادة اكتشافها وتصحيحها على يد الطبيب الانجليزى وليم هارفى فى عصر النهضة (١٥٧٨ - ١٦٠٨) ، وقد تبين فيما بعد أن جالينوس قد أخطأ فى بعض معلوماته الطبية مثل تحديد الدورة ويرجح البعض أن سبب الخطأ ناتج من

استمداده المعلومات بعد تشريحه لحيوانات تختلف في طبيعتها عن جسم الانسان . وقد الف جالينوس مائة مؤلف شملت موضوعات متنوعة ابتداء من التشريح والفسيولوجيا والعلاج الى القضايا الفلسفية والثقافية المتنوعة (١) .

أما عن عباقرة الفكر الرومانى الذين كتبوا باللغة اللاتينية ، فيجئ على رأسهم الأديب والمؤرخ كورنيليوس تاكيتوس Cornelius Tackus ٥٤١ – ١١٧ م) ، لقد تلقى تعليمه الأول فى البلاغة والخطابة ولكنه استخدمها كوسيلة فى كتابته للتاريخ وقد كتب تاكيتوس مؤلفيه العظيمين الحوليات (Annales) والتاريخ (Historiae) وهما من أهم المصادر التاريخية للفترة ما بين موت اغسطس حتى نهاية عصر دوميتيانوس بالرغم من أنهما لم يصلا الينا كاملين .

يقوم فكر تاكيتوس التاريخى على جوهر اخلاقى فى حين أنه يستمد مادته من مصادر سياسية من الدرجة الأولى . وقد نجح تاكيتوس فى كتابة تاريخه فى قالب مسرحى درامى يشد اهتمام القارئ ويعطيه صورة حية ومتحركة للحياة الرومانية ولخبايا القصور ودهاليز السناتو ، ومن الملاحظ أن تاكيتوس كان يخفى فى باطنه عداء لحكم الفرد ، وربما نبع ذلك من تعاليم الرواقية التى عارضت الاتجاه نحو الانفراد بالسلطة ونظام الملكية الوراثية منذ أيام الفلافيين حيث كان يشغل وقتذاك منصبا اداريا . وقد اثر ذلك على تفكيره التاريخى بالرغم من أنه كتب مؤلفيه العظيمين أيام نرفا وتراجانوس التى تعتبر ازهى عصور الامبراطورية الرومانية وأكثرها اتزانا وعدلا . ولهذا يجب على المؤرخ المعاصر أن يتناول بالحذر كل ما قاله عن اباطرة الاسرة اليوليوكلاودية التى كان يشعر نحوها بعدم الارتياح خاصة أن تاكيتوس شوه صورة تيبريوس لدرجة اضاعت معها الجوانب الطيبة فى شخص هذا الامبراطور .

1 - Cf . Michael Grant , The Climax of Rome , AD , London 1968 , P . 113 .

ومن عباقرة الأدب الرومانى الشاعر الهجائى جوفينـاليس Juvenalis (٤٧ ١٢٧ م تقريبا) وقد تلقى جوفينال (كما يلقب فى اللغات الحديثة) تعليمــه اساسا فى فن البلاغـة مثلتاكيتوس ، ولكن روحه الساخرة وسخطه الشديد على الفساد المنتشر فى عصره وفجور الحياه فى المدينة وطغيان الامبراطور دوميتيانوس وفجوره ، ودسائس النساء وسيطرتهن وفسق الاجانب وعبثهم ، جعلتـه يلجأ الـى النقد الـلاذع والهجـاء الشديد الذى يميل الى المبالغة فى التحقير على حساب الحقيقة (١) ولكنه بالرغم من ذلك فهو طريـف محبب الى النفس . وقد اصبح المثال الذى يحتذى به فى الأدب الانجليزى فى العصر الاوغسطى .

ومن مشاهير الكتـاب اللاتينـى فى تلك الفترة سـويتونيوس ترانكويللـوس Suetonius Tranquillus مؤلف حياة الاباطرة الاثنى عشر وهـى منجـم للأقـاويل والشـائعات التـى لا حد لها . وقد افاد سويتونيوس من عمله كمسؤل فـى شـئون السياسـة الرومانيـة لحين مـن الوقت فى عصر هادريان مما جعله على درايـة بالوثـائق والاسرار التـى لـم يعرفهـا احـد غيره .

ومـن مصــادر المعرفـة عن هذا العصـر مؤلــف اولــوس جيليــوس (١٢٣ - ١٦٩ ميلادية) Aulus Gellius الشهير والمعروف باسم " الليالى الأتيكية " لقد بدأ جيليوس مؤلفة بكتابة مذاكراته أثناء دراسته فى مدارس أثينا الفلسـفية وقـد نجـح هذا الاديب فـى تسـجيل فقرات هامة من المؤلفات الشهيرة لمشاهير الفلاسفية والادباء ، التى بدونه مـا كـان العـالم الحديث ليعرف شيئا عنها ، كما أن موضوعاته متنوعة بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى ، كـمـا تـعكـس مـؤلفاته المناقشات التى كانت تدور فى جلسات المثقفين فى ذلك العصر

---

١ - مصطفى العبادى : جوفينال - دراسة لتطور شاعر ناقد - مطبوعات جمعية الأثار بالأسكندرية (١٩٧٤) من ص ٥ - ٦٣

كذلك لمع فى سماء الادب والثقافة فى القرن الثانى الميلادى عبقريتان تخصصتا فى فن المراسلات الأدبية أو الرسائل وهما بلينيوس الاصغر Plinius وماركيوس فرونتو Marcus Cornelius Fronto أما الأول فقد عينه تراجانوس حاكما على ولاية بيثينيا Bithynia وكان دائم الشكوى من وضع الأحوال فعبر عن ذلك بكتابات كثيرة الشكاية الى

الامبراطور فى شكل مراسلات شخصية يطلب فيها المشورة والمساعدة من القيصر ولحسن الحظ اصبحت هذه المراسلات مرآة صادقة للأحوال داخل الولايات الامبراطورية فى ذلك العصر .

لم يكن بلينيوس يريد لمراسلاته أن تكون خاصة فقط بل أراد لها أن تنشر كمقطوعات ادبية تماما كانت تقرأ مراسلات شيشيرون الى صديقة اتيكوس ، لأن خطابات بلينيوس تعكس الجانب الادبى والثقافى للمجتمع الرومانى فى ذلك الوقت وتكشف عن التذوق الراقى للأدب والفنون والانسانيات فى لغة رتينية سهلة وجميلة .

أما ماركوس مورنيليوس فرونتو فقد كان معلما لماركوس اوريليوس ولوكيوس فيروس ، وكان محبا للأدب اللاتينى القديم ولاستخدام الالفاظ العتيقة التى كانت سائدة فى آداب عصر الجمهورية وقد استعار منها فرونتو ولكن رسائله ليست ذات تأثير على النفس نظرا لتفاهة الموضوعات التى تعالجها مثل حرصه على الحالة الصحية للأسرة الامبراطورية وقلقه عليها

كان فرونتو افريقى الأصل تماما كان الكاتب لوكيوس ابولايوس Lucius Apuleius (حوالى ١٣٠ م) . ويمكن وضع ابوليوس مع طبقة الكتاب التى حاولت

تفهم الحاضر وتخيل المستقبل لتحلم به وترسم خطوطه تماما مثلما فعل الادباء لوكيانوس وبترونيوس . كانت لغة ابوليوس لغة جميلة ذات رونق ونضارة بالرغم من أنها كانت صعبة وغامضة فى بعض الاحيان ولكن تلك اللغة اللاتينية العامة التى كان يتحدث بها خليط الجنود والاجناس لكافة شعوب الامبراطورية والتى منها تولدت اللغات المحلية الاوربية . ومن اهم اعمال ابوليوس كتابه " مسخ الكائنات " Metamorphoses على نفس اسم مؤلف اوفيديوس الشهير ، ولكن هذا المؤلف الطريف عرف باسم آخر هو " الحمار الذهبى " وهو عبارة اودسا من المغامرات التى يقوم بها شاب اسمه لوكيوس تحول الى حمار بفعل السحر ، وظل على ذلك الحال حتى شفت له الربة ايزيس الذهبية واعادته الى طبيعته البشرية . ومن ثم أصبح احد نساكها رعبدتها فى روما . وما بين تحول لوكيوس فى شكل الحمار الذهبى الى عودته لصورته البشرية يحشد لنا المؤلف الكثير من المعلومات الطريفة عن الفولكلور الشعبى الرومانى والسحر والشعوذة والشعائر الدينية والشعبية والفسق والفجور وغير ذلك من الهواجس التى كانت تسيطر على العامة من الرومان والتى لم يكن يعرف عنها الطبقات المتعلمة شيئا ، لقد نزل ابوليوس الى الدرك الأسفل من المجتمع الرومانى ليأتى بتجسيد كامل لأفكارهم وعقلياتهم ومعتقداتهم .

لقد ظهرت نتائج حكم الاباطرة الصالحين على الآدب والفكر فى الامبراطورية . حقيقة لا نستطيع أن نقول لأن هذا العصر انتج شعراء عباقرة مثلما انتج عصر أغسطس وخفاؤه ، ولكن شاعرا مجهولا الف ابياتا سرعان ما تحولت الى اغنية الناس . هذه الأبيات القصيرة ليست مريرة ولاذعة مثل اشعار جوفيناليس أو مارتياليس ولا حزينة متشائمة مثل مناجاة هادريان لروحه ولكنها ابياتا متفائلة بالحياة وبالحب وبالربيع تنشدها مجموعة وليس فردا فى لغة لاتينية سهلة تعكس الحالة النفسية للناس فى ذلك العصر وتقول كلماتها :

Cras amet , qui nunquam airavit ; quique amavit , Cras amet .

سيعشق غدا ذلك الذى لم يعشق ابدا

وحتى الذى عشق ، سيعشق غدا

الشكل الحضاري في المجتمع الروماني :

من أهم ملامح التقدم الحضاري في الامبراطورية الرومانية ابان هذه الفترة هو انتشار التعليم في كافة ربوعها واتاحة الفرصة امام كافة رعايا الامبراطورية للحصول على قسط وافر من الثقافة دون تمييز وقد تبنى الأباطرة الصالحون هذا الاتجاه ، ويشهد بلينيوس بانتشار المدارس بكافة انواعها منها ما هو عام ومنها ما هو خاص ، لأن الاباطرة الصالحين قلدوا فسباسيانوس عندما رفع رواتب المدرسين والاساتذة في روما والمدن الكبرى . واصبحت الدولة لأول مرة تشرف على التعليم وترعاه ، وفي عصر هادريان كوفئ المدرسون بأن اعفوا من الضرائب بكافة انواعها كما انتشرت المكتبات العامة في كل مكان مما سهل للبعض فرصة الاطلاع والبحث معتمدين على انفسهم . ولهذا ارتفعت نسبة التعليم بين سكان الامبراطورية بشكل لم يسبق له مثيل وانتشر انصاف المتعلمين أو من حظو بقسط عام من التعليم لان هدف الدولة كان نشر التعليم العام بصورة تفوق بالطبع التعليم الرفيع الذى كان يحرص عليه فئة قليلة (١) .

وقد ظهرت علامات التقدم في الاتجاهات الفنية والمعمارية اذ اصبح الناس اكثر ادراكا بقيمة الاعمال الفنية التي خلدها الفنانون وأصبحوا تواقين لها ، ومن ثم ظهر الاتجاه العام نحو حب الاساليب الكلاسيكية والقديمة وتقليدها في الفنون والآداب . ونجد هذا الاتجاه واضحا للعيان في كتابات بلينيوس الذى حاول تقليد شيشيرون ، واريانوس

---

1 - M . H . Ibrahim Graeco - Roman Education in Egypt From the first to the Fourth Century A . D . According to Papyri , (dissert . Athens 1972) .

كذلك انظر :

R . Barrow . Greek & Roman Education insiue The Ancient World , Basingstoke Memillan Education , London 1976 .

الذى حاول تقليد اكسينوفون ، وباوسانياس الذى حاول ان يقلد [illegible] بحب الاسلوب والكلمات اللاتينية العتيقة .

ونادرا ما نحس بالتجديد والخروج على التقاليد الفنية والادبية القديمة مثلما لها الفنان الذى نحت وزين عمود تراجانوس ، كما حبذت الاعمال الفنية فى عصر هادريان الضخامة وشغل المساحة والحشد الفنى واختيار ما هو اكثر نفعا أو ما هو عملى ، كذلك اصبح فن العمارة فى تلك الفترة اتجاها عاما يعكس الذوق الاغريقى رومانى Graeco Roman فى العمارة ، فمثلا اصبحت المبانى اكثر اتساعا ورحبة وضخامة واقل ميلا نحو الابتكار . لقد ساد الرومانى فى تلك الفترة احساس بالعظمة Megalomania وهى عقدة تصيب شعوب الامبراطورية فى أوج عظمتها ، وهذه العقدة دفعت الفنانين الى تقليد الاعمال القديمة ولكن بصورة اكثر ضخامة ، واصبح هدف الفنان هو الضخامة وليس الفخامة ، الكم وليس الكيف ، فقد اقام تراجان اضخم ساحة عرفتها روما وبنى هادريان اضخم معبد فى تاريخ العمارة الرومانية . وتدفقت الاساليب الفنية والمعمارية من ايطاليا الى الولايات النصف رومانية وراح البرابرة يقلدون بجهالة الاساليب الرومانية بطريقة مشوهة حطت من قدر الاصالة الفنية وسرعان ما لوثت السذاجة البربرية الجوهر الرومانى فحطت من قدر الفنون الاغريقو رومانية . ولكن بالرغم من هذا تعطينا فكرة عن تسلل الثقافة من روما إلى اطراف العالم الرومانى بفضل انتشار التعليم .

تقدم فن الادارة والتوسع فى وضع اللوائح والتشريعات التنظيمية :

لقد سادت روح التقنين كل شئ فى الحياة فى ذلك العصر كمحاولة لفرض منهج واتجاه قومى واحد حتى فى القوانين والدساتير . لقد توسعت سلطات الامبراطور واصبحت احكامه ونصائحه وتفسيراته سوابق قانونية تصدر الأحكام على ضوئها ، فمثلا قديما كان الامبراطور يحكم بمجرد انه كان يملك حق الامبريوم الذى يخول له أن يكون القانون . أما فى القرن الثانى فكان الامبراطور يصدر قرارات وتعليمات الى الموظفين

ويجيب على اسئلة واستفسارات ويرد على خطابات وكانت ودوده ونصائحه واجاباته توضح موضع القوانين لكونها قضائية .

كذلك اصبحت سلطات السناتو قناعا آخر يرتديه الامبراطور . حقيقة كانت قرارات السناتو حسب العرف والقانون الرومانى لها قوة القانون بل هو الذى كان يسن القوانين فى الماضى ، ولكن فى القرن الثانى جرد السناتو من ذلك الحق بطريقة (١) دبلوماسية اذ اصبحت مشروعات القوانين تناقش اولا فى المجلس الاستشارى Consilium الذى يكونه الامبراطور ومستشاروه ثم تعرض مسوداته على السناتو ليقرها دون أى تعديل او اعتراض . هكذا الامبراطور واحكامه مصدرا للقوانين . وكانت حجته فى ذلك أنه قد اختير بواسطة الشعب والسناتو وهما اعلى سلطة يستمد منها القوانين ، ومن دلائل تجمع السلطات القضائية وتمركزها فى شخص الامبراطور أنه اصبح الفيصل الاخير فى القضايا وحكمة يبطل اى حكم يصدر من قبل اى محكمة قضائية ، أى انه اصبح لأى مواطن الحق فى استئناف اى حكم صادر ضده الى الامبراطور شخصيا بدلا من بعض المجالس الشعبية فى العصور الماضية والتى تداعت وغمرها النسيان فى ذلك العصر . كما كان من حق الامبراطور الاشراف على المحاكم وتنظيمها واختيار بعض القضاة والمشرعين وتعيين بعضهم فى مجلسه الاستشارى Consilium كل هذا ادى الى تجمع السلطات القضائية فى شخص الامبراطور ، واثباتا لذلك طلب هادريان من المشرع جوليانوس وضع لائحة قضائية يسير على ضوء موادها المسؤلون عن تطبيق القانون عرفت باسم اللائحة البرايتورية Edictum Praetoris .

---

١ – وقد سبب هذا فى بعض الاحيان مواجهة بين الامبراطور والسناتو . ورغم نجاح هؤلاء الاباطرة . الا ان الخوف من تحول معارضة بعض اعضاء السناتو الى مؤامرات ظل يقلق راحة الاباطرة تماما مثل تخوفهم من انقلابات ضباط الجيش والحالمين بالعرش .

ولقد وضعت هذه اللائحة من اجل تنظيم الأحكام القانونية واخضاعها لنصوص ومواد ثابتة تحقيقا للعدالة ، وحتى يكون هناك متخصصون للقانون المدنى يستلهمون احكامه من واقع محدد وحتى لا يصبح القضاء العوبة لهواجس واحكام الهواة ولكى يصبح المسؤل عن العدل فقيها ومحترفا لا هاوية على دراية محدودة ببعض الثقافة القانونية .

كما لمس التغيير التشريعى نظام المحاكم الجنائية لأول مرة منذ ان وضع سوللا نظامها وحدد شكلها الذى كان يعتمد على جمهرة المواطنين العاديين الذين يحضرون المحاكمة ويتحولون داخل قاعتها الى محلفين وابعادا لخطر الغوغائية عند اصدار الاحكام استبدل اباطرة القرن الثانى الميلادى هذا النظام بنظام جديد وهو أن يرأس الامبراطور المحكمة الجنائية بنفسه او عن طريق تعيين مندوبين عنه متخصصين فى القانون الجنائى . ومن بشائر النهضة التشريعية وسيادة القانون ان ظهر لأول مرة مجلد يحوى نصوص مواد القانون المدنى الرومانى فى صورة منهجية ومنطقية ذلك المؤلف الخالد الذى وضعه الفقيه الرومانى جايوس Gaius .

لقد أدت هذه الاصلاحات الدستورية والإجتماعية الى حالة سلام رومانى حقيقى ، ولأول مرة تحسن وضع العبيد والطبقات الدنيا ورعاع المدن . وقل عدد العبيد الا فيما يحتاجه اصحاب المزارع للعمل فى ضياعهم كما ازداد عدد المعتقين ، أما من ناحية السلطات فقد بدأت تتركز فى شخص الامبراطور ، وقد تفرغ الاخير لقضية السلام والسيطرة على الجيش وادراة السياسة الخارجية . وقد نجحت سياسة اللامركزية decentralization فى تخفيف العبء عن الأباطرة من ناحية ، واعطاء الفرصة للكفاءات المحلية لأخذ مكانها خاصة اغنياء الاقاليم والولايات من ناحية اخرى . وبمنح الجنسية الرومانية لسكان الأقاليم الأيطالية وبعض الولايات تحولت الامبراطورية الى اتحاد شعوب من اجل الرخاء المشترك ، وأصبحت المناصب مفتوحة أمام المتعلمين بصرف النظر عن العنصر او الطبقة ، ومن ثم عاشت شعوب الامبراطورية فى رخاء ، وساد السلام والمحبة بينهما ومن ثم تصبح عبارة جيبون صادقة وكلمات الأغنية معبرة فعلا .

تطور الفكر الدينى الرومانى :

لقد سادت العدالة والحرية فى ظل النظام الحكومى العاقل الذى حرص الأباطرة الصالحون على اقامته ونشرة فى كافة ربوع الامبراطورية الرومانية ابان القرن الثانى الميلادى ، وتحقق للمواطنين حقوقا ومزايا لم تكن فى الحسبان ، وساد الأمن والطمأنينة وشعر الناس لأول مرة برعاية الدولة لهم . فمثلا كان هناك صندوق الخدمات والمعونات لابناء الفقراء والمعوزين ، واتيحت فرص التعليم امام الناس فى كل الاعمار والطبقات ، ونجحت الدولة فى بناء الطرق المعبدة التى تربط بين اجزاء الامبراطورية . ونظمت الدولة المهرجانات العديدة والاعياد من أجل الترفيه عن المواطنين .وقبل كل شئ كانت الحكومة حريصة على خفض الضرائب وعدم زيادتها بحيث لم تتعدى ١٠ ٪ من دخل الفرد .

وفى مدن الامبراطورية المتعددة نشأت المرافق العامة ومرافق الخدمات للفرد ، ووضعت نفسها فى خدمة المواطنين وفى كل المدن التابعة للامبراطورية ابتداء من روما حتى كرانيس فى الفيوم نجد هناك الحمامات العامة والسوق العامة وغيرها من مرافق فى خدمة الفرد وسد حاجاته ، كما ساد الامبراطورية من اقصاها شرقا الى اقصاها غربا قانون واحد وكفل لكل مواطن حقوقا واحدة .

ومن خلال تأمين الحدود من خطر البرابرة المهاجمين عاش رعايا الامبراطورية الرومانية فى هدوء بال وسلامة حال ، لايقلقهم شئ على الاطلاق مادامت الحكومة تشغل بالها بمسئوليتها كاملة فى رعاية مواطنيها اجتماعيا وثقافيا .

وازاء هذا وجد الناس وقتا ليفكروا فى الجانب العاطفى الدينى - وفى الروح والخلود ، ووجدوا تحت امرتهم كنوز الشرق الروحانية وعباداته المختلفة التى تشفى عطشهم النفسانى والروحانى ، وجد الناس ثلاثة عبادات تشبع متطلباتهم فى الفردية والخلود :

وهى المسيحية ، وعبادة الربة المصرية ايزيس ، وعبادة الرب الشرقى مثراس Mithras (١) والذى كانت عليه تقوم الديانة المثرية باعتباره رب النور والنار ، وهو رب فارسى الأصل انتشرت عبادته فى مقاطعات الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ولكن عبادته فى القرن الثانى الميلادى انتشرت بشكل لا يمكن تصوره لا فى الولايات الشرقية فحسب ، بل فى ولايات الامبراطورية الغربية ، بل وفى داخل ايطاليا ذاتها . حيث انتشرت الكهوف الصناعية التى كان يعبدونه فيها Mithraia والتى كانت ترمز الى الكون الرضى الذى فيه تطهر الروح الانسانية من آثار العالم وذنوبه لتعود طاهرة الى السماء كما جاءت الى الأرضى .

كان متراس رب النور والحكمة والشمس التى تبدد دياجير الجهالة والظلام ، وتطرد الشياطين ، ولهذا كان متراس فى نظر عبادة بطلا مخلصا صور على الكهوف كشاف قوى فى زى شرقى وهو ينحر ثورا قويا بكل هدوء كذلك لم يكن متراس صاحب النعم على البشر ، بل ايضا شفيعا لهم فى يوم القيامة أمام رب النور الأكبر اهورا مازدا Ahramazda بل كان متراس فى نظر عبادة هو الذى ينظر فى امر الارواح ويحاسبها على ما قدمت او اخرت ولكنه كان دائما فى صف البشر محبا لهم (٢) .

ولكى يمكن للفرد أن يدخل الى طائفة المثرية كان عليه ان يمر بثمانية مراحل من الاختبار الصعب فاذا صمد روحا وجسدا فانه يصبح واحدا من هذه الجماعة ويظل يترقى خلال سبع درجات حتى يصل الى الفئة العليا المسماة بآباء الطائفة ، وقد انتشرت هذه العبادة بين الجنود لانها تناسب سيكولوجيتهم وحياتهم التى تعيش وسط الاخطار والمغامرات والتجول .

---

1 - Cf ., John Ferugson : The Religions of the Roman Empire Thames an Hudson (1970) , Chapter XII , PP . 211 - 243 .

2 - Ferguson , op . cit , Pp . 47 , 219 F .

أما عبادة الربة المصرية ايزيس (١) فكانت أكثر عاطفية ورومانسية من عبادة مثرا ، وكما هو معروف كانت ايزيس شقيقة لاوزوريس واما للطفل حورس وهو ثالوث معروف ، ومن وادى النيل انتشرت اسطورة ايزيس واوزوريس وبخدعة خبيثة قتله وطعنه أرباً أرباً، وجابت ايزيس الحزينة البرية وهى تنوح على زوجها وأخيها حتى عثرت على جثته وعن طريق السحر تمكنة من بعثه للحياة مرة اخرى .

ويبدو أن أبولايوس كان أحد النساك المتعبدين لايزيس لأنه صور لنا فى كتابه (الحمار الذهبى) كيف تمكنت هذه الربة من رد بطل القصة لوكيوس الى الصورة البشرية مرة اخرى . ومن خلال هذه القصة يعطينا ابولايوس صورة وافية للشعائر والاحتفالات التى كانت تقام لعبادة ايزيس ، وكان عبدتها يعتقدون أن من ينجح فى اختبارات التعميد والدخول فى هذه العبادة سوف يصبح سعيداً فى حياته الاخرى لأنه سوف يحيا فى الفردوس الابدى حيث يحكم أوزوريس العظيم . كذلك فان ذلك يعطينا صورة لأنتشار الشعوذة والسحر وتغلغلها فى عقول شعوب الأمبراطورية فى ذلك العصر .

ويجب أن نعترف أن عبادة ايزيس ومثرا قد أثرتا فى المرحلة المبكرة لظهور الم سيحية خاصة من ناحية الشعائر والممارسة (٢) ، وبينما كانت العبادتان الوثنيتان

---

١ — لقد انتشرت معابد ايزيس فى شرق الأمبراطورية وغربها حتى ان القديس بولس مر بعدد من معابدها على طول الطريق الذى سلكه وهو يبشر بالدعوة المسيحية . وعثر على معابدها فى بريطانيا وحتى افغانستان عن عبادة ايزيس .

R . E . Witt, Isis in The Graeco - Roman World, Thames and Hudson, 1971, p.264 .

٢ — جدير بالذكر ان احد رهبان القرن السادس عشر وهو الاب جوردانو برونو أعلن ذلك صراحة مما ادى الى حرقه حيا فى ١٦ فبراير عام ١٦٠٠ م .

السابقتا الذكر تنتشران بين المثقفين والجنود ، كانت المسيحية تنتشر بسرعة بين الفقراء المعوزين والمظلومين الذين يطلبون الخلاص من هذا العالم الظالم على يد ابن الرب في صورة البشر خاصة بين رعايا الامبراطورية فى الولايات الشرقية .

لقد نظرت الحكومة الرومانية منذ أيام نيرون نظرة الشك الى المسيحيين ، ولم يكن عداء الأباطرة الصالحين لهذه الديانة الجديدة قائما على اساس اعتراض فى العقيدة لأن العصر كان عصر الحرية ، كما أن الرومان لم يتدخلوا فى الديانات الكثيرة المنتشرة بين رعاياهم مثل اليهودية ، الا أن نقطة العداء الوحيدة للمسيحيين كانت تنبع من منطلق سياسى وهو عزوف المسيحيين عن تقديم القرابين للأمبراطور الرومانى بإعتباره الها ، وحرق البخور أمام تماثيله مما اعتبره الأباطرة تمردا سياسيا على سلطة الامبراطور والامبراطورية وقارنوا ذلك بتهمة الخيانة العظمى . ومن هنا نشأ الإضطهاد الدينى للمسيحية بإعتبارها دينا هداما للإمبراطورية ولسلطة الامبراطور المقدسة . وبالرغم من أن الأباطرة الصالحين اغمضوا عيونهم عن نشاط المسيحيين الأول لدرجة أن الامبراطور تراجان كتب الى بلينى يعرفه بأن استخدام المخبرين للتجسس على المسيحيين يعتبر عملا منافيا لروح العصر . إلا أن ذلك لم يمنع حدوث بعض الاضطهادات ضد المسيحيين بتهمة العصيان والعناد العقائدى .

وإزاء هذا الخطر الوثنى نشأ إتحاد بين الجماعات المسيحية المبكرة دقيق التنظيم يوحد ما بينهما ، اذ بدا سلك الكهنوت المسيحى فى الظهور وبدأت الكنائس المستقلة والمتنافسة فى الإتحاد فيما بينهما والالتزام بنظام دقيق فمثلا كان يقود شعب الكنيسة او القداس شيوخ الكنيسة او القسس Presbyters الذين كانوا بدورهم يخضعون لسلطة الاسقف (Bishop) وكان الاساقفة بدورهم ملتزمين بسلطة كرسى " المطران " وكان كل مطران يشرف على منطقة جغرافية يحكمها من داخل مدينة كبيرة تعتبر مقر المطرانية الإقليمية .

وفى الوقت الذى كانت المسيحية تنظم سلكها الكهنوتى واللاهونى بنظام حكيم ونـاجح كان المبشرون المسيحيون وكتاب الابولوجيا المسيحية يتعمقون فى جوهر الثقافة الفلسفية الاغريقية ويستخدمونها من اجل صياغة افكارهم الجديدة فى صورة قريبة الى تفكير الناس المشربين بالفكر الإغريقو رومانى وذلك لتسهيل نشر الأفكار المسيحية .

أن روح العصر التى تتسم بالتسامح شجعت المسيحية على التبلور فـى شـكل عقـائدى واضح الملامح مكتمل الشعائر لها منطقها المقبول ، والفضـل فـى ذلـك يرجـع الـى حريـة الفكر وحرية العبادات . فكل الشعائر الدينية فـى ذلـك الوقـت كـانت تمـارس بحريـة ، بـل وكان كل منها يستعير من الاخر ما يروقه دون ان يجد متزمتاً يمنعـه لا قـولاً ولا فعـلاً . لدرجة ان التشابه شديد بين هذه العبارات والشعائر الى درجة يصعب الفصل بينها .

لم يعرف هذا العصر شيئاً اسمه التعصـب المذهبـى او المنهجـى او الفلسـفى حتـى ان ماركوس اوريليوس الامبراطور الرواقى لا يجد حرجاً من ان يطالب بإلحاح شديد نسـخة مـن قصيدة الشـاعر الابيقـورى الرومـانى لوكريتيـوس ليقرأهـا والمعـروف ان الرواقيـة والأبيقورية متضادتين فى التفكير تماماً .

وربما نبع التسامح العام من رغبة اصحـاب العقـائد والجماعـات الدينيـة فـى التقـارب واحترام الالهة المختلفة واعتبارها صوراً مختلفة . لرب واحد للجميـع وعلـى اسـتعداد فـى مـزج هذه العقـائد فـى عقيـدة كـبرى ولهـذا وصـف هـذا العصـر المـزج الدينـى والفكـرى Syncretism وفى نفس الوقت كانت الجماهير تتعطش لديانة اسمى تحقق لصاحبهـا الخلـود الروحانى . وكان هذا ممهداً لانتشار الديانات التوحيدية فيما بعد على حساب الوثنية .

الحياة الاجتماعية أبان القرنين الرابع والخامس

كان المجتمع الرومانى أبان القرنين الرابع والخامس صورة معبرة للتحلل والانهيار ، مجتمع الفوضى الفكرية ، واليأس السياسى ، والفقر الاقتصادى ، والظلم الاجتماعى ، والتسلط البيروقراطى ، النظم المتحجرة التى لم تتطور ، لقد لختفت فى هذا المجتمع الطبقة الوسطى وهى فى أى مجتمع او فى اى حضارة القوة الديناميكية الحقيقية . واسفر الموقف عن طبقتين هما : البروليتاريا الجائعة اليائسة لتى باتت تبحث عن الخلاص او الهروب من مشاكل العالم المادية الى التخدير الغيبى و لى السحر والخزعبلات . مما أدى إلى انحطاط الفكر الثقافى وتفشى البربرية حتى فى التعبير الفنى والجمالى ، أما الطبقة الثانية فهى الطبقة الارستقراطية الحاكمة والمتحكمة عن طريق السيطرة على الأجهزة البيروقراطية وعن طريق اقتناء الاقطاعيات الشاسعة بمن عليها من فلاحين وعبيد .

ثم دخلت المسيحية وتلهفها الفقراء الكادحون فى الريف او بروليتاريا المدن بحثا عن الخلاص ، بينما تمسكت الارستقراطية بالتراث الوثنى الذى راحت تطوره بالأفكار التى تجمع بين الفلسفة والدين ، تجمع بين الرواقية والفيثاغورثية والافلاطونية الجديدة من آجل منافسة المسيحية التى اعتبروها حركة هدامة وخطرا على التراث القومى العريق ، ومن ثم هم الذين اوعزوا الى الأباطرة بحركات التصفية والاستئصال بصورة بشعه تختلف عن حركات القمع البسيطة والمحدودة التى حدثت أيام نيرون بعد حريق روما الكبير عام ٦٤ وفى عهد دوميتيانوس عام ٩٦ وفى عهد تراجانوس وماركوس اوريليوس ، وذلك لأن الارستقراطية الوثنية كانت تقاتل دفاعا عن وجودها ومكاسبها ضد الفقراء ابناء الله اى أن الأمر تحول من صراع بين الوثنية والمسيحية الى صراع اجتماعى وطبقى .وتعرض المسيحيون لأقسى أنواع الاضطهاد ولكن الكنيسة قاومت ببطولة منقطعة النظير حتى استسلم الأباطرة بمهادنتها أولا ثم تزعم قيادتها ثانيا وذلك على يد قسطنطينوس الأكبر .

وما أن كسبت الكنيسة وانتصرت حتى ثبت أن الخطر كان يوجد بين عناصرها وما أن زال الخطر حتى بدأ التفسخ والصراع العقائدى الذى هو نتيجة لتناقضات اجتماعيه واقليمية وفكرية وعنصرية بين مسيحى العالم وفشلت فكرة الكنيسة المسكونية الواحدة .

لكن هذه الفترة تمثل مرحلة اكتمال قانون الايمان المسيحى ووضع القواعد واللوائح العلمية مثل تحديد يوم الأحد كيوم الرب ، وتحديد عيد ميلاد المسيح (Natalis Domini) وهو السابع من يناير فى الشرق والخامس والعشرين من شهر ديسمبر (١) فى الغرب وتحديد عيد القيامة .. الخ . وقبل هذا وذاك ظهر فى مصر أول نظام للراهبنة على يد القديس انطونيوس المولود فى بلدة كومى بمصر الوسطى حيث لجأ عام ٣١١ الى الصحراء الشرقية فى وادى عرابة قرب البحر الأحمر وتبعه مريدوه للتأمل وتطهير الروح ، ثم تلى ذلك امونيوس الذى اوجد أول الأديرة فى صحراء وادى النطرون ومعه مريدوه يسكنون الكهوف اويقيمون فى الخلوات الضيقة (cells) يتعبدون ويتنسكون ويقرأون الإنجيل يعيشون على الكفاف . وفى القرن الرابع أيضاً أنشأ القديس باخوم Pachonius عام ٣٢٠ ديره فى صحراء الأقصر الشرقية ، ويتميز القديس باخوم عن غيره بأنه أول من وضع اللوائح والنظم التى سارت عليها الاديرة فى باقى انحاء العالم المسيحى وأكمل ذلك شنوت الاتريبى عندما وضع نظام جديداً للرهبنة فى ديرة الذى اقامه قرب نهاية القرن الرابع فى صحراء الاقصر (٢) . كما يرجع الى هذه الفترة ايضاً بناء الكنائس الخالدة التى لاتزال قطعا من آيات الفن بوجه الجديدة .

---

١ - يعتقد بعض المتخصصين فى الدراسات المصرية القديمة أن اختيار يوم ٢٥ ديسمبر كتاريخ للاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح هو استمرار للعيد المصرى القديم يوم ميلاد رع حيث أن هذا اليوم كان نهاية السنة المصرية القديمة انظر :

Jaroslav Cerny . Ancient Egyptian Religion , 1952 , PP . 148 - 149 .

2 - Vogt , op . cit ., P . 124 - 125 .

ولنعالج الان بشئ من التفصيل أهم الملامح التى شكلت المجتمع الرومانى ابان القرنين الرابع والخامس .

اولاً – الصراع الطبقى :

يتمثل هذا الصراع فى اختفاء الطبقة الوسطى وتحول الى طبقتين متناقضتين بينهما هوة سحيقة ، وهما الطبقة الارستقراطية والنبيلة والطبقة الكادحة المستغلة بأبشع درجات الاستغلال . وكان افراد الطبقة الأولى يكونون الأعيان الذين ما نسبوا أنفسهم الى الطبقة السيناتورية ورغم تدهور السناتو الا أنه بقى اسما ولقبا طبقيا يحمله الاستقراطيون والاقطاعيون والنبلاء وأصحاب السلطة البيروقراطية ، بل أنهم حرصوا على حمل هذا اللقب ولو بشرائه بالثمن لما كان يعطيه لحامله من نفوذ وامتيازات مثل الاعفاء من دفع الضرائب وأداء الخدمات الالزامية والخدمات فى الجيش بل أنه كان يعطيهم وحدهم أحقية تولى المناصب العليا .

كان معظم رجال الطبقة السناتورية اقطاعيين وذلك لأن السياسة الامبراطورية فى القرنين الثالث والرابع وضعت قانونا غريبا يحرم على النبلاء العمل فى التجارة والصناعة وقصر هذه المهن على الحرفيين وصغار التجار ولأن التجارة والصناعة لعبتا دورا هزيلا فى اقتصاد الامبراطورية لأنها كانت تختص بالكماليات التى لا لا يطلبها سوى قلة من القادرين (١) ، ومن ثم لم يكن أمام النبلاء سوى استثمار اموالهم فى شراء الأراضى الزراعية وكونوا اقطاعيات شاسعة (Latifundia) يتوسطها بيت الاقطاعى الحصين (Villa) وقد عرفت الفيلالا كوحدة سكانية وإجتماعيه وإنتاجية بل وإدارية مستقلة يتحكم

---

1 - A . H . M . Jones . Thoughts on the Decline of the Romat Empire Bulletin of the Faculty of Arts , Cairo University , Vol . XXIII , part I , May 1961 . decurienes .

فيها صاحبها بكل ما فيها من اجراء زراعيين (Coloni) وعبيد (Sorvi) وأرباب حرف . وهو صاحب الأمر والنهى فيما يملك من الأرض ومن يعيشون عليها ويتـوارث ابنـاؤهم من بعدهم هذا الالتزام .

كان الرقيق هم أدنى الطبقـات الإجتماعيـه فـى مجتمـع الفيلـلا . وكـانت كلمـة الرقيـق Servi تشمل الخدم سواء فى قصر الاقطاعى أو فى أرض الاقطاعيـه التـى كـانوا يزرعهـا لصاحبها وقد تحسن وضع الرقيق فى القرن الثالث وما تلاه نظرا لنضوب المصـادر التـى كان الرومان يأتون منها بالرقيق وبذلك اضطر اسيادهم الى المحافظـة عليهـم ، كمـا سنت الحكومـة عدة قوانين لتحسـين وضعهـم كطاقـة استراتيجية هامـة فـاختفت المعاملـة غـير الانسانية التى كنا نسمع عنها أيام الجمهورية ، ووصـل الحـال أن منـح بعض الاقطـاعيين عبيدهم قطعا من الأرض يتوسطها كـوخ يقيـم فيـه العبـد ويشـرف منـه علـى زراعـة هـذه القطعة وكان هذا البيت صورة مصغرة من بيت الاقطاعى واقطاعيته وبذلك ظهرت طبقـة عبيد الأكواخ . وارتبط العبيد بالأرض ارتباطا ابديا يورث حتى للأبناء وأصبحوا يسـجلون مع الأرض وتنتقل ملكيتهم الـى مـن تـؤول اليـه ولا يجـوز بيـع الأرض بدونهـم او بيعهـم بدون الأرض . وبالرغم من أن احوال الاجراء الأحرار (Coloni) لـم تكـن احسـن حـالاً من هؤلاء الا انه حظر على العبيد جمع الثروات لانفسهم او الخروج عن الحدود الطبقيـة التى رسمتها القوانين والعرف لطبقتهم .

كان الاجراء الزراعيون (Coloni) فى الحقيقة بمثابـة عبيـد للمـالك ولكـن فـى نظـر القـانون كـانوا احـرارا بـالمولد . وكـانوا يكونـون غالبيـة سـكان الاقطاعيـة ، فهـم كـالعبيد يملكون مع الأرض . وكان يحق لهم زراعة قطعة من أرض الاقطاعية نظير نصف [1]

١ – هذا بالإضافة الى الضريبة التى كانت تقدر فى مصر بثلث المحصول أى أن ما يتبقى للأجير هو سدس المحصول ومن العجيب أن هذا النظام كان موجودا فى مصر الى عصر قريب مما يعرف بطبقة السداسة .

المحصول وامتلاك مبلغ معين من المال ولم يكن القانون يسمح للاجير بترك الأرض التى يزرعها او هجرة الاقطاعية او تغيير مهنته واذا حدث وهرب فأن السلطات ترجعه بالقوة الى حيث كان يعمل . وبالرغم من أن الاجراء كانوا احرارا بالمولد الا انه كان يحق لصاحب الفيلا ان ينزلهم الى طبقة العبيد عقابا لهم . وكان وضعهم الاجتماعى ينتقل الى ابنائهم بالميراث فابن الاجير يجب أن يكون اجيرا لكن الفارق البسيط الذى كان يميز الأجير عن العبد هو أنه كان من حق الأجير امتلاك المال وتوريثه لابنائه ، كما كان من حقه أن يلتجأ الى القضاء ويقيم الدعوى بينما حرم العبد من هذه الحقوق . ويجئ ما من الفلاحين الذين لم يكن فى حيازتهم اى اراضى زراعية ، أو ممن نسميهم بعمال الزراعيين ، او من أسرى الجرمان ، أو من البرابرة الذين وطنهم الرومان فى المناطق المهجوره أو فى داخل الامبراطورية ، أو من العبيد الذين اعتقوا وأصبحوا احرارا . لكن غالبية الاجراء الزراعيين كانوا فى الأصل من صغار الملاك الذين ساءت أحوالهم بسبب بهاظة الضرائب وقلة المحصول وارتفاع التكاليف الزراعية ، فعجزوا عن زراعة الأرض ، كما كان محرما عليهم الهروب منها ومن ثم لجأوا الى تسليم أراضيهم دواعية للاقطاعى نظير حمايتهم بنفوذه من ظلم جباة الضرائب ومن جشع المواظفين وهذا النظام يعرف بنظام " الوصاية " Commendatio وقد حاول بعض الأباطرة وقف هذه العملية اللاأخلاقية بسن تشريعات ضد نظام الوصاية الا انهم عادوا وأغمضوا عيونهم نظرا لأنهم كانوا فى حاجة الى الاقطاعيين كمصدر تمويل للأمبراطورية . وقد تطور هذا النظام فى العصور الوسطى ليصبح نواة للمجتمع الفيدرالى Feudalist (١) .

كانت المدينة هى الوجه المقابل للريف ، وكان يسكن المدينة عادة طبقة كبار الموظفين . خاصة الذين كانوا يتولون نيابة عن الاقطاعيين تنفيذ اعمالهم وجمع الضرائب

---

١ - استخدمت كلمة فيودالى لاختلاف وضع الاقطاع فى العصر الوسيط عن وضعه فى مصر فى العصور الوسطى والحديثة .

للامبراطورية . وكانوا هؤلاء وكلاء الأمبراطورية وعادة يمثلون الطبقة التى تملك قدرا من المال ودون الاعيان . ومن ثم فرضت عليهم الحكومة تولى عضوية المجالس البلدية municipia أو مجالس الشورى الاقليمية فى بلادهم وقد عرفوا باسم Curiales (١) نسبة الى عضوية المجلس Curia وفى أوائل عصر الامبراطورية كان هذا المنصب مرغوبا فيه بالرغم من ثقل الالتزام على من يتولاه . لانه كان لا يزال براقا ويعطى لحامله امتيازا طبقيا محدودا ، ودليلا على سعة حال حاملة كما كان بمثابة البوابة التى يعبر منها صاحبها الى المناصب الأعلى .

غير أن اصلاحات ديوقلديانوس وقسطنطينوس قصمت ظهر هذه الطبقة وأصبحت اعباؤها لا تطاق ، اذا أصبحوا ينفقون على منصبهم من اموالهم الخاصــة ، بالإضافة الى دفع العجز فى الضرائب من أموالهم الخاصة التى اعتبرتها الدولة ضمانا مرهونا لديها مما أدى الى افقارهم وبالتالى حاولوا الهروب بتغيير مواطنهم أوالالتحاق بالجيش او الانخراط فى سلك الكهنة المسيحيين ، واضطرت الحكومة الامبراطورية من جانبها الى اصدار تشريعات تربطهم بمناصبهم وتضيف آخرين الى قائمة الشرف وفرضت عقوبات صارمة على المتهربين من هذه الوظائف الشرفية . وكما كان هؤلاء الموظفون ضحية لظلم النظام الحاكم فقد وجدوا فى المزارعين الفقراء ضحية وكبش فداء فاستخدموا معهم أبشع الطرق من أجل تحصيل الضرائب المطلوب لدرجة أن كلمة Curialis أصبحت مرادفة لكلمة " المتعسف " وجرى مثل يقول كل موظف شرفى ، طاغية Tot curialis , tot Tyranni .

وبالرغم من قوانين الدولة الصارمة بشأن الحفاظ على طبقة الموظفين الشرفيين الا أنها انقرضت أبان القرن الخامس عندئذ ادركت الحكومة مدى أهمية هذه الطبقة وحاولت اعادة الحياة لها ولكن فان الوقت كان متأخرا .

---

١ — واحيانا عرفوا باسم الديقوريون Decuriones .

ثانياً – الإضطراب الفكري:

طحن الفقر السواد الاعظم من الناس ، وشغلهم الحرمـان عمـا يدور مـن حولهـم مـن تقلبات سياسية ، بل أصبحوا فى واد والدولة فى واد آخر .

وكما يحدث عادة فى مجتمعات التخلف والحرمان الاقتصادى يلجأ الفرد الكادح اليائس الى الخرافات والسحر والشعوذة والغيبيات هروبا من الواقع المر وبحثا عن البلسم الشافى لأدميتـة المهانـة ولكبريائـه المجـروح . ويزدهـر عـادة فـى هـذا المجتمـع ، ديانـة الزهـد والتقشف والتبشير بيـوم الآخرة والدعـوة الـى خـلاص النفـوس وانتظـار ظهـور المخلص وأحياناً يلجأ الفرد الكادح الى عقائد دينيـة ايجابيـة النظـر تدعـو للثـورة الاجتماعيـة وقلب المجتمع رأساً على عقب ، ولكن هذا الاتجاه الأخير بقى محدوداً فى حركات اقليميـة وفـى المناطق النائية من اجراء الامبراطورية .

هذا الهروب (escapism) للنفوس الحائرة جعل الناس تقبل علـى بضاعـة المبشـرين الملوحين بنعيم يوم الآخرة ، أما بالنسبة للمثقفين فقد إزدهرت حركـة الصوفيـة المتسـامية عن اللذة الماديـة والتـى هـى فـوق مـا يعيـه الجمهـور السـاذج ، لأن حركـة الصوفيـة هـى التفلسف فى جوهر الخلق والمخلوق والخالق ، وفى البحث عن القانون الأزلى الذى يحكم الوجود . أو فى تحقيق السعادة القصوى Summum bonum عـن طريـق ضبـط النفـس . والالتزام المطلق بقوانين الفضيلة ، كالحق المطلق والبعد عن الخطيئة وهى مفاهيم فلسـفية تحتاج الى إستعداد عقلانى راق . ولقـد تركـت الرواقيـة تـأثيرا عميقـا علـى فكـر المثقفين بمناداتها بالإخوة العالمية والمساواة بين البشر وايمانها بقانون الطبيعة الازلى الذى ينطبق على كافة البشر وما دام الموت يساوى بين جميع الكائنات Mors omnia aequat فـلا فـائدة اذا من الفروق الطبقية الاجتماعية لأنها من صنع العالم المادى الوضعى وهو عالم محـدود ومؤقت (١) .

---

1 - Cf., G. Sabine, A History of political Thought (New York, 1964), PP. 149 - 150;

- عثمان أمين – الفلسفة الرواقية – مكتبة الأنجلو – القاهرة ١٩٧١ – من ٢٥٧ وما بعدها .

هكذا تبلورت فلسفة جديدة تجمع بين الفكر الرواقى الصارم والروحانية الافلاطونية والرياضية الفيثاغورثية فى قالب جديد يمزجها بالدين والتراث الوثنى فيما يعرف بالافلاطونية الجديدة Neo . Platonism ووجدت لها عشاقاً ومريدين وتبناها الاباطرة لحركة مناوئة للمسيحية ، ولكن لم تنجح هذه الفلسفة لانها عسيرة فى الفهم ، عالية فى التفلسف ، صعب إدراكها على الغوغاء الساذجة ، ومن ثم اتجهوا الى ديانات الشرق بروحانيتها ودعوتها بالعالم الآخر متمثلة فى عبادة مثرا Mithra ورب الشمس الذى لا يقهر Sol Invictus .

١ – العقيدة المثرائية :

كما سبق أن ذكرنا عند معالجتنا لمظاهر الحياة الفكرية ابان القرن الثانى الميلادى أن عبادة مثرا رب الشمس والنور الفارسى الأصل والذى يتمثل فيه الحق وتسوده الفضيلة ، ضد الظلام والظلم والرذيلة وهو رب مقاتل ايجابى النظرة ، اعتقد عبيده بأنه الوسيط بين الرب الأبدى الأسمى والإنسان الضال (١) ولهذا جاء مثرا ليهديهم سواء السبيل ، كما بشرت المثرائية بقدرة الانسان فى أن يتصل بالرب الإسمى عن طريق التنسك والتصوف والطهارة والعبادة حتى برفع عنه الحجاب ، كما مارست التعميد baptism والتثبيت على العقيدة (Confirmation) والمستيرية او الشعائر والعبادة السرية . ولما انتظمت العقيدة الجديدة أصبح لها تقويم يحدد الأيام المباركة وأيام الأعياد . فمثلا اختارت يوم الشمس (الذى أصبح يوم الأحد فيما بعد) عطلة اسبوعية مقدمة ، واختاروا الخامس والعشرين من ديسمبر كعيد لقيامة مثرا وصعوده الى السماء ، وهذان العيدان بقيا تراثا خالدا فى المسيحية حتى عصرنا هذا (٢) .

---

1 - Joseph Vogt , op . cit ., P . 132 .

2 - Burgh , Legaey of the Ancient world , Vol . 11 , (Middlesex 1953) , PP 339- 341 ; also cf . John Ferguson . The Religions of the Roman Empire (Thames and Hudson 1970) , P . 54 FF , also Joseph Vogt , op . cit ., P 36 F

ولما كان مثرا ربا نشيطا يحارب الشر ويتمتع بروح قتالية عالية على الدوام فقد إنتشرت عبادته بين صفوف الجنود جنبا الى جنب مع جوبتر دوليخنوس الفولاذى والذى قيل أنه ولد حيث ولد الفولاذ Nato ubi ferrum nascitur (١)

ب - الافلاطونية الجديدة :

كان على الفلسفات القديمة أن تنزل من علياتها لتنافس الديانات الشرقية وتخاطب الجماهير بشئ من البساطة حتى يقبلون عليها ، ومن تم اتحدت الفيتاغورثية والافلاطونية والرواقية فى قالب دينى روحانى من أجل إنقاذ تراث الوثنية الإغريقى الرومانى . وكان الفيلسوف الروحانى افلوطنين الأسيوطى أول من ارسى قواعد هذا الإتجاه الجديد فى كتابة " التاسوعات " (Enneads) والذى حاول فيه أن يوق بين تناقض العالم الميتافيزيقى المجرد والعالم الأرضى المحسوس ، مستخدما منطق الافلاطونية فى أن الحقيقة هى الفضيلة هى الروح ، والروح هى الخلود لأنها أزلية ، أما الجسد فهو إنعكاس للروح أى أنه صورة وليس أصلا وكل ما يصدر عن الروح التى هى الأصل هو بمثابة البداية والنهاية للكون الذى يعيش فيه (٢) .

وعلى أى حال نجح افلوطين الفيلسوف المصرى القادم من قلب الصعيد فى أن يعرض فلسفته على الامبراطورية الرومانية . ولذا استدعاه الامبراطور ليبشر ويعظ على مدى ربع قرن فى قلب العاصمة روما ويقوم بدور الراعى الصالح لأتباعه ، حتى نجح فى إنشاء كنيسة تحت رعاية الامبراطور الذى تحول الى مريد له وهو جاللينوس وكانت هده الكنيسة الأفلاطونية وثنية بالطبع ، لكنها متدينة تدعو الى وحدانية كل الآلهة فى جوهر واحد ديناميكى Dynamic Pantheism .

1- Cf., G R Watson, The Roman Soldier, Burgh, op. cit., 245 F P .132 F

٢ عثمان أمين (المرجع السابق) - ص ١٢٩ .

ومات افلوطين الفيلسوف الروحانى عام ٢٧٠ م من جراء مرض اصاب فمه يرجح العلماء بأنه سرطان الفم ، واستقبل الموت بكلمات فلسفية رقيقة مرحبا به وهو يقول " أننى فى انتظارك قبل أن اتحدث روحى المقدسة بروح الوجود المقدس (١) . ومات تاركا فلسفة دينية قوية لها عبادها ومريدوها بفضلهم ظلت مزدهرة حتى قرر الامبراطور الشرقى جستنيانوس اغلاقها مع سائر المدارس الوثنية عام ٥٢٩ م (٢) .

جـ – المسيحية ايدلوجيتها وطوائفها :

باءت كل المحاولات الوثنية والفلسفية بالفشل فى محاولتها القضاء على المسيحية التى برزت فى تحد كمنافس خطير للأفلاطونية الحديثة فحسب بل لكل التراث الوثنى هو محصلة الحضارة الإغريقية الرومانية على مدى آلاف السنين .

لقد إنتشرت المسيحية فى الوقت المناسب وأطلقت ثورتها الإنسانية ذات المبادئ البسيطة فهزت الامبراطورية الرومانية هزا وقوضت مجتمع الارستقراطية والبيروقراطية والاقطاع . ولهذا حاولت الوثنية وانصارها الارستقراطيين سحق هذه الحركة وتحمل المسيحيون الأول ابشع أنواع التعذيب والإضطهاد ولكنها تحملت فى صبر ولإصرار وسارت فى طريق الآلام حتى النصر . ويرجع المؤرخون الأسباب التى أدت الى انتصار المسيحية وإنتشارها الى عدة أسباب فمن نا حية رأى رجال اللاهوت والكنيسة أنها إرادة الله وإرادة الله كان لا بد وأن تنتصر بعد التضحية من أجل خلاص النفوس أما العقلانيون

1 - Cf. Ferguson , op .cit ., P . 206 - 207 . Buregh , op .cit .,P . 339 - 346

٢ – فؤاد حسن زكريا – التسوعة الرابعة لافلوطين – الدار القومية ١٩٧١ القاهرة ، كذلك انظر :

Hilary Armstrong , J. H . S . Vol . XCIII (1973) , P . 15 - 22 : J . Dodds , J R . S ., (1960) , P . 1- 7 .

الذين يمثلهم ادوارد جيبون Gibbon فيورد خمسة تفسيرات اولهما غيرة المسيحيين الأول واصرارهم على التمسك بالعقيدة ، وثانيهما انجذاب الناس بفكرة الجنة والحياة الأخرة حيث يعيشون حياة مثلى ، وثالثهما بطولة الكنيسة وصمودها والمعجزات التى حققتها ، ورابعهما حياة الزهد والتقشف التى ضرب بها المسيحيون الأوائل المثل الأعلى فى البعد عن متاع الدنيا مما جذب الناس اليهم ، وخامسهما دقة التنظيم والخلايا (١) فى السلك الكنيسى ابتداء من الشعب الى الخدام والشمامسة والكهنة الى المجلس والقس ثم الاسقف

وتتلخص المسيحية فى الايمان بالأب الذى هو الله والابن المسيح والروح القدس Spirtus Sanctus الذى عن طريقه أنجب الله المسيح من مريم العذراء وأن الهدف من قدوم المسيح الى العالم هو خلاصة . وقد جاء لخاصته ولكن خاصته (أى بنى اسرائيل) لم تقبله ، فصلبوه ولكنه قام فى اليوم الثالث وخرج من القبر وصعد الى السماء عند أبيه حيث يجلس عن يمينه ولن يعود المسيح الى الارض الا قبل قيام الساعة حيث يقود الفقراء والمظلومين الى المملكة السماوية التى سوف يحققها لهم ووضعت المسيحية شروطا للدخول فيها مثل التعميد والغفران أو التوبة ثم الإيمان بقيامة المسيح وبيوم القيامة .

هذا من ناحية العقيدة ، أما من ناحية الواقع فأن المسيحية تقوم على التراث اليهودى والشريعة الموسوية . فالمسيح ولد فى فلسطين وختن فى اليوم الثانى من مولده كان يهودى ، وتربى على الثقافة العبرانية ، بل وأصبح أحد حاخامات اليهود وقام بالوعظ فى المعبد الكبير بالناصرة Nazareth وأنه جاء لخاصته ليكمل رسالة موسى حسبما قالت نبوءة التوراة .

---

1 Gibbon Ibid, P 141

لكن دعوة المسيح خرجت من نطاق التخصص الضيق التى تتسم به اليهودية التى ايطالية وفى ذلك تأثر بالرواقية ما من شك (١) . ولم يصدقه اليهود لانه قال أن المملكة اليهودية التى بشرت بها التوراة بالنسبة له مملكة سماوية عليا ومن ثم ناصب اليهود المسيح العداء وظللوا يطاردونه ويحرضون الرومان عليه حتى تم صلبه . لهذا ناصب المسيحيون اليهود العداء لانهم قتله المسيح .

ولم تكن الافكار العالمية هى وحدها التى ساعدت على انتشار المسيحية وسط ربوع العالم المسكون ، بل لأن المسيحية تشربت بالأفكار الإغريقية واستخدمت اللغة الإغريقية العامية (Koine) لغة العالم المسكون ولم تستخدم الارامية اللغة التى وعظ بها السيد المسيح نفسه . وفى نفس الوقت إعتنقها كثير من اليهود المتأغرقين لأنها توافق نفسيتهم إذ أنها مزيج من الأفكار الإغريقية والسامية .

كانت بروليتاريا المدن وعبيد الريف الأجراء اسرع طبقات الإمبراطورية الرومانية الى الايمان بالعقيدة الجديدة لأنها كنت طبقات ساخطه على الظلم الذى حاق بها . وكانت المسيحية متطرفة فى تعاملها مع الامبراطور الذى انكرت الوهيته علنا ، وعلى الوثنية (٢) التى ناصبتها العداء . ولهذا اتهمت السلطات الرومانية المسيحين بأنهم هدامون يتآمرون على قلب الامبراطورية وكان ذلك منذ أيام نيرون ، وساعد على ذلك أن نظرة المسيحية الى المشاكل السياسية والإجتماعية والإقتصادية كانت مختلفة تماما مع نظرة الوثنيين . ولهذا بينما تعصب الارستقراطيون للوثنية تعصبت الطبقات الدنيا الكادحة

١- عثمان امين - (المرجع السابق) ص ٢٧٣ وما بعدها . ويقول الرسول بولس فى رسالته الى أهل حالاتيا " لا يهودى ولا اغريقى ، لا عبد ولا حر ، لاذكر ولا انثى ، كلكم واحد فى يسوع المسيح " الاصحاح الرابع س ٢٨) .

2 - Albo Momighano , The Conflict between Paganism and Ghristianity .

للمسيحية ، وتحول الصراع بين الكنيسة والدولة الى صراع طبقى وإجتماعى قبل أن يكون صراعاً عقائديا . ودفعت الكنيسة ثمن عقيدتها بالدم وقاومت الإضطهاد والإستئصال المنظم . ومن أشهر الإضطهادات التى مرت بالمسيحية إضطهاد تراجانوس عام ٩٨ م واضطهاد سبتيميوس سيفيروس عام ١٩٣ م وإضطهاد ديقيوس عام ٢٣٩ م ثم اضطهاد فاليريان عام ٢٥٤ م .وكان أعنفها جميعا اضطهاد ديوقلديانوس . كانت المذابح التى أنزلها ديوقلديانوس بالمسيحيين خاصة فى مصر رهيبة حتى أن الكنيسة القبطية المرقسية فى مصر جعلت بدء تقويمها عام ٢٨٤ م وهى السنة التى تولى فيها ديوقليانوس حكم الامبراطورية الرومانية ويسمى هذا التقويم بتقويم الشهداء (١) . ولكن الاضطهاد زاد المسيحيين إصراراً وقابل شهداؤهم الموت بشهوة الحياة .

وقدمت الكنيسة عدداً من بطاركتها واساقفها ورهبانها وعلمائها شهداء ، وأغلقت مدارسها اللاهوتية وأحرقت الكنائس والكتب المقدسة ، ومع ذلك صمد المسيحيون بل على العكس كان عدد المؤمنين يزداد بإضطراد لأن الوثنيين كانوا ينضمون الى المسيحية متأثرين ببطولات شهدائها من أجل العقيدة . واخيراً يئس الاباطرة من حلم استئصال المسيحية واضطروا الى وقف المذابح البشرية لعدم جدواها ولانها خلقت الخراب وأدت الى اضعاف الإنتاج الزراعى ونقص اليد العاملة وتدهور الإقتصاد فى كثير من أجزاء الامبراطورية (٢) . واعترفوا بالامر الواقع وأعادوا للمسيحيين حرية العبادة . ثم رأى قسطنطين أنه من الأفضل أن يكسب المسيحيين الى جانبه لانهم بمرور الزمن أصبحوا نسبة لا يستهان بها فاعتنق المسيحية وانتهى على يديه عهود الاضطهاد (٣) .

---

١ - مراد كامل - (المرجع السابق) - ص ٣١ ، ٣٢ .
٢ - مراد كامل (المرجع السابق) - ص ٣٢ وما بعدها .
٣ - المرجع السابق - ص ٣٤ .

ولما وجد البيروقراطيون والإقطاعيون وأصحاب المصالح أن الأباطرة أصبحوا مسيحيين تحولوا من الوثنية الى المسيحية حفاظاً على استمرار مراكزهم وثرواتهم ووضعهم المميز مما أدى الى سخط طائفة من المسيحيين على قبول هذا النوع من العباد الجدد ويتمثل ذلك فى تمرد الكنيسة الدوناتية فى شمال افريقيا .

– الصراع الفكرى والعقائدى بين طوائف المسيحية :

غير أن وصول الكنيسة الى شاطئ الأمان كان بداية لإنفجار الصراع اللاهوتى بين طوائف المسيحية المختلفة وطفت على السطح المتناقضات العنصرية والإجتماعيه والفكرية التى اختفت فى القاع وقتها . وكانت الكنيسة تتعرض لخطر الإضطهاد . وتفكك عرى الكنيسة المسكونية الواحدة الى طوائف وفرق متصارعة فظهرت الدوناتية والاريوسية والمونوفستية والبلاجيوسية واتباع مانى " المانيخية " .

ولد مانى Mani مؤسس الطائفة المانيخية فى بابل عام ٢١٧ م من اسرة نبيلة ومن سلالة بارثية مسيحية لانه عمد وثبت فى طفولته كمسيحى . ولكنه لما شب وكبر أعلن أن وحيا سماويا أبلغه رسالة من السماء لينشرها بين البرية ، وأنه مبعوث جاء ليكمل رسالة بوذا وزرادشت والمسيح ، وسافر الى الهند لينشر دعوته التى نجح فى نشرها بين البارثيين والفرس بل ووصلت دعوته الى مصر .

كانت دعوة مانى فى الحقيقة توفيقاً بين المسيحية والمثرائية ومحورها الذى هو الصراع الأبدى بين الرب الذى هو النور والمعرفة ، وبين الشيطان الذى هو الظلم والظلام (١) . ووصف العهد القديم بأنه من صنع رب الظلام اهريمان Ahriman بينماالعهد

---

1 - John , Ferguson , op . cit ., P . 47 . also , cf . Eusebius , The History of the church From Christ to Constantine , translated by williamson (Middlesex 1965) , PP . 319 - 320 .

العهد الجديد من صنع رب الشمس والنور اهورا مازدا Ahura Mazda ، أى أن جوهر الفكرة يقوم على الغنوسية " وهى الإيمان بالخلاص الذى يجئ عن طريق المعرفة دون لا الايمان " . وتدعو المانية " أو المانيخية " الى وجوب محاربة الشر والظلم بمساعدة هداية رب النور والخير . ودعت الى الامتناع عن أكل اللحوم وشرب النبيذ ومجانية النساء لأنها تساعد الناسك على اجتياز الإمتحان الصعب الذى يصل فى نهايته الى مرتبه القديسين وسرعان ما يتبعه كل من يريد الخلاص من ظلم النفس .

ولما كانت هذه الدعوة يغلب عليها الطابع والفكر الإيرانى فقد انتشرت بسرعة قرب هذه المنطقة بل ، حظيت برعاية الملك الفارسى شابور ، ومن بلاد الفرس خرجت الدعوة المانيخية شرقا الى الهند والصين " لأن مثرا جاء من الهند اصلا واستوطن بلاد الفرس " ، واتجهت غربا الى بلاد ما بين النهرين وسوريا ودخلت مصر . وتشير الادلة أن المسيحية المانيخية وجدت لها فريقا كبيرا من المريدين فى مصر . اذ عثر حديثا فى نجع حمادى على نصوص قبطية بلهجة صعيدية تتحدث عن الفكر المانى المسيحى نشرها بويش Puech وودنجرن Widengren (١) . وكان أنصارها يمثلون دعاة الثورة الإجتماعية ضد الظلم الرومانى أو ما يعرف بالثورة المانيخية .

لقد لقيت المانية هوى فى نفوس شعوب مصر والشرق الأوسط حيث ترك الظلم والإستغلال الرومانى بصماته ، وكانت هذه الشعوب فى حاجةالى عقيدة تدعو للثورة والإصلاح الإجتماعى ضد الظلام والظلم المتمثل فى صراع اهورا مازدا لخير ضد اهريمان الشرير . ففى مصر لم تكن اسطورة الصراع بين الخير والشر غريبة لأن الأساطير الفرعونية سبق وأن تحدثت عن اسطورة مشابهة وهى الصراع بين اوزوريس وزوجته ايزيس اللذان يمثلان الخير ضد ست وزوجته نفتيس اللذان يمثلان الشر ، ويضيف فوجت أن نجاح الكنيسة المانية يرجع الى دقة تنظيمها وبراعة الشعائر والطقوس

---

1 - Cf. Vogt , op . cit ., P . 54 .

التى تجند الاتباع وتجمع شمل المريدين . فأصبح لها كنيسة منظمة يترأسها كاهن يعمل تحته رسل مبشرين ، وأساقفة وكهنة ووعاظ .فضـلا عن شعائرها وقواعد عبادتها مثل الصيام والعزوف عن أكل اللحوم وشرب النبيذ ، والتراتيم الصوفية التى ألفت باللغة السوريانية والى لغات عديدة حيث سحرت عبقرية " مانى " الأدبية وصفاء أفكاره كثيراً من شعوب الشرق الأوسط . بل وتسللت الى الكنيسة الرومانية ذاتها عن طريق شمال افريقيا ثم الى أسبانيا لأننا نجد القديس اوغسطين " أسقف مدينة هيبو Hippo فى شمال افريقيا والمبشر بالمسيحية فى جنوب بريطانيا ومؤلف مدينة الله " (١) يتحدث عن صراع الكنيسة الغربية ضد الطائفة المانيخية والتى اعتبرها مؤامرة اجنبية مدبرة ضد الكنيسة الرومانية .

وليس هناك أدنى شك فى أن الثورة المانيخية التى اندلعت فى مدينة الأسكندرية عام ٢٩٧ م والتى قادها زعيمان هما : اخيليوس ورفيقه دوميتيوس والتى بذل ديوقلديانوس جهدا كبيرا فى سحقها أدى الى حصارة الاسكندرية حتى المجاعة ، ثم دخلها وأعدم كل من اشترك فيها – كانت أول محاولة لتطبيق فكر العقيدة المقاتله ضد الظلم الإجتماعى ، وكانت ثورة موجهة ضد الامبراطورية الرومانية لأننا نجد ديوقلديانوس يبعث فى عام ٢٩٧ م برسالة صارمة الى حاكم شمال افريقيا الرومانى ضد المانيخيين وصفهم فيها بأنهم عملاء دولة معادية ، وبأنهم شياطين يثيرون الفوضى ويعكرون صفو السلام الرومانى أو يدعون الشعب للثورة ويسمعون أفكار الناس ، ثم أصدر قراره بوجوب تصفية هذه الحركة وحرق زعمائها أحياء مع كتبهم المقدسة وقطع رقاب أتباعهم ، أما الرومان الذين دخلوا فى هذه العقيدة فقد أصدر أمره بأن يسجنوا مدى الحياة ويقومون بالأعمال الشاقة فى المناجم والمحاجر (٢) .

---

1 - P . Brown : Augustine of Hippo - A bibliography , London Faber & Faber 1967

2 - Cf . Mosaicarum et Romanorum legum collutio 153 , I , ff = Vogt .Ibid , P . 54

ومن ناحية أخرى نجح المجوس فى الكيد لزعيم الطائفة مانى عند ملك الفرس واقنعوه بأنها مؤامرة لتلويث التراث المجوسى فحكم على مانى بالسجن الذى بقى فيه حتى موته عام ٢٧٦ م . لكن موته لم يمنع عقيدته من الانتشار شرقا وغربا . ولم يمنع الإضطهاد الوثنى ثم المسيحى الغربى هذه الحركة من الإنتشار حتى داخل الكنيسة الغربية ذاتها . ففى عام ٣٨٥ م أعدم الاسقف السبانى بريتسيليانوس بتهمة الإنتماء الى الطائفة المانية وأحرق اتباعه احياء . ورغم ذلك تركت تراثها فى الطوائف المسيحية المتاخرة والتى ظهرت فى العصور الوسطى (١) .

ومن المذاهب المسيحية التى دعت الى الثورة أيضا مذهب الدوناتية التى قادها دوناتوس ضد مسلك اسقف قرطاجه فى اوائل القرن الرابع وتطورت الى الثورة على نزاهة لاساقفة والمندسين على لعقيدة من الأرستقراطيين والبيروقراطيين الذين دخلوا الكنيسة لحاجة فى نفوسهم وللحفاظ على مكاسبهم ومراكزهم ، ثم تطورت أكثر وأكثر الى اختلاف عقائدى متخذا طابع الثورة الإجتماعية ضد الأرستقراطية المسيحية والسلطات الرومانية ودعت الى وجوب تحرير العبيد وإجبار الأسياد على القيام بدور العبيد كشرط للقبول فى الكنيسة . وبالرغم من أن ادانة الكنيسة الرومانية للدوناتية الا أنها بقيت قوة مؤثرة فى شمال افريقيا منذ عهد قسطنطين حتى الفتح الوندالى لشمال افريقيا عام ٤٢٩ . وقد إستقبل الدوناتيون الغزاة الواندليين بالترحاب وإعتبروهم محررين لهم من بطش الرومان وكنيستهم (٢) حيث ثبت أن الصراع ليس مرجعه الخلاف على بعض تفسيرات العقيدة المسيحية وانما مرجعه الى الشخصية السامية للكنيسة الافريقية ولافكارها ولرغبتها فىالثورة على ظلم الاستعمار الرومانى المتمثل فى الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا السبب وكيدا فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية رحبوا بالوندال الذين ينتمون الى المذهب الاريوسى (٣) .

---

1 - Cf. W. Durant. The Age of Faith, 325 - 1300, P. 47.

2 - S. Neil, A History of Christian Missions (1964) P. 38.

3 - Cf. Vogt, op. cit., 3. 92 and P. 227; Gibbon, ibid, vol. II. P. 550

كانت الاريوسية اشد الطوائف المسيحية خطرا على كنيسة روما . لتجاوب منطقها مع المنطق العقلانى للشعوب الجرمانية التى اغارت على روما ، بل أن الامبراطور قسطنطينوس نفسه آمن بها وتعاطف معها بالرغم من تراسه لمؤتمر نيقية عام ٣٢٥ م والذى حرم الاريوسية وطرد الاريوسين من الكنيسة الا أن الراهب الذى عمده وهو على فراش الموت عام ٣٢٧ م هو يوسيبيوس الاريوسى . وقد خرجت الاريوسية من الاسكندرية . ويقوم منطقها على أن الابن رغم أنه وجد قبل الخليقة الا انه يأتى بعد الاب ولا يجب أن يسمو الى منزلته جوهرا وقدسية وأزلية ، ومن الغريب أن معارضتها الشديدة خرجت من الاسكندرية أيضا على يد الكسندروس وشماسة اثاناسيوس . وأصبح المسيحيون منقسمين (١) ز أما مع أريوس أو مع مؤتمر نيقية . وفى ذلك الوقت تبنت كنيسة الاسكندرية مذهب المونوفيزية الذين قالوا فيه بالطبيعة الواحدة الالهية للمسيح ويؤمنون أنه هو الله ظهر فى صورة البشر وينكرون وجود أى طبيعة بشرية له . وبالرغم من ان مؤتمر خلقدونية عام ٤٥١ ادان المونوفيزية الا انه أصبح دعامة الكنيسة القبطية وفروعها فى الحبشة وسوريا .

وعلى النقيض من المونوفيزية جاءت النسطورية نسبة الى نسطور Nestor كبير اساقفة القسطنطينية عام ٤٢٨ . وقد قادته دراساته اللاهوتية الى أن الطبيعة البشرية هى التى تطغى على المسيح حيث أن مريم العذراء أم المسيح من البشر. ولكن مؤتمر افيسوس الكنسي دحض هذه المزاعم وحرمها عام ٤٣١ ولكن هذه الدعوة استمرت وانتشرت فى سوريا وبلاد ما بين النهرين وإيران وأواسط آسيا الصغرى والى كهنة النساطرة يرجع الفضل فى ترجمة وحفظ التراث الهللينى ونقله الى الماكن التى ذهبوا اليها .

- Vogt , op . cit ., P . 114 .

اما الطائفة البيلاجوسية التى اوجدها الراهب البريطانى المولد بيلاجيوس Pelagius عندما ذهب الى روما عام ٤٠٠ ، ثم هاجر الى قرطاجة ثم أقام فى فلسطين مهد المسيح . وذهب بيلاجيوس وأن الانسان مخير وليس مسيرا ، وبالتالى شك فى قدرة الانسان ان يحرر نفسه من الشر والخطيئة بمشيئته الذاتية وبناء على ذلك أنكر فكرة توارث الخطيئة منذ أيام آدم ابى البشر (١) . وقد تصدى القديس اغسطين للرد على البيلاجوسية . وبالرغم من أن المجمع الكنسى الافريقى ادانها عام ٤٢٠ م وإعتبرها هرطقة . ثم أيد ذلك مؤتمر افيسوس عام ٤٣١ الا أن البيلاجيوسية وجدت لهـا عشاقا بين رهبان بلاد الغال . ومن هناك انتشرت الى بريطانيا حيث عجزت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أن تملى شوطا فى هذه الولاية التى لم يعد للامبرطور الرومانى اى سلطان عليها .

هذه صورة موجزة للصراع التفكك الفكرى الذى ساد ولايات الامبراطورية فأضعف وحدتها فى وقت راحت القبائل الجرمانية تهاجم الامبراطورية وتقتطع منهـا أجزاء تستقل بها الى أن استقلت تماما بالشطر الغربى للإمبراطورية مكونة دويلات لها شخصية مستقلة وهى أصل بعض دول أوروبا الحديثة .

---

1 - J . Vogt . op . cit P . 278 .

د – سقوط الامبراطورية :

منذ أن سقطت الامبراطورية الرومانية والمؤرخون لا يكفون عن البحث والتقصى عن الأسباب التى أدت الى سقوط الامبراطورية الرومانية . واختلفت الأراء حسب نظرة المؤرخ من زاوية محددة وحسب المناخ الفكرى والسياسى الذى سيطر على العصر الذى عاش فيه . ومن ثم لدينا تفسيرات مختلفة ومتباينة ونظريات متناقرة عالجت موضوع سقوط الامبراطورية من زاويا متعددة دينية وعقلانية وإقتصادية وطبيعية . وكما يقول جونز " كان لكل عصر تفسيره لاضمحلال وسقوط الامبراطورية " (١) .

ففى جو التوتر الدينى بين الوثنية والمسيحية تبادل مؤرخو كل من الفريقين التهم فقال زوسيموس Zos mus أحد كبار مؤرخى القرن الخامس ومؤلف موسوعة التاريخ الجديد أن المسيحية هى المسؤله عن تردى الاحول الإقتصادية فى الامبراطورية . وأن سقوط روما على يد الاريك هو رد فعل لغضب الآلهة الوثنية التى صنعت روما وبنت عظمتها ثم القى اللوم على الامبراطور قسطنطينوس بأنه المسؤل الأول عن هذا السقوط لانه دخر الوثنية واحل المسيحية محلها .

ويرد اوروسيوس أن الرومان ابان عصورهم الوثنية لاقوا من الهزائم ما هو اقسى مما لاقاه الرومان فى العصر المسيحى اذا فلا ذنب للمسيحية فى ذلك ، ولكنه يتنبأ بأن الله لن يترك البرابرة فى غيهم بل سرعان ما سيهديهم ويتحولون الى خدام للامبراطورية.

ويتلقف الاخلاقيون المسيحيون الموضوع فيعلن سالفيانوس فى كتابه De gubernatione Dei " عن حكومة الله " أن حكمة الله وحكومته ضد أى انعواج خاصة الانعواج الاخلاقى ويفسر سقوط الامبراطورية بأنه عقاب من الله بسبب الخطايا والضلال والإنحراف الذى يعيش فيه الرومان . أما القديس اوغسطين مؤلف كتاب مدينة الله فقد

1 - A. H. M. Jones, Thoughts on the Decline of the Roman Empire. Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University, vol. XXIII, pat I, May 1961, P. 9 f.

ذهب بأن سقوط روما – التى شبهها بسقوط بابل كما جاء فى التوراة – هو نتيجة الارادة الالهية التى تدير الكون وتوجه مصائر البشر حتى تنتصر مملكة الله الابدية وهذا مصير كل الدول والبشر (١) . أما المؤرخ الوثنى المتسامح اميانوس ماركيللينوس Ammianus Marcellinus المولود عام ٣٣٠ فى انطاكية والذى امتدحه جيبون كثيرا لتحريره من الانجاز والتطرف الذى ساد فى عصر ، فقد نسب المصائب التى حلت بالرومان الى انعدام الوازع – الأخلاقى عندهم (٢) . واخيراً يتناول يوحنا اسقف نيقية نفس الفكرة الأخلاقية فى العصر البيزنطى ليشرح سبب انتصار العرب على الرومان بعد فتح عمرو بن العاص لمصر بأن ذلك تم عقابا على ما اقترافه جستينانوس وهرافليوس لباطرة بيزنطة " من اضطهاد ضد الاقباط الاورثوذوكسين فى مصر .

وفى عصر الثورة الصناعية وإنتشار العقلانية الالحادية خاصة بعد الثورة الفرنسية نجد تفسيرات مؤرخى هذه الفترة لسقوط الامبراطورية تتخذ الطابع الإلحادى العقلانى الذى يهاجم المسيحية لعدم مسايرة الكثير من جوانبها للتحليل العقلانى والتى تعتبر تراث العصور الوسطى المسيحية فترة انتكاس فى تاريخ الحضارة الاوربية . ويجئ على رأس هذه المدرسة المؤرخ ادوارد جيبون مؤلف العمل الكبير والخالد " اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية . وخلاصة رأى جيبون أن التسلط العسكرى والدكتاتورى قتل الفضائل التى كان يتخلى بها الرومانى القديم وجاءت المسيحية واسبطت روحه المعنوية .

---

1 - St. Augustine, The city of God, translated and abridged by G. Walsh and Others, New York 1955, PP. 16 - 31.

لقد استفدت كثيرا من التخليص الذى قدمه الدكتور عبد القادر احمد اليوسف فى كتابه العصور الوسطى الاوربية (الفصل الأول ص ١٣ الى ٢٧) مع التحفظ على طريقة عرض بعضها والتى هى فى الواقع تلخيصا لما عرضه موميليانو فى كتابه .

The Confict between Paganism and Christianity in the Fourth Century PP. 1 - 12.

2 - Ammianus Marcellinus translated by J. Rolfe (Cambridge 1935), XVI.

وحولت هذا الشعب الرومانى الى شعب سلبى إنهزامى ، وأن الرهبنة والكنيسة جذبت إليهما الآلاف من أبناء الرومان القادرين على العمل فى وقت كانت فيه الدولة فى حاجة الى طاقاتهم ، ثم اضاف أن الصراعات الطائفية المسيحية هى المسؤلة عن تفكيك عرى الوحدة الوطنية وهى التى أدت إلى انقسام الامبراطورية وتفككها .

وهناك فريق من الأساتذة من يعزون تدهور الامبراطورية الى تقلبات مناخية تولد عنها نكبات اصابت المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف . ويشير هنتنجتون Huntigton إلى أن الاحصائيات تبين أن العالم تعرض (١) فى الفترة ما بين ٢٠٠ – ٤٠٠ ميلادية الى فترة جفاف مريرة نتج عنها مجاعات وهذه المجاعات أدت الى الثورات ، وقبل كل شئ الى تحرك القبائل البربرية من الجرمان والقوط بحثا عن الطعام وهى القبائل التى هاجمت الامبراطورية فى الغرب ووضعت نهاية لها (٢) ولكن جونز يرد على هذا الرأى بأنه لا يقوم على أدلة ثابته .

ويعزى سيمكوفتش Simkhovitch سقوط الامبراطورية الى الافلاس الزراعى الناتج من انهاك التربة واهمال الحكومة فى أى مشروعات لتحسين الزراعة مثل الرى والصرف ، وقلة الانتاج وزيادة التكاليف وبهاظة الضرائب مما شجع الناس على ترك المزارع . فتحولت إلى مراعى ، وقد لوحظ ذلك من قائمة الأسعار التى أصدرها ديوقلدنانوس حيث لوحظ هبوط سعر اللحوم بينما ارتفعت اثمان المحاصيل الزراعية ويضيف سيكوفيتش الى تفاقم خطر الاوبئة التى راح ضحيتها الآلاف من سكان الريف مما نتج عنه النقص الشديد

---

1 - Ellsworth Huntigton " Climatic change and Agricultural Exhaustion as Elements in the Fall of Rome " Quarterly Journal of Economics , 1916 .

2 - Joues Loc . cit ., P . 11 .

فى الأيدى العاملهخاصة فى مجال الزراعة (١) . ويرد الاستاذ جونز على اصحاب هذا الرأى بأنه يحوى بعض الحقيقة وليس كل الحقيقة لأنه بالفعل حدث هذا فى بعض الحالات ولكن حكومة الإمبراطورية إتخذت إجراءات لمعالجة ذلك مثل الإعفاء الضريبى للمعمرين الجدد للأراضى المهجورة أما فيما عدا ذلك فالأرض كانت جيدة والإنتاج وفير بدليل أن الإيجارات إرتفعت عن ذى قبل وبدليل أن الرحالة العرب يتحدثون عن رخاء بعض الولايات الرومانية مثل مصر وشمال افريقيا عندما انتشروا أبان القرن السابع . ويضيف جونز أن هذا الرأى ربما قد ينطبق على العصور الوسطى (٢) . كما يعترض على هذا الرأى باينز مبينا أن الدمار الزراعى لم يلحق بكل و'يات افمبراطورية وإنما ببعضها فقط ، ويضرب المثل ببلاد الغال حيث بقيت زراعتها مزدهرة حتى القرن الخامس الميلادى ولكنه يلقى اللوم على نظام إدارة الأراضى الزراعية . وذلك أن أصحاب الإقطاعيات الكبرى Latifundia تركوا زمام افدارة الى وكلائهم وبقوا هم فى المدن (absent landlords) يعيشون من دخلها فنتج عن ذلك إهمال هؤلاء الوكلاء وعدم حرصهم على رفع الإنتاج او المستوى الزراعى للضياع (٣) .

---

1 - G. Simkhovitch Rome's Fall , Re - considred " , Journal ot political science , 1916 .

2 - Jones , Loc . cit ., P . 11 .

3 - N . Baynes The Decline of the Roman Empire in Western Europe , Journal of Roman Studies , 1943 ; also of The transformation of the ancient world . Gibon 's problem after two centuries (Uica center for Medieval and Renaissance Studies , Contribution III) , published by white . Jr ., Berkeley los Angeles , University of California , press 1966 .

أما الذين ذهبوا إلى أن دمار الإقتصاد فى الامبراطورية أدى إلى تدهورها وسقوطها فهم كثيرون . نورد منهم اندريه بيجانيول Andre piganiol الذى لخص السبب فى نقص الأيدى العاملة خاصة العبيد – الطاقة الأساسية لأعمال الإنتاج الزراعى ، ثم الحروب الأهلية وأعمال التمرد المتعدده التى قام بها الجنرالات ومحاولتهم الانفصال والإكتفاء ذاتياً بمقاطعاتهم مما أدى الى عودة النظام الإقتصادى البدائى وتدمير رأس المال بالطاقة المنتجة . ثم تدهور مركز روما التجارى الدولى بسبب فقدها السيطرة على الطرق الدولية للتجارة نتيجة لظهور الفرس كقوة جديدة فى منطقة الخليج والشرق الأوسط ، ونتيجة لنجاح طريق الراين – الدانوب ومنافسته لطريق الخليج – البحر المتوسط وذلك بعد حكم تراجان وأخيراً ، أورد بيجانيول رعونة الدولة فى إدارة اقتصادها عندما حاولت التدخل فى المشروعات وقامت بدور الرأسمالى المستغل الذى يجند العمال اجبارياً ويستغلهم شر استغلال ويفرض الضرائب الباهظة على الفلاحين مما أدى إلى الهروب الجماعى اوتسليم أراضيهم الى الإقطاعيين الذين كان معظمهم لا يدفعون الضرائب نظراً لمراكزهم الإجتماعيه العالية . وبالرغم من الامبراطورية حاولت فى أيامها الأخيرة التخفيف من

قبضتها على الإقتصاد ووقف زحف الإقطاع الا ان عدم الإستقرار المتمثل فى هجوم البرابرة الحرمان والقوط على حدود الامبراطورية فى الغرب وفى البلقان .

كما أن بعث الامبراطورية الفارسية فى الشرق أغرق الامبراطورية فى حروب باهظة ومكلفة الى رفع الضرائب لتعويض نفقات الحرب فتدهور الإقتصاد بينما فشلت الامبراطورية فى مقاومة الغزاة (١) . ويؤكد ولبانك على مسئولية الاقطاع الذى كان مرجعه الى نقص الأيدى العاملة خاصة العبيد ، فضلا عن الاعتماد على بدائية الوسائل

---

1 - Andre Piganiol : L'Empire Chretien, paris 1947 , pp . 411 - 422 .

المستعملة فى الانتاج مما جعل العمل مرهقا والمحصول ضئيلا بينما الضرائب باهظة . أما الصناعة فكانت لا تكاد تذكر فالصوف كان يعزلبالمعازل اليدوية والنسيج ينسج بنولات أيضاً يدوية لدرجة أن نسيج ثوب واحد كان يستغرق مجهود شهر من العمل الشاق أما الأسلحة والمطروقات عن طريق الكبر فبدائية طرق الانتاج هو الذى أدى الى خراب اقتصاد الامبراطورية ومن ثم الى سقوطها (١) .

أما وسترمان Westerman فلا يرى فى تدهور طبقة العبيد المنتجة سببا فى تدهور الإقتصاد ، بل يرى أن قتل الاقتصاد الحر والقضاء علىٰ المشروعات التى يقوم بها الأفراد هو الذى قضى على الإقتصاد ففى مجال الزراعة ساعدت سياسة الدولة على ظهور ونمو نظام الإقطاع وذلك على حساب اصحاب الملكيات المتوسطة والصغيرة الذين تحولوا الى أدوات إنتاجية يستحلبون لصالح الاقطاعى بل حلت هذه الطبقة محل العبيد . مما قوض دعامة الطاقة المنتجة (٢) .

---

1 - Walbank , The Decline of the Roman Empire in the west New york 1935 , P . 3 - 7 .

وقد أعاد نشر كتابه حديثا قبل وفاته وبعد أن غير قليلا من آرائه القديمة انظر :

F . W . walbank , The awful Revolution The Decline of the roman Empire in the west , Liverpool University press , 1969 , P . 2 ff .

2 - W . westerman " The Decline of Ancient Cultures The American Historical Review , 1915 .

ويذهب فريق آخر من الاقتصاديين الى أن السبب هو أن التجارة الدولية لم تكن فى صالح الاقتصاد الرومانى (١) لأنها كانت تجارة كماليات مثل العاج والحرير والتوابل والعطور وبالتالى لم تكن روما تصدر أشياء مقابلة لأن صناعاتها كانت بدائية وللاستهلاك الداخلى فقط فضلا على أن الحكومة لم تشجع على الصناعة التى كان الرومان يحتقرونها كما أن السلطات حرمت على الرومان توظيف أموالهم فى التجارة التى اعتبروها من شيمة العبيد وليست من شيمة الأحرار . ومن ثم كان عليها أن تدفع ثمن هذه الكماليات ذهبا . ولما كانت المناجم قد هجرت او نفذت فقد كان من الصعب على الرومان تعويض هذا المعدن أو حتى وقف استنزافه فكانت النتيجة تقليص العملة بتخفيض نسبة الفضة والذهب فيها لدرجة مفزعة وبالتالى انخفضت قيمتها مقابل ارتفاع فى الاسعار بل ورفض الناس فى كثير من الحالات قبول هذه العملة المخفضة وفضلوا العودة الى نظام التعامل البدائى وهو نظام المقايضة وفى كثير من الاحيان عجز المنتج عن تسويق بضاعته مما أدى الى انكماش الانتاج بحيث أصبح الفلاح مثلا لا يزرع الا ما يكفيه وبعضا يقايض عليه نظير المستهلكات الأخرى . والحق يقال أن هذه نظرية متقدمة جدا فى الفكر الإقتصادى . وبلغت فى حجم تجارة الكماليات التى لم يكن يطلبها سوى أقلية ضئيلة من الأثرياء فى بلد يعج بالفقراء .

كما يرفض وسترمان هذه الفكرة مدللا على أن التجارة مع الهند وبلاد العرب التى تحدث عنها بلينى فى كتابه " التاريخ الطبيعى " Histoia Naturalis (٢) كانت فى صالح

---

1 - Ef. J. Stroyer and D. Munro, The Middle Ages, 395 - 1500, New York 1942, P. 6 - 7. also ef. Innes Millar : The Spice trade of the Roman Empire 29 B. G. to 641 A. D Oxford, The Clarendon press 1969, P. 227 - 241.

٢ - Piiny, Historia Naturahs, vol, VI, 101.

روما بقدر ما كانت فى صالح الطرف الأخر خاصة أن بلاد العرب كانت تحت النفوذ الرومانى ، ولكنه يأتى برأى غريب وهو أن ندرة المعادن الثمينة هو الذى أدى الى تقلص العملة وضعف قيمتها الشرائية ناتج من الاتجاه نحو اكتناز الاثرياء الرومان (١) للذهب والفضة وعدم تشغيلها فى نواحى الاستثمارات المختلفة وهو رأى غير مقنع بالنسبة لتفسير الاستاذين ستروبروومونرو اللذان يضربان المثل باضطرار قسطنطينوس الى تخفيض وزن الذهب فى السوليدوس الرومانى عما كان عليه أيام ديوقلديانوس والذى كان قد خفض وزن السوليدوس الذهبى الى ٦٠ / ١ من الرطل الرومانى ثم جاء قسطنطينوس وجعل وزنه ٧٢ / ١ من الرطل الرومانى . بينما كان فى استطاعه كل من الامبراطوريين السابقين مصادرة الذهب أو الفضة المكنوزة فى وقت كانوا يعلمون كل شئ عن الناس عن طريق جواسيسهم . agents - rebus .

أما جونز فيرى أن سبب سقوط الامبراطورية هو هجمات الشعوب المعادية مثل الجرمان والهون والفرس والعرب ولا يرى أن الاقتصاد هو السبب الرئيسى أو حتى الأكثر أهمية فى سقوط الامبراطورية . ويشرح جونز نظريته بأن السبب المباشر لسقوط الامبراطورية الغربية هو هزيمتها على يد القبائل البربرية الجرمانية ، فضلا على أن هؤلاء البرابرة قد فرضوا على الامبراطورية حملا ثقيلا فى تكبد نفقات باهظة والاحتفاظ بجيوش كبيرة طوال القرنين السابقين على تاريخ السقوط ، مما نزف اقتصاد الامبراطورية حتى الموت . ولما كان دخل الامبراطورية الأساسى يجئ من الضرائب التى تجبى من الاراضى الزراعية فقد تكبد الفلاحون هذه النفقات التى قصمت ظهورهم فتخلصوا من

---

1 - Westerman op . cit ., P . 370 .

أراضيهم سواء بالبيع أو الرهن او تسليمها للإقطاعى نظير الحماية منه Commendatio مما أدى اختفاء الملكيات الصغيرة والمتوسطه التى هى الطاقة الخبيرة بفنون الزراعة واستغلال الرض وحل محلها الاقطاعيون الذين يتعيشون من تأجير أراضيهم وهو غائبون عنها (absent landlordism) او مقيمون فى المدينة ، أو كانوا يعهدون ادارتها الى وكلاء قلوبهم ليست على زيادة انتاج الأرض ، بل على استغلال العاملين عليها . ويدافع جونز عن نظريته القائلة بأن تدهور القوة العسكرية هو السبب الأساسى بأن الجزء الغربى من الامبراطورية سقط اولا لانه كان اكثر تعرضا للخطر من ناحية الراين والدانوب من النصف الشرقى ، ولأن مصادرة الاقتصادية أرهقت بسرعة ولم تعد قادرة على العطاء بالقدر الذى تحتاجه الإمبراطورية للحفاظ على وجودها ولكن جونز يؤكد ان الانهيار فى القوة العسكرية ليس راجعه الى الارهاق الاقتصادى ابدا ولكن الى فقدان القدرة على الدفاع عن ولايات الامبراطورية . ويقول ان الاستعمار الرومانى ونظامه قتل احساس سكان الولايات بالإنتماء الوطنى لتراب بلادهم وبوجوب حمايته والدفاع عنه واستسلموا لحكم الرومان ، تاركين مهمة الدفاع عنهم لجيش الامبراطورية . ولهذا لم تكن هناك مقاومة شعبية ضد المغيرين الأجانب لأن الإحساس بالاعتماد على الجيش الامبراطورى أصبح متغلغلا فى نفسية هذه الشعوب ، بل أن روما حرمت على سكان هذه الولايات حمل الأسلحة خوفا من أن ترفع ضدها .

ويلقى جونز اللوم على المسيحية لأنها ساعدت على تزايد هذا الإحساس السلبى أما بإرجاع كل ما يحدث الى إرادة اللهالتى يريد بها امتحان عباده المؤمنين فى التحمل والصبر ، أو الى دعوتها لرجالها بالإبتعاد عن تولى الوظائف الحكومية تفاديا للخطيئة وحتى لا يوقع الأذى بأخوته الخرين مما حرم الإدارة من عنصر نظيف وفى وقت ساد فيه

الفساد والرشوة والإبتزاز كل قطاعات الدارة البيروقراطية (١)

ومن الجدير بالذكر أن رأى جونز يكاد يتفق فى جوهره مع الرأى القديم الذى فسر به جيبون تدهور وسقوط الإمبراطورية والذى يجئ فى الجزء الرابع من كتابه يشير الى أن الإنحلال الذى أخذ يدب فى الامبراطورية بعد موت ماركوس اوريليوس عام ١٨٠ ميلادية مرجعه تفاقم خطر الهجمات البربرية التى انقضت على الامبراطورية فى الجزء الغربى وتسبب عنه تحول المجتمعات الرومانية فى هذه الولايات نحو الطابع البربرى واستنزف للقوى البشرية الرومانية والإقتصاد الرومانى . كما ان انتصارات هذه القبائل البربرية زعزعت الإيمان بالإمبراطورية فى الداخل وكسرت هيبتها فى الخارج مما شجع المعتدين والطامعين فى التمادى فى العدوان . وأخيرا يحمل جيبون المسيحية وزر كل ما حدث اذ اعتبرها عاملا هداما لكافة القيم الإقتصادية والعسكرية والسياسية ، فمن الناحية السياسية وقفت المسيحية موقفا سلبيا من نظام الامبراطورية القديم ولم تعترف بألوهية الامبراطورية كرمز للسيادة الرومانية ووحدة كل شعوبها المتباينة عنصرا ودينا ، ومن الناحية الإقتصادية ثبطت المسيحية الهمم وقتلت الطموح بدعوتها لاتباعها فى صلاتهم الا يطلبوا من الرب سوى كفاف يومهم وفى نشر الزهد والتعفف عن العالم المادى الذى فى نظرها سوف ينتهى اجلا ام عاجلا لتبقى مملكة الرب الخالدة ، ومن الناحية العسكرية فأن دعوتها الى المسلمة والإستسلام السلبى قتل روح الزهو الإيجابى وقضى على الكبرياء القومى هو المحرك الأول لطاقة الجنود وقدراتهم القتالية . كما يتهم جيبون جيبون المسيحية بأنها المسؤلة عن تفكك عرى الوحدة الفكرية بعد إنتشارها وذلك بسبب التطاحن

---

1 - Jones , Loc , cit . PP . 9 - 18 .

مثلا ينفى المؤرخ النمسوى دوبش Dopsech أن الجرمان كانوا سببا فى إنهيار الامبراطورية وأن ما حدث لا يعدو أن يكون عملية إعادة توزيع للأراضى على نطاق واسع حسب التقليد الرومانى وينفى أن استيطان الجرمان أدى الى انقطاع التجارة وعودة الإقتصاد البدائى .

Cf . Momigliano op . cit ., P . 5 .

بين المذاهب والفرق والطوائف مما أدى الى فوضى فكرية وبلبلة أيدلوجية شغلت الامبراطورية عن ميدان القتال فى وقت هو ذروة المحنة ، بل أن الطوائف المضطهدة دفعها سخطها الى التعاون مع العدو كما حدث عندما استقبل الدوناتيون فى شمال افريقيا الغزاة الونداليين بالترحاب واعتبروهم محررين لهم من بطش الرومان وكما حدث عندما استقبل الأقباط العرب بالترحاب انقاذا لهم من البطش الدينى البيزنطى (١) . ولكن جيبون يعترف للمسيحية بشئ واحد هو أنها خففت من حدة سقوط الامبراطورية لأنها كانت قد هذبت من بربرية وسلوك الجرمان والقوط (٢) .

والشئ الوحيد الذى يختلف فيه جونز مع جيبون هو أن الأول أيد وجهة نظر أنصار المدرسة التاريخية أبان القرن التاسع عشر القائلة بعدم مسئولية الجرمان ولا القبائل الجرمانية عن سقوط الامبراطورية ، بل على العكس كان الجرمان اداة قوة فى قيادة وجيوش الامبراطورية . ويصف جونز كيف أن القادة الجرمان كانوا مخلصين فى خدمة الامبراطورية وأن الجنود الجرمان كانوا المصدر الأول للتجنيد بعد أن نضبت العناصر اللاتينية بل يذهب جونز الى حد امتداح القدرة القتالية عند الجرمان (٣) .

---

١ - بلغ حقد الملكانيين الرومان ضد الأقباط المصريين أنهم لم يعبأوا بجيوش عمرو بن العاص عندما اقتحمت حصن بابليون فى السادس من أبريل عام ٦٤١ ، وضيعوا يوما كاملا من أيام المهلة الثلاث التى منحها لهم عمرو فى تعذيب القباط المسجونين فى الحصن ولما اخلوا التحصن ودخل العرب وجدوا هؤلاء المخلصين لعقيدتهم وقد انقطعت ايديهم وأرجلهم وشوهت جثث قتلهم .

2 - E . Gibbon , Decline and Fall of the Roman Empire vol . IV . (London 1901) , Pp .160 - 103 .

3 - Jones Loc . cit ., PP . 16 - 17 .

ومن ناحية أخرى ينتقد المؤرخون الألمان آراء جيبون وييينون كيف أن القبائل الجرمانية التى هاجمت الامبراطورية دفعوا الى ذلك دفعا بسبب اجتياح قبائل الهون السينيرية وأن هدف الجرمان كان هو الاحتماء داخل حدود الامبراطورية وليس العدوان عليها . ويبين أنصار المدرسة التاريخية الجرمانية أم الامبراطورية كانت تعرف الجرمان منذ وقت طويل ولها تاريخ في التعامل معهم سواء فى السلم والحرب وأنهم كانوا عنصرا مفيدا منتجا سؤاء فى زراعة الأرض أو فى الدفاع عن الامبراطورية ، وأنهم كانوا يحظون بإحترام وتقدير الرومان لدرجة أن للمؤرخ تاكيتوس أشاد بالجرمان ووصفهم بالشجاعة وافقدام وامتدح فضائل نسائهم بل وفضلهن على نساء الرومان فضلا عن تقدير الجرمان للحضارة الرومانية (١) .

اما الدو موميليانو فينبرى للرد على هجوم جيبون على المسيحية واتهامه لها بأنها كانت السبب وراء تدهور وسقوط الامبراطورية مشيرا الى أن المسيحية رسالة خيرة اصلاحية قصد بها صالح الانسانية ومبادئها تقوم على التضحية والمساواة والسلام وقبل كل شئ المحبة حتى تجاه العدو ، كما أن المسيحية أصبح لها ثقافة انسانية حضارية هى التى حولت الجرمان من اجلاف برابرة الى اناس متحضرين ملتزمين بأخلاق ومبادئ إنسانية كسرت شراستهم وحدت من بربريتهم كما أن الكنيسة لم تقف موقف المتفرج او المنسحب من مشاكل الامبراطورية ، بل على العكس اذ كثيرا ما وقفت الى جانب الأباطرة ساعة الخطر وتوسطت بينهم وبين الجموع الغازية . ومن ينكر فضل الكنيسة الكاثوليكية فى الحفاظ على نقل التراث الرومانى واللغة اللاتينية عبر ظلام العصور الوسطى إلى العصر الحديث . كما أن الامبراطورية الرومانية المقدسة لم تكن سوى دعوة الكنيسة المسيحية (٢) .

---

1 - Strayer and Munero , op . cit ., PP , 25 - 8 lg . Momigliano , op . cit ., P . 12 .

2 - Cf A . Mobiglano , op . cit ., P . 12 .

ومن المدارس التاريخية التى تناولت بالتحليل أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية مدرسة الصراع الإجتماعى اى المدرسة التى تفسر مسار التاريخ على أنه صراع طبقى وإجتماعى ويتزعم هذه المدرسة ميخائيل روستوفتزف Rostovtzeff وأن كان تفسيره فى الحقيقة معتدلا الى حد ما بالنسبة الى غيره من المتطرفين لهذا التفسير .

يرجع رستوفتزف تدهور الامبراطورية الى الصراع الطبقى العفوى الذى نشأ بين البروليتاريا من سكان الريف والتى كان يؤازرها ويؤيدها الجيش وزعماؤه ، وبين الأرستقراطية الرومانية صاحبة الإقطاعيات الزراعة والتى كانت عادة تعيش فى المدن وتعيش على ما تجنيه من أراضيها دون الإشراف الصالح عليها ، ويؤيدها طبقة كبار الموظفين البيروقراطين والذين كانوا يعيشون من رواتبهم الكبيرة التى كان يدفعها الفلاح المسكين من عرقه ودمائه . ويعزى روستوفتزف سقوط الامبراطور الى حركات الانقلابات العسكرية التى سادت أبان القرن الثالث الميلادى حيث أخذ قادة الجيش يقفزون على العرش وسط هتاف جنودهم لمدد قصيرة ولما كان هذا النوع من الأباطرة غير رومانى الأصل ولايعتمد على أى تأييد سوى البطش العسكرى فقد ابطللوا كافة المؤسسات الديمقراطية وجعلوا العرش وراثيا .

وقد أيد الجيش هذا التطوير لان البروليتاريا عادة يهيمن عليها التفكير الديماجوجى ، او لأن هذه العناصر التى جاءت من الطبقات غير الرومانية المجرومة لم يكن يعنيها الحفاظ على موازين الديموقراطية الأرستقراطية الرومانية ، وأقول الرومانية أى التى كانت وقفا على العنصر الرومانى وليس لرعاع الامبراطورية فيها اى دور خاصة اولئك الذين كانوا من ولايات غير لاتينية .

يعتبر عهد سبتيميوس سيفيروس الامبراطور الفينيقى السورى نقطة التحول الحقيقية نحو فقدان العنصر الرومانى والإيطالى السيطرة على زمام الامبراطورية ، خاصة فى الجيش الذى لم يعد فى القرن الثالث رومانية ، وكذلك منصب الامبراطورية الذى يتولاه

عادة قائد الجيش ، ونحـن نعلم أنـه تولـى بعد اسرة سيفيروس اسرة سورية اخرى دام حكمها حتى حكم الكسندر سيفيروس عام ٢٣٥ ميلادية ، ثم تولى أباطرة متنوعو العنصر (أحدهم كان عربيا وهو فيليب ٢٤٤ - ٢٤٩) حكموا حتى مجئ الأباطرة الالليريين من كلاوديوس القوطى (٢٦٩ م) حتى حكم قسطنطين ، ثم سيطرة بعد ذلك قادة الجيوش الجرمان والقوط ، أى أنه منذ حكم سبتميوس سيفيروس وحتى حكم قسطنطين لم يعد لا الأباطرة ولا الجيش ملكا للعنصر الرومانى والإيطالى ، بل سيطرت عليه بروليتاريا الريف التى هى فى الأصل عناصر ساخطه تركت الأرض مرغمة ، هربا من ظلم جباة الضرائب وخسارة الزراعة ولهذا كانت تحس بالمرارة والحقد ازاء الطبقة الارستقراطية صاحبة النفوذ الاقطاعى فى الزراعة ، وضد طبقة كبار الموظفين البيروقراطيين الذين كانوا يتسلمون رواتبهم الكبيرة من عرق الفلاحين الكادحين المموليـن لضرائب الامبراطورية مقابل لا شئ سوى الظلم والتعسف . كما أصبحت المدينة فى نظر الريفيين ليس مركزا للنور والمعرفة والترقى ، بل مركز السلطة والظلم ، ومعقل الارستقراطية وجامعى الضرائب من وكلاء الامبراطورية الممثلين فى أعضاء المجالس البلدية Curiales والذين سلكوا سلوكا تعسفيا ضد الفلاحين فى جمع الضرائب التى تطلبها الامبراطورية كاملة .

ويرفض روستوفتزف بشدة رأى أصحاب فكرة الصراع السياسى أى الصراع بين السناتو ذو الإتجاه الديمقراطى الجمهورى ، وبين الامبراطورالذى أراد أن يسير السناتو فى ركابه وحسب إرادته ، بينما كان السناتو يرى العكس . ونشب هذا الصراع السياسى بالفعل ابان الفترة المبكرة من تاريخ الامبراطورية والتى تنتهى عام ٢٣٥ م ، ثم ذبل السناتو . وأصبح اعضاؤه على حد قول القائل " عبيد فى ارواب أسياد " . وخلاصة القول أن السناتو مات فى نفس الوقت الذى لم يعد فيه الجيش ممثلا للعنصر الإيطالى ، ثم تحول الصراع الى مجال آخر بين الجيش ممثل الكادحين لكافة الاجناس غير الرومانية ، وبين الارستقراطية الاقطاعية الممثلة للجهاز الظالم الذى يمتص دماء الفلاحين . ودار هذا الصراع مريرا وقاسيا وإنتهى بتدمير المدينة وإنتصار الريف بفكره البسيط وحضارتـه

الباهتة ، والتى شوهتها الإتجاهات البربرية الدخيلة ، ومن ثم صاحب هذه الظاهرة تدهور الحضارة الإغريقية الرومانية والتى كانت منذ وقت سابق قد بدأ يصيبها الهزال والوهن بسبب غياب الخيال الراقى والتجديد والإبداع الفنى ، وبسبب التقليد الأعمى للقديم ، والركود والتحجر ، ثم الهبوط الى مستوى الاسفاف البربرى .

وبالرغم من هذا ينتهى روستوفتزف من نظريته بأن هذا الصراع الطبقى المرير والذى نزفت منه الامبراطورية طويلا لم يأت بفائدة واحدة على أى من الطرفين المتصارعين . ممن ناحية دمرت المدن وفقدت رونقها ومركزها القائد ، وتدمر بعدها الاقتصاد الذى كان مركزه المدينة ، بينما لم تحقق البروليتاريا أى مكسب طبقى حسن من وضعها ، اذ بقوا على اوضاعهم الإجتماعيه البائسة والمزرية (١) والتى نحسن بها من الوثائق البردية ابان القرنين الرابع والخامس ، والتى تعكس مدى الماساة الحقيقية . ويبدو أن وضع البروليتاريا الريفية ازداد سوءا عندما تولى الأباطرة الالليريون الذين فتحوا الجيش أمام ابناء عنصرهم ، ولم يكن الالليريون الاجلاف لا يهتمون بشئ بقدر تحقيق الانتصارات العسكرية وحماية وحدة الامبراطورية تحت سيادتهم . ولما جاء قسطنطينوس بدأت العناصر الجرمانية تسيطر على القيادة والحكم الفعلى للإمبراطورية وخسرت البروليتاريا الريفية نفوذها .

وهناك فريق من المحللين الذى اعطو تفسيرات بيولوجية تعرف بالنظريات العضوية Organic Theories التى تشبه حياة الحضارات بدورة الحياة التى يمر بها النبات والحيوان

---

1 - Rostovtzeff The Social and Economic History of the Roman Empire (4th . edition Revised by P . M Frazer New York Oxford University press 1959), Volume I , PP . 491 - 501 .

والإنسان والمتمثلة فى قانون الطبيعة الابدى الذى يسير بها من الولادة الى الطفولة ، ومن الشباب الى المشيب ، وينتهى كل شئ بالموت ويتزعم هذه المدرسة المؤرخ الألمانى المعاصر اوزوالد شبنجلر Oswald spengler والتى عبر عنها فى كتابه الشهير Unergang des Abendlandes، كما يأخذ بها أيضا الاستاذ اسكويث Asquith والذى يعلنها صراحة وبالحرف الواحد " أن خلايا الامبراطورية الرومانية وانجتها قد بلغت نهايتها المحتمة كأى شئ حى (١) .

أما ارنولد توينبى فالبرغم من أنه يدين بالكثير الى شبنجلر فى بلورة نظريته الا أنه لم يرفض فكر شبنجلر الفلسفى الذى يعتبر المجتمع الحضارى كائنا حيا مثل باقى المخلوقات ، ويرفض الأخذ بفكر الاستمرار التوارثى بين الحضارات الآفلة والحضارات الوليدة ، وأن الحضارات الوليدة ترث كل ما سبقها من الحضارات وليس سابقتها فقط ، وسمى ذلك بظرية تلاقى الحضارات . ولعل اعتراض توينبى على شبنجلرأن هذا الاخير فيلسوف وليس مؤرخ (وهذه قضية قديمة قائمة بين الفلاسفة والمؤرخين حول فلسفة التاريخ) ومن ثم ركز توينبى بتخطيط المؤرخ القدير على المنهج التجريبى حيث بين أن المجتمعات ليس فى نظره سوى الذرات التى تكون فى مجموعها التاريخ . وأن تطور ونمو هذه المجتمعات الحضارية يقرر مصير الإرادة الانسانية والزعامه المبدعة وليس الى القانون العضوى الازلى كما يقول شبنجلر واسكويث ، ويزيد توينبى على ذلك نظريته القائلة بأن هناك تحدى دائم Challenge بين الطبيعة لابد وأن يقابله استجابة response يتوقف على اساسها طبيعة البنيان الحضارى للمجتمع فاذا كان التحدى ايجابيا ازدهرت الحضارة أما اذا كان التحدى سلبيا فأنها تضمحل وتنهار (٢) .

I - H . Asquith , The lagaey of (Oxford 192) . chapter .

٢ – فؤاد محمد شبل منهاج توينبى التاريخى – سلسلة المكتبة الين قافيه العدد ٢٠٩ (نوفمبر ١٩٦٨)

وبناء على هذه النظرية توينبى سقوط الامبراطورية الرومانية بقوله ان الامبراطورية عندما وصلت الى أوج قمتها واجهت تحدى من البروليتاريا الداخلية وهى الجماهير الحاشدة التى يحكمها الأقلية المسيطرة بالعنف ، وكان رد البروليتاريا هو أنها اولت ظهورها للدولة محاولة التنفيث عن الامها بإعتناق ديانات غيبية وآلهة جديدة مثل الالهة الشرقية ، وكانت النتيجة ان فشلت الحضارة الرومانية فى ترويض هذه البروليتاريا التى لم تجد فى الحضارة الرومانية الراقية اى مصلحة نفعية او واقعية . أما التحدى الثانى فمصدره الشعوب المحيطة بالامبراطورية مثل الثراكيين واهل سكيثيا والفرس والعرب والجرمان وقد سماهم توينبى بالبروليتاريا الخارجية التى بالرغم من اعجابها وتقديرها للحضارة الرومانية الاانها باتت تتربص بالامبراطورية المريضة وتسعى للانقضاض عليها وتقويض مجتمعها لتقيم عليه مجتمعات جديدة . وقد ادى عجز الحكومة الرومانية فى الاستجابة للتحديات من الداخل والخارج الى إنهيار الامبراطورية . وبعد فوات الأوان ظهرت الاستجابة ممثلة فى المسيحية كديانة عالمية لكل الاجناس . والمسيحية لم تأت من خارج الفضاء بل ولدت من رحم الحضارات القديمة ، وظهر نجاح الاستجابة فى خلق المسيحية لمجتمعات جديدة اولها الحضارة المسيحية الغربية الحضارة الام لما نسميه الآن بالحضارة الأوروبية ، وثانيها الحضارة الارثونكسية الشرقية من بيزنطة والتى كونت فيما بعد روسيا وجيرانها (١) .

وهناك فريق من المؤرخين يعزى انهيار الامبراطورية الى عوامل عنصرية . ومن هؤلاء الأساتذة فرانكس الذى يفسر سقوط الامبراطورية بأنه نتيجة لطغيان الدماء الشرقية على الدماء الرومانية وهى فكرة مرفوضة تماما لأن الحضارة الرومانية ذاتها ليس الا مزيجا من التراث الغربى وخلاصة تجارب الحضارات الشرقية القديمة وأن يوليوس قيصر تحدث عن عالمية الحضارة الرومانية وبالتالى عالمية الامبراطورية الرومانية ،

---

1 - A . Toynbee A Study of History (Abrdgemeent) by D . Somervell Oxford 1926 P . 402 - 412 .

ناهيك عن قول توينبى فانه لا توجد حضارة الا وساهمت اجناس اخرى فيها ، وأن الحضارة ليست من خلق الجنس وحده ، بل نتيجة لتفاعله مع البيئة . ويبدو رأى فرانكس أكثر ضألة عندما نبحث عن الطريقة او التجربة التى توصل بها الى مثل الرأى ، فيقول أنه اجرى دراسته على اسماء الموتى على شواهد القبور الرومانية ، توصل فيها الى ان نسبة المواليد فى الفترة الأخيرة من الامبراطورية كانت فى المائة رومان وتسعين فى المائة من غير الرومان ، ونتيجة لفقدان الصفات المميزة والموروثة للعنصر الرومانى وطغيان العنصر لشرقى عليهم فقد سادت القيم والمفاهيم الشرقية التى تظهر فى الاتجاهات الدينية وظهور التسلط والاستبداد على الطريقة الشرقية وتدهور التراث واللغة اللاتينية واختفاء القيادة الموهوبة الخلاقة (١) .

وقد ردت باحثة أثرية على المنهج الذى اتبعه فرانكس بأن دراسة الأسماء مضللة تاريخيا ، فالناس يطلقون على ابنائهم ما يشتهون من اسماء ، ولم يحدث قط أن تقيد الاسم بالعنصر الوراثى الا فى حالات نادرة ، وتضرب مارى جوردون الامثلة بأن الاسياد كانوا يسمون عبيدهم احيانا بأسماء رومانية ، بل أن العبيد المحررين كانوا يتخذون رسميا اسماء رومانية ، حتى وأن قبلنا افتراض وجود علاقة بين الاسم والعنصر فان النموذج الدراسى المحدود (وهو ثلاثة قرون ممثلة فى ١٣٩٠٠ شاهد قبر) لا يمثل القطاع الحقيقى للمجتمع الرومانى بشكل علمى قاطع (٢) .

---

1 - T . Franks " Race Mixture in the Roman Empire " , American Historical Review , XXI (1916) . PP . 140 ff .

2 - Mary Gordon " Nationality of Slaves Under the Early Roman Empire " J . R . S

., XIV (1924)

كذلك انظر رد Baynes على نظرية Nilson العنصرية المماثلة : انظر J . R . S , 1943

وقد هاجم كاتز Katz أصحاب التفسير العنصرى لسقوط الامبراطورية وهو أن التدهور كان نتيجة لاستنزاف العنصر الرومانى الراقى بسبب الحروب المتعاقبة وبسبب الانخفاض المتلاحق فى معدل المواليد بين الرومان الخالصين ، ويتساءل عن قال ان الحروب المتلاحقة أهلكت العنصر الرومانى وحده ؟ خاصة اننا نعرف أن الرومان بدأوا يعزفون عن دخول الجيش منذ عصر اغسطس نفسه ، كما أن الحضارة الرومانية والثراء الرومانى لم يكن من خلق العنصر الرومانى وحده بل لقد ثبت ان الأباطرة الذين انخرطوا من عناصر غير رومانية كانوا اصدق وأخلص بكثير من غيرهم الذين ينخرطون من عرق رومانى خالص ، كما أن الافتراض القائل بأن الرومان الخالصين كانوا يضربون عن الانجاب أو عن الإكثار فى الانجاب هراء اذ ليس هناك من دليل على أنهم كانوا يريدون لعنصرهم أن ينقرض (١) . وقد هاجم " بيورى " هذا الزعم مؤكدا أنه لا يوجد أى دليل على أن تعداد سكان ايطاليا فى القرنين الثالث والرابع كان أقل تعداد ابان القرنين الأول والثانى الميلادى ، ويردد ردده كاتز فيما بعد بأن موجات الاوبئة التى عصفت بسكان الامبراطورية لم تكن بالخطيرة لدرجة أن نعزى اليها تدهور واضمحلال الامبراطورية (٢) .

أما الاستاذ دى بورج فيخالف مدارس المحللين فى تحليله السياسى لسقوط الامبراطورية ، وذلك أنه اتبع المنهج المباشر الذى لا يبحث عن جذور التحلل العميقة بل يعتبر اصلاحات ديوقلديانوس هى نقطة التحول نحو الإنحدار والسقوط وهى نقطة يأخذ بها كثير من المؤرخين من غير اصحاب النظريات . وفحوى نظريته أن اصلاحات

---

1 - Katz , The Decine of Rome and the Rise of Medieval Europe , (Corneil 1963) . P . 77 f .

2 - Bury , History of the late Koman Empire 395 - 565 A . D ., vol . I (London 1923) , PP . 303 - 318 = Katz , op . cit .. P . 78 .

ديوقلديانوس جاءت بعكس المطلوب . فهو مثلا فصل بين السلطتين العسكرية والمدنية ولكن ذلك أدى الى ارباك الوضع الداخلى وخلق ثغرة فى الجهاز اتسعت لتصبح هوة قوضت الكيان الامبراطورى ، كما ان تقسيم الامبراطورية الى أربعة أقاليم وتقسيم كا اقليم منها الى عدد من الوحدات الإدارية خلق ارتباكا فى الإدارة وعرقل المصالحوالأعمال وساعد البيروقراطية على التضخم لتصبح آفة قاتلة متغلغلة فى ادارت الامبراطورية وفى اعداد الموظفين،التى مثلت الاجهزة الجديدة المعتقدة ، فضلاعما تكلفته الامبراطورية من نفقات باهظة فى الاجور والمرتبات . ويلقى دى بورج على ديوقلديانوس مسئلية الانهيار الاقتصادى لانه جعل الصناعات والحرف التجارية تحت الإشراف الحكومى والمباشر ، بل جعل هذه المهن وراثية محولا نقابات الحرفيين وجمعياتهم الى أجهزة خدمات تابعة للدولة فقتل الابداع والخلق ، وتحولت طاقة الامبراطورية من الديناميكية الدافعة الى الجمود والتحجر ، كما انه لم يحاول تخفيف عبئ الضرائب عن الطبقات الكادحة المنتجة مصدر السخط والثورة . اذا فجوهر اصلاحات ديوقلديانوس دفاعية وليست احيائية طموحة . عاد معظمها بالنتائج العكسية تماما والمثل على ذلك واضح فى فكرته الخاصة بتقسيم الامبراطورية الى شطرين شطر شرقى وشطر غربى وتعيين امبراطور على كل شطر يساعده نائب ، كان هدفه من ذلك هو منع قيام الصراع حول العرش وغرس مبدا السلطة الجماعية ، ولكن الأحداث التى عصفت بالإمبراطورية بعد إعتزاله عام ٣٠٥ وحتى تولى قسطنطينوس عام ٣٢٤ كانت كلها حول الاستئثار بالعرش والنزاع على السلطة ، بل واستمر ذلك حتى بعد وفاة قسطنطين عام ٣٣٧ عندما تولى العرش ثيودوسوس عام ٣٥١ ثم اندلع بعد وفاة ثيودوسيوس واستمر حتى سقطت الامبراطورية نهائيا عام ٤٧٦ ميلادية (١) .

---

1 - W . De Burgh . The Legaey of the Ancient world , vol . II , (iddlese y 1953 , P . P . 390 . f .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الوثائقية :

النقوش والبردى والنقود :

* R . G . Collingwood and R . P . wright , The Roman Inscriptions of Britain , vol . I Inscriptions of stone . Oxford University press , 1965 .

* Aian Bowman . " Papy⁻i and Roman Imperial History 1960 - 1975 " . Journal of Roman Studies , LXVI (1976) PP . 153 - 173 .

وهو مقال دقيق يبين مساهمة الوثائق البردية فى تصحيح التواريخ واسماء الأباطرة وتحديد القوانين وقد لعبت وثائق البردى المصرى دوراً هاماً فى ذلك .

* Ch Ternes . les Inscriptions antiques du Luxembourg , Luxem - bourg , 1965 .

* L . Maretti , Inscriptiones Graecae Urbis Romae , t , I , Rome Istituto Italiano per la storia antica 1968 .

* C . H . V . Sutherland and R . A . Carson : The Roman Imperial Coinage , vol . VI , From Diocletianus reform (A . D . 294) to the Death of Maximinus Daia (A . D 313),London Spink 1967 ; vol . VIII , by P . Brunn : Constantine and Licinius A . D . 313 - 337 , (1966) .

ثانياً المصادر الأدبية

أ - المصادر الأدبية لتاريخ الامبراطورية :

* M Grant , " The Ancient Historians , London , weidenfeld & Nicolson 1970 , paperback reprint 1974 .

مجموعة مقالات عن المؤرخين القدماء هيرودوت حتى اميانوس :

* F . Millar : A Study of Cassius Dio , Oxford , The Clarendon press , 1964 .

* K . Buechner : Studien zur roemischen literatur , vol , IV , Tacitus und Ausklang , Wiesbaden , F . Steiner 1964 .

* J . Tresch , Die Nerobuecher in der Annalen des Tacitus Tradi - tion und Leistung . Heidelberg , winter 1965 .

* R . Hauessler , Tacitus und dashistorische Bewusstsein , Heidel - berg . winter 1965 .

* A . Michel , Tacite et je destin de l'Empire , (Coll . Signes des temps) , paris , Arthaud 1966 .

* J . Laugier , Tacite , (Coll . Ecrivains de touiours) paris , ed ., du Seuils 1969 .

* M . Streng : Agricola , Das vorbild roemischer stathalterschaft nach dem urteil des tactius bonn . R . Habelt , 1970 .

* R . Urban , Historische ı ntersuchungen zum Domitianbild des Tacitus , diss Muenich 1971 .

* W . Den Boer , Rome a travers trois auteurs du IV Siedes , Mnemo Syne , XXI , 1968 , P . 254 - 282 .

* J . Matthews , Olympiodorus of Thebes and the history of the west (A . D . 407 - 425) , Journal of Roman Studies , LX , 1970 , P . 79 - 97 .

* G . Clement , la Notitia Dignitatum . Cagliari . Ed ., Sarda , Fos - sataro 1968 .

* R . C . Blockley , Ammianus Marcellinus - A Study of his historiography and political Thought , Collection Latomus 141 , Brussels , Latomus 1975 .

* T . D . Bams , Tertullian - A . Historical literary study . Oxford , The Clarendon press . 1971 .

ب : المصادر التشريعية والقانونية :

* R . F . Girard et F . Senn : Textes de droit romain , t . I , 7th edition , pais , Dalloz , 1967 .

* J . Gaudement , Institutions de l'Antiquite , paris Sirey , 1967 .

* F . De Martino , Storia della Constituzione romana , Roma 1965 - 1967 .

* R . A . Bauman , Impietas in principem (Muenchen Beitrage 67) munich , C . H Beck , 1974 .

وهو يناقش العلاقة القانونية بين الخروج عن التقوى ومخالفة القانون وذلك فى ضوء بعض القضايا الهامة خاصة المتعلقة بالخيانة العظمى .

* J . Rouge , Les Institutions romaines (Coll . V. 2 , no . 73) , paris , A Colin 1969 .

* Hugh . Mason , Greek terms , for roman Institutions , a Lexicon and Analysis (American studies in papyrology , Vol . 13) , Toronto , 1974 .

ثالثاً : المراجع

أ - مراجع عامة عن الامبراطورية والأباطرة : -

* E . A Albertini , l'Empire romain , deuxieme edition , paris presses Universitaires de France , 1970 .

* Cage , Les Classes Sociales dans l'Empire romain paris , payot 1964 .

* M . I . Finley (editor) Studies in Ancient Society (Past and present Series) Routledge and Kegan paul 1974 .

* P . Petite , La paix romain (Coll . Nouvelle Clio no 9) , paris presses Universitaires de france , 1967 .

* P . Leveque , Empires et barbaries , troisieme Siecle av . J . C . au premier Siecle apres J . C . Paris , Larousse de poche 1968 .

* A . H . M . Jones , Augustus (Coll Ancient Culture and society) , London , Chatto and windus 1970 .

* R . Etienne , Le siecle d'Augustus (Coll . V . 2 , no . 139) , Paris , A . Colin 1970 .

* D . Earl : The Age of Augustus , New York , Crown 1968 . W . Schmitthener (Editor) , Augustus , Darmstadt wissenscha - ftliche Buchgesellschaft , 1968 .

* Theodore w . Africa : Rome of the Caesars (Coll . New dimensions in history : Historical Cities , New York , John wiley & fils , 1965 .

* E . Meise : Unterschungen zur Geschichte der Julisch - Claudisch Dynastie (Col . Vestigia , Band 10) , Munich 1968 .

* D . L , Henning , D . L , Aelius seianus , Unterschunger zur Regierung des Tiberius (vestigia Beitraege zur alten Geschichte , 21) Munich , Beck 1975 .

* P . A. L . Greenhalgh . The year of The Four Emperors , London weidenfeld & Nicolson 1975 .

* De Tinpe : Der Triumph des Germanicus , Bonn . R . Habelt , 1968 .

* DG . weingaertner , Die Aegyptenreise des Germanicus , Bonn . R . Hablet 1968 .

* E . Meissner : Sejan , Tiberius und die Nachfolge in prinzipat , Erlangen J . Hogel 1968 .

* W . Orth , Die provinzialpolitik des Tiberius diss Muenchen , 1970 .

* Robia seager : Tiberius , Eyre Methuen 1972 .

* B . H . warmington , Nero : reality and legend (Coll Ancient Culture and Society) , London Chatto and Windus 1969 .

* E . Cizek , l'epoque de Neron et ses Controverses idealogiques , (Roma aeterna , 4) Leiden , E . J . Brill 1972 .
  J . Rs . Lxvi , 1976 , P . 229 .

* M . Grant Nero : London , weidenfield and Nicolson 1970

* P. petite : Le premier siecle de notre ere (Coll . V . 2 , no . 47) , paris A . Collin 1968 .

* M . Speidel : The Captor of Decebalus : a New Inscription from philippi , J . R . S ., Li , 1970 . P . 142 - 153 .

* Alfoeldi : Studien zur Geschichte der welkrise des 3 Jahrhunderts nach Christus , Darmstadt 1967 .

* P . petit , Histoire generale de l'Empire romaine (l'Univers historique) paris , edition du seuil 1974 .

* G . Lopuszanski, la da te de la Capture de Valerian et la Chronologie des empereurs gau - ois (Cahier de l'instiut d' etudes polonaise en Belgique 9) , Bruxelle 1951 .

* J . Goudy : La chute de l'Empire Romain (Coll . il ya toujours un reporter) paris Julliard 1967 .

عن صور وشعارات والقاب القياصرة :

* Alloeldi : Die monarchische Representation in romischen Kaiscr - veiche , Darmstadt, wissenchofliche , Buchgesellschaft 1970 .

* P . Kneissel : Die siegesetitular der roemischen Kaiser , Untersuch - derts , Goettingen , Vandenhoeek und Ruprecht , 1969 .

عن نظام حكم المواطن الأول وأصوله :

* P . Herrmann, Der roemische . Kaisereid . Untersuchungen zu seiner Herkunft und Entwicklung , Goettingen , Vandenhoek and prinzipatideologie (Koeiner historische Abhandlung 18) Koeln - vienna, Boehlau 1970 .

* Kloft , Liberalitas principis : Herkunft und Bedeutung . Studien zu Ruprecht , 1968 .

عن مجلس السناتو ووضعه وشخصياته البارزة فى صدر الامبراطورية .

* A . Bergener : Die Fuehrende senatorenschicht in Fruehen pinzipat (14 - 68 nach . christ) , Bonn Habelt 1965 .

عن الترشيحات والتزكيات الامبراطورية لبعض الشخصيات ومشروعية هذا القانونية .

(Commendatio Imperiale)

* R . Frei - stolba : Unterzuchungen zu den wahlen in der roemischen Kaizerzeit . diss zurich , Juris Verlag 1967 .

عن عبادة الأباطرة فى عصر الامبراطورية انظر :

* Le culte des Souvrains dans l'Empire romaine (Entriens sur l'anti - quete Classique XIX) Vandoeuvres - Geneve Fondation Hardt 1973 .

عن الشخصيات البارزة وكبار الموظفين فى الفترة ما بين فسباسيانوس وحتى حكم هادريان :

* W . Eck , Senatoren von Vespasian bis Hadrian , prosopographische Untersuchungen mit Einscluss der Jahres und provinziafa - sten der Statthalter (Vestigia 13) , Munich , C . H . Beck 1970 .

عن الاجراءات المتبعة من آجل الحصول على مقعد فى السناتو فى عصر اغسطس وحتى عام ٧٣ م .

* A Chastagnol , Recherches sur l'histoire Auguste Bonn 1970 .

عن العلاقة بين الوضع الإجتماعى والمراكز السياسية وتطور ذلك بالنسبة للسناتو حتى القرن الرابع الميلادى .

* Recherches sur les structures sociales dans l'Antiquite Classique , paris , C . N . R . S . 1970 .

عن الإدارة والحكم المحلى فى المقاطعات والولايات والتطور فى منح الجنسية الرومانية :

* Essais Critiques (publication de l'Institut de Droit romain de Ch . Saumogne , Le droit Latin et les cites romaines sous l'Empire . de l'Universite de paris XXIII) , paris Sirew 1965 .

عن الدستور الانطونينياتى انظر :

* Ch . Saumagne : Quelques observations sur la constitutio Anto - niniani , Me'anges . J . Carcopino , Paris Hachette , 1966 .

وفيه يعيد تفسير القانون بأنه كان يعنى منح الأجانب الحقوق اللاتينية الرومانية وهذا تفسير اعترض عليه العلماء . وعن الجنسية الرومانية وقضيتها :

* W . Seston , la Cityoennete romaine , Actes du XIIIeme Congres international des Sciences historiq ıes , Moscow 1970 .

وعن المجالس المحلية فى الولايات الرومانية خاصة فى افريقيا فى القرن الثالث الميلادى وما بعد انظر :

* T . Kotula, Les assemblees provinciales dans l'Afrique , societe des sciences et des lettres de worclaw no . 108 worclaw . 1965 .

وهو بحث مكتوب بالبولندية لكنه مشفوع بملخص بالفرنسية .

* J . Deimager , Der provinziallandtage der roemischen Kaiserzeit . Von Augustus Bis zum Ende des dritten Jahrhunderr nach Christ (Vestigia 6) C . H . Beck , Munich 1965 .

عن الادارة الدينية لولايات الامبراطورية الغربية :

* D Ladaage , Stadtische priester und Kultaemer im Lateinischen westen des Imperium romanum zur Kaiserzeit diss, cologne , 1971 .

العتقاء والعبيد ووضعهم الإجتماعى ودورهم المهنى والاقتصادى فى الامبراطورية الرومانية :

* G . Boulvert . Esclaves et affranchis Imperiaux sous el Haut Empire romain : role politique et administratif , Naples , Jovene 1970 .

* H . Chantraine : Freigelassene und sklaven in Dienst der roemi - schen Kaiser , Studien zur ihrer Nomenklature (Forschngen zur antiken Sklaverei I) Wiesbaden , F . Steiner 1967 .

وعن دراسة سكانية للعبيد من خلال شواهد القبور الخاصة بهم أنظر :

* G . Fabre : La demographie des esclaves et affranchis imperiaux (These de eme Cycle) Bordeaux , 1970 .

* R . Etienne et G Fabre : Demograhie et classe sociale l'example du cimitiere ces officiales de Carthage , Recherches sur les Structures Sociales dans l'Antiquite classique , paris C . N . R . S . (1970) .

وعن الدراسة الديموجرافية لسكان الامبراطورية انظر :

* P . Salmon : Population et depopulation dans l'empire romaine , Collection Latomus 137 , Bruxelles , 1974 .

الإقتصاد فى المجتمع الرومانى : الزراعة والتجارة والتكنولوجيا المهنية :

* G . Charles picard et J . Rouge : Textes et documents relatifs a la vie economique et sociale dans l'Empire romaine 31 av . J . C . 225 apres J . C .) , Coll . Regards sur l'histoire) , Paris 1969 .

M . I . Finley : The Ancient Econonmy , Chatto and windus , London 1973 (= cf J . R . S ., Lxv, 1975 PP 164 - 171 (M . W . Frederisken) .

وهى دراسة دقيقة للإقتصاد الإغريقى والرومانى عامة من ناحية رأس المال ، والعمل والعمال والاستثمارات والتسويق واحتياطى النقد فضلا عن الطبقات الاجتماعية بصورة مقارنة مثل السادة والعبيد ، ملاك الأراضى والأجراء الزراعيون ، المدن والقرى .. الخ وعن الإتجاه الحديث فى دراسة اقتصاد الإمبراطورية انظر :

Duncan - Jones : The Economy of the Roman Empire , University of Cambridge press 1974 .

A . H . M Jones , The Roman Economy : Studies in Ancient Economic and adminstatrative ltistory , edited by B . Brunt , oxford Blackwell 1974 .

وهو آخر كتاب صدر للعالم الراحل وهو تجميع لبعض مقالاته التى سبق أن نشرها عن الاقتصاد الرومانى خاصة فى فترة التدهور وقد اعتمد على مصر كثيرا وقد قام الاستاذ برنت باضافة كثير من الملاحظات والحواشى .

وعن فن الزراعة واقتصادها فى الامبراطورية انظر :

K . D . Whiter, A bibligraphy of Roman agriculture , University of Reading , Institute of Agricultural History 1970 .

K . D . White , Agricultural implements of the Roman world , Cam - bridge University press 1967 .

عن الصناعة وتنظيم العمل المهنى وفلسفة الإقتصاد :

N .Brockmeyer . Arbeitsorganisation und oekonomisches Denken in der Gutswirtschaft des roemischen Reiches , Bochum Broch - meyer 1968 .

R . Martin , Recherches sur les agronomes Latine et leur concep - tion economique et sociales , Paris , Les Belles Lettres , 1971 .

J . P . Wild , Textile manufacture in Northern Roman provinces , Cambridge Unversity press 1970 .

عن العبيد كطبقة مهنية وحرفية تقوم عليها الصناعة الرومانية انظر :

F . Kiechle : Sklavenarbeit und teknischer Fortscritt in roemischen Reich (Forschungen zur antiken sklaverei , III) wiesbaden . F . steiner 1969 .

R . J . Forbes , Studies in Ancient Technology . vol I a IX , Lyben , Bril 1965 . Brill 1965 .

عن دور الجياد فى الصناعة والنقل انظر :

P . Vigneron, Le cheval dans l'Antiguite greco - romaine, des guerres mediques aux grandes invasions,

Contribution a l'histoire des technique (Annales de l'Est Nancy , Faculte des lettres , 1968 .

عن السياسة النقدية للامبراطورية منذ التدهور حتى اصلاحات ديوقلديانوس وقسطنطينوس :

J . P . Callu , La politique monetaire des empreurs romains de 238 a 311 A . D (Bibliotheque des Ecoles Francaises d'Athenes et de Rome . fasc . 214) , paris E . de Boccard 1969 .

عن النقود البرونزية والفضية التى سكت فى ولايات آسيا الصغرى الرومانية :
Robert , Monnaies grecques : types , Legends , magistrats : mone - taires et geographie, Geneve , paris , Droz et Minard 1967 .

عن التجارة فى البحر الابيض المتوسط وتنظيمها فى عصر الامبراطورية :
B . J . Rouge : Recherches sur l'organisation du Commerce martime en Mediteranee sous l'Empire romain . paris , 1966 .

عن طريق التجارة فى عصر الامبراطورية الرومانية :
M . P . Chariesworth : Trade Routes and Commerce of the Roman Empire , Cambridge 1926 .

عن تجارة التوابل بين الشرق والامبراطورية واستنزاف الشرق لذهب الامبراطورية :

Innes Miller : The Spice trade of the Roman Empire : 29 . B . C . to 641 . A . D ., Oxford, The Clarendon Press 1968 .

عن البحرية الرومانية :

L . Casson , Ships : nd Seamanship in the ancient world . princeton , University press 1971 .

الجيش والعسكرية الرومانية :

H . G . pflaum, Forces et faiblesses de l'armee romaine du Haut - Empire (Problemes de la guerre a Rome) , Paris Mouton 1969 .

E . Gabba , per La Storia del esercito romano in eta imperiale (il mondo antico 3) Bologna 1974 .

Robert . O . Fink : Roman Military Records on papyrus (The American philological Association , Monograph 26) . 1971 .

G . Webster . The Imperial army of the mst and Second centuries A . D . London , Chartes Black 1969 .

عن الجيش فى الفترة المتأخرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية ونوعية الضباط والجنود :

D . Hoffmann, Das Spaetroemisehe Bewegungshecr und die Notitia Dignitatum , 2 vols, (Epigraphische studies 7) Dusseldorf , Rheinland, velag 1969 .

عن المزايا الإجتماعية لدخول الجيش للفرد ولأبنائه من بعده :

B . Dobson : The Centuriate and Social mobility during the prin - ciate , Becherches sur les structures sociales dans l'Antiquite classique , P . 99 - 116 .

عن تطور فكرة القوات الخاصة :

R . saxer : Untersuchungen zu en Vexillationem des roemischen Kaiserheeres Von Augustus bis Diokletian (Epigraphische Studien 1) , Koeln , Boehlau 1967 .

E . W . Marsden , Greek and Roman artillery , Historcal development oxford , The Clarendon press , 1969 .

وهو كتاب شامل لتطور الجيوش فى بلاد اليونان خلال العصر الكلاسيكى وخلال العصر الهللينستى ويعالج الجيش الرومانى فى عصر الجمهورية ولكن الفصل الثامن من هذا الكتاب (حولى ٢٥ صفحة) تعالج الجيش الرومانى فى عصر الامبراطورية : وحتى القرن الرابع الميلادى :

M .Durry : Les cohortes pretoriennes , 2 ed , i , tion , paris 1968 . A . Fries , Die , Cohortes urbanae (Epiraphische Studien 2) , Coeln - Graz , Boehlau , 1967 .

M . Spiedel : Die Equites singulares Augusti , Begleitrippe der roemischen Kaiser der Zweiten , und dritten Jahrhundert (Antiquitas , Reihe I , Band II) , Bonn , R . Habelt 1965 .

عن البحرية الحربية الرومانية ولمعارك القليلة التى خاضتها انظر :

D . Kienst , Untersuchungen zu den Kriegsflotten der roemischen Kaiserzeit , (Antiquitas Reihe I , Band 13) , Bonn R . Habelt , 1966 .

الديانات والعبادات المختلفة فى ولايات الامبراطورية :

J . Beaujeu et J . Defradas et H . Le Bonniec : Les Grecs et les Romaines (Tresor Spirituel de l'humanite) paris Ed . planete 1967 .

M . Le Clay , La religion romaine (Coll . V . 2 , no . 168) , Paris A . Colin 1917 .

عن انتشار عبادة ايزيس وسيرابيس وهاربوكراتيس (الثالوث السكندرى) فى أرجاء الامبراطورية انظر دراسات فيدمان وأهمها :

L . Vidman : Sylloge Inscriptionum religionis Isiacae et Sarapiacae Religionsgeschichtliche versuche und vorarbeiten, Band 25) , Berlin . W . de Gruyte , 1969 .

Isis und Sarapis bei den Griechen und Romern (Epigraphische Studien zur Vebreitung und zu den Tragern des aegyptischen Kultes , BAnd 29) , Berlin 1970

J . Leclant , Bibiographique des Isiaca Repertoire analytique des travaux relatifs a la diffusion des cultes isiaques , Leyden , Brill 1972 .

M . Muenster : Untersuchungen zur Goettin Isis , Berlin 1968 .

وكذلك مقالة C . B . welles Historia, II (1962) من ص ٢٧١ – ٢٩٨ التى فيها يخرج برأى جديد وهو أن سيرابيس من خلق الاسكندر نفسه وليس من خلق البطالمة وقد رد العلماء بشدة على هذا الادعاء بالرفض :

H . W . Mueller : Der Isiskult in antiken Beneuent und Katalog der Skulpturen aus den aegyptischen Heigtuemern in Musco del Sannio zu Bevevent (Muenchener Aegytologische Studien , 16) , Berlin 1969 ; I Becher : Der Isiskult in Romee . Ein Kult der Habwelt ? (Zeitschrift fur Aegyptische Sprache

Und Altertumskunde , 96 (1970) , P . 18 - 90 ; Theodor Kraus : Ale - xandrinischen Triaden der roemischen Kaiserzeit , Mittei - lungen des Deutschen Archaeologischen Instituts . Abteilung Kairo 19 , 1963 .

A . Bernard : Influence de l'Egypte et innovation d'Eschyle dans la repesentaton d' Io . Annals of the Faculty of Arts Ein Shams University , III , Cairo , 1955 , P . 77 - 103 . ; G Grimm ;Die Zeugnisse aegyptischen Religion und Kunstelmente in roemischen Deutschland , Lyden , 1960 .

وعن زيارة فسباسياتوس الى معبد سيرابيس بالأسكندرية انظر :

Derchain et J . Hubeaux , Latomus , XII , 1953 , P . 38 . 52 .

أما عن زيارة هادريانوس الى معبد سيرابيس انظر :

S . Folet , Hadrien en Egypte et en Judea , Revcue de philologie , XLII , 1968 , P . 54 - 77 .

وعن تأثير عبادة ايزيس على الديانة المسيحية انظر :

Baltrusaitis , " Essai sur la legende d'un mythe . La Conquete d'Isis . (Introduction a l'egyptomanie edit . O . perrin) , paris 1967 .

عن عبادات الشرق الاخرى وتسللها الى شعوب الامبراطورية انظر المراجع الآتية :

فى سلسلة كتب :

" Etudes preliminaires aux religions orientales dans l'Empire romain " .

وأهمها :

M . J . Vermasern : The Legends of Attis in Greek and Roman art (1966) ; A . Leroy Campbell : Mithraic

iconography and ideology (1968) ; R . du Mensil Du Buisson , Etudes sur les dieux pheniciens herites par l'Empire romain (1970) ; M . Floriani Squarcapino : I culti orientali ad ostis (1962) ; E and J Harris : The oriental cult in Roman Britain (1965) ; L . zotovie : Les cultes orientaux sur territoire de la Mesie supetieure (1966) ; w. Blawatsky et G . Kochelenko : Le culte deMithra sur la cote septentrionale de la mer Noire (1966) ;

R . Turcan . Mithras platonicus , rescherches sus l'hellenisation philoso phique de Mithras (etudes preliminaires aux religions orientales dans l'Empire romaine , 47) Leiden Brill 1975 .

A . Garoia Y . Bellido , les religions orientales dans l'Espagne romaine (1967) ; R . Salditt - Trappmann : Tempel der aegyp - tischen Goetter in Griechenland und in der Westkueste Klei - nasiens (1970) .

عن تايخ الديانة اليهودية والمسيحية فى الامبراطورية الرومانية :

M . Meslin , La Christianisme dans l'Enpire romain , paris prsses Universitaires de France 1970 ; M . Meslin et J . polanque , Le Christianisme antique , paris, A . Colin 1967 ; M. Simon et A Benoit , Le Judaisme et le christianisme antique , paris , presses Universitaires de France (1968) , A , Hacuman , La vie quotidenne

des premiiers chretiens (95 - 197) paris , Hachette , 1971 .

عن سياسة القمع والاستئصال والاضطهاد الرومانى للمسيحية انظر :

R . Freudenberger , Das Verhalten der roemischen Behoeden gegen die christen im 2 Jahrhundert , (Muenchner no . 52) Munich , C . H . Geck 1967 ; W . H . C , Frend , Martyrdom and persecution in the early church . A study of a conflict from the Maccabees to Donatus . Oxford Blakwell , 1965 .

وعن إنتشار المذهب الآريوسى فى الغرب الرومانى انظر :

M . Meslin les ariens , d'occident , (335 - 430 A . D .) , paris , Ed . du Seuil 1967 .

وعد قيام مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزية) انظر :

W H . C . frend , The rise of The Monophysite Movement , Cambridge University press , 1972 .

واخيرا عن سياسة الاضطهاد المسيحى التى قام بها الأباطرة المسيحيون ضد المهرطقين واليهود والوثنيين فى القرن الرابع انظر :

K . L . Noethlichs , Die gesetzgeberischen Massnahmen der christlis - chen Kaiser des vierten Jahrhunderts gegen Haeretiker , Heiden und Juden , diss . Koeln , 1971 .

الفكر التاريخى والسياسى والقانونى فى عصر الامبراطورية :

S . Mazzarino : il pansero storico classico , III : l'eta romana impe - riale , Bari Laterza , 1966 ; A . Momigliano : Studies in histori - ography , London , Weidenfeld and Nicolson 1966 ; A . Michel .

La philosophie politique a Rome d' Auguste a Marc - Aurele (Coll . V) paris Collin 1969 ; J . Briddet , Les idees politiques des Lucain, paris Belles Lettres 1964 ; D . Gliardi , Lucano poeta della Liberta . Naples , Loffredo 1968 ; R . Turean Seneque et les religions orientalees (Coil Latomus , vol . 91) . Bruxelle 1967 ; Sherwin - White : The letters pliny : a histo - rical and social commentary , Oxford, The Clarenden press , 1966 ; J . Schwariz , Biographie de Lucien de Samosate (Coll . Latomus , vol 83) Bruxelle 1965 ; T . D . Barnes , Tertulian :

A . historical and literary study , Oxford University press 1971 ; R . Klein : Tertulian und das roemische Reich , Heidel - berg, Winter 1968 ; C , Dragun l'Empire romain d'orient au quartrieme siecle et les tradition politiques de l . hellenisme , Le temoignage de Themistos (Travaux et Memoires du centre de Recherch d'histoire et civilization byzantines III) paris E . de Boccard 1968 .

عن القانون الرومانى ونصوصه فى عصر الإمبراطورية انظر :

J . A . Grook , Law and life in Rome (Aspects of Greek and Roman Life) , London , Thames and Hudson , 1967 .

عن العقود وشروطها انظر :

S . E . Winner : Contractus . Sein wortegebraurch und Willensge - halt im Klassischen roemischen Recht, 19) Koeln - Graz Boehlau . 1964 .

وعن التعويضات وتقديرها حسب ظروف الحادثة انظر :

H . Honsell : Quod interest in bonae - Fidei - iudicium (Muen - chener Beitrage zur papyrusforschung und antiken Recht - sgeschichte , 55) Munich C . H Beck 1969 .

وعن شروط المقاضاة والخصومة فى القانون انظر :

F de Marini Aronzo . I limiti alla disponibilita della " res litigiosa .

وعن طبيعة التحكيم الدولى فى صدر الامبراطورية انظر :

M . lemosse Le , regime des relations internationales dans Le Haut Empire romain (publications de l'institut de Droit romain de l'Univ . de paris . 23) paris , sirey 1967 .

عن تعاقد الدولة على استئجار عقارات من الأفراد عن طريق وكلائها انظر :

C . Alzon , Probleme relatifs a la location des entrepots en droit romaine , paris . Ed . Cyja 1965 .

وقد يساعد على فهم هذه القضية استئجار الصوامع والمخازن انظر :

G . Rickman : Roman granaries and store buildings , Cambridge University press 1971 .

وعن المواصفات والشروط الخاصة بإقامة المبانى والمنشآت العامة انظر :

Y . Jannier : La legislation du Bas - Empire romain sur les edifices publics (publications des Annales de la Faculte des lettres d'Aixe Aixe - en provence , la pansee Untversitaire 1969 .

وعن قانون وإجراءات رفع الدعوى فى المحاكم الرومانية انظر :

J . M . Kelly : Roman litigation Oxford The Clarender . Press 1966 .

وعن تطور ذلك فى عصر جستينيان انظر :

D . Simon : Untersuchungen zum Justinianischen zivilprozes (Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschrte , 54) Munich C . H . Beck , 1969 .

الفنون والآثار

وللمهتمين بطبيعة الفن الرومانى وأثره وطبيعته فى عصر الإمبراطورية يمكن الرجوع الى الدراسات التالية :

G . Picard , Empire romain (Architecture Universelle) Freibourg 1965 , W . L . Mac Donald ; The Architectture of the Roman Empire - A introductory Study , New Haven , Yale Unive - rsity press , 1965 ; R . Biandinelli, Rome Le Centre du pouvoir . Paris

Gallimard 1969 ; also his : Rome , la fin de l'art antique ; H . Kaehler Der romische Tempel , Berlin 1970 .

وعن الدراسات التفصيلية لبعض الآثار الكبرى فى روما انظر :

B . Brilliant : The Arch of Septimius Severus in the Roman Forum , Rome Te American Academy in Rome,1967 ; Wata - ghin - Cantino , La Domus Augustana , personalita probleini dell architettura Flavia , Turmo , Giapechelli , 1966 ; P . Zanker Forum Augustum . Tubingen 1968 ; K . de Fine licht : The Rotunda in Rome : A Study of Hadrian's pantheon , Selkab , 1968 ; P . Fidenzoni , il teatro di Marcello , Roma , 1970 ; G . Cozzo , II Colosseo , Roma . paiombi , 1971 ; Scott Ryberg panel reliefs of Marcus Aurelius , New York : Archaeological Institute of America 1967 ; H . Stern : La mosaique gerco - romaine , paris , 1965 ,

أما عن العمران الرومانى فى الولايات خاصة افريقيا وولايات الشرق الأوسط انظر:

L . Homo : Rome Imperiale et l'urbanisme dans l'Antiquite , 2 edition Albin Mchiel 1971 : M . wheeler : Roman Africa , London Thames and Hudson, 1966 ; M .Rachet , Rome et les Berbeers Un probleme militares d'August a Diocletien (Coll. Latomus , vol . 110) , Bruxelle 1970 ; cf , Actes du congres d'Halle , Africa und Rom in der antike , editedby H . J . Dieser , H . Bath and H . D .

Zimmermann , Halle wittemberg , Martin Luhther Universitaet , 1968 - 9 .

أما عن شمال افريقيا انظر :

H . G . pflaum : La romanisation de l'ancien territoire de Carth - age punique a la Africaines , IV , 1970 ; A . Beschaousch : Mustitana , Recueil de nouvelles inscripyion 's de Mustis , citd Squarciapino : Leptis Magna . Baae Raggi 1966 ; P . A . Fevrier , romaine de Tunisie , Carthago , XIII , paris 1968 ; Oaks Center for Byzantine Studies , wachington , 1973 - 1974 . Tunis Institut national d'Archaeologie et d'Art and Dumbarton Corpus des Mosaique de Tunisie, Edit . M . A . Alexandre & Ennaifer .

M . Floriani Art d'Algerie antique , paris de Boccad 1971 ; M . Le Clay . saturne Africain : monuments , 2 vols , paris 1961 - 1966 , also cf . his Saturne africain, histoire (Bibliotheque des Ecoles Francaises d'Athenes et de Rome , Fase : 205) paris de Boceard 1966 .

وعن تدهور الحضارة الرومانية فى شمال افريقيا مع تدهور الامبراطورية انظر :

H . J . Diesner : Der untergang der roemischen Herrschaft in Nord - afica Weimar , Boehalu 1964 . also G . Charles picard : La Carthage de Saint Augustin (Coll . Resurrection du passe) paris ,

وعن المسلات المصرية فى روما انظر :

G. Panimolle , Gli obelischi di Rome antica, Stadeini 1965 .

اما عن جسور المياة فى روما القديمة انظر لنفس المؤلف :

Gli acquedotti di Roma antica , Milano 1970 .

وعن الحياة اليومية فى مدينة بومبى القديمة ع ى ضوء آثارها انظر :

R . Etienne , la vie quotidii.ne a pompei , paris , Hachelte 1966 .

دراسات حديثة عن ولايات الامبراطورية الغربية والشرقية :

===============

١ – بلاد الغال :

P . M . Duval , La Gaule Jusqu au milieu du cinquieme Siecle (

Les Souroes de l'histoire de France , t . 1) paris , Gaule romaine de 120 av . christ au 451 apres christ - Colonisation ou colo - nialism ? paris , Payoy , 2 edition 1966 ; M . Bordet , La Gaule romaine paris , Bordas 1971 ; M . Audin , Levon , miroir de Rome dans les Gau'es (Coll . Resurrection du passe paris , Fayyard 1965 ; E . M . wightmann : Roman Trier and the Treveri , London Rupert Hart - Davis 1970 .

٢ - المانيا :

B∴ Ruger : Gemania Inferior : Untersu - chungen zur Territo ial und Verwaltugs gethichte Niedergermaniens in der prinzipatszeit . Cologne , Boehlau 1968 : G . Alfoeldy : Die Legionslegaten der roemischen Rheinarmeen (Epigraphische Studien , 3) Koeln Boehlou 1967 , also by the same aume author : Die Hilfstruppen der roemischen povinz Germania inferior (Epigr . studieen , 6) Dusseldrof Rheinland - Verlag 1968 . P . La Baum : Die Roemer am Rhein : Bonn W . Stollifuss 1970 .

٣ - بريطانيا :

G . Simpson : Britons and the Roman army - A Study of wales and the Southern pennines in the lst - III rd . Centuries , London The Cregg press 1964 P . Salway : The Frontier People of Roman Bitain , Cambridge Univ . Press 1965 ; D . R . wilson : Roman Frontier of Britain , London , Heinemann 1967 ; I . D. Margary Roman roads in Britain , New York , Humanities press 1967 ; A . L . F . Rivet : Town and Country in Roman Britain , Landon Hutchinson University Library 1968 ; also by the same author : Roman Villa in Britain , London Routle - dge and Kegan poul 1969 .

٤ – اسبانيا :

G. Alfoeldy : Fasdti Hispanienses - Senatorische Reichsbeante und offiziere in den Sapnischen des roemischen Reiches, Von Augustus bis Diokletian, Wiesbaden, F. Steiner 1969. aslo. Madrid's Colloquium on the Roman Emperors of Spain, 31 Mars - 6 th April, 19(4), Paris 1965. ; J.M. Blazquez : Estrctura economi .ay social de Hispania durante La anarquia milirary el Bajo Impeerio, Madrid, Facultad de Filosofia lettras de la Univeritad Madrid, 1964. also cf., Estructura economica de la Betica al Final de la Republica romanny a comienzos del impero (anos 72 a.c. - 100) Hispama XXVII, 1967, p. 7-62.

٥ – البلقان والدانوب وبلاد اليونان :

G.j. Wikler : Die Reichsbeamten Von Noricum und ihr personal bis zum Ende der roemischen Herrschaft, Vienna Boehlau, 1969, J.J Wilkes : Dalmatia (History of the provinces of the Roman Empire), London, Routledge and Kagan paul 1969: A. Dobo, Die verwaltung der roemischen Provinz Pannomen Von Augustus bis Diocletianus, Amsterdam, Hakkert 1968. ; S. Mrozek, Les mines d'or de la Dacie au deuxieme siecle : aspects sociaux et administratifs (in polish but with a French resume) Torun 1966.; Ph. Bruneau,

Recherches sur les cultes de Delos a L'epoque hellenistique et a I'epoque imperiale (Bibliotheque des Ecoles Francaise d' Athenes et de Rome, Fasc. 217) Paris. E. de Boccard, 1970.

٦ – آسيا الصغرى وسوريا ومصر :

P.R. Frank, Kleinasien zur Roemerzeit. Griechisehes Leben in Spiegel der Muenzen, Munich, C.H. Beek 1968. : B. Levick, Roman Colonies in Southern Asia Minor, Oxford, The clarendon Press 1967; Clark Hopkins, (ED.) Topography and Architecture of Seleucia on the Tigris, Ann Arbor, University of Michigan, 1977.

J. Ch. et M. Sournia, L'Orient des preimers chretiens Histoire et archelogie de la Syrie buzantine (Resurrcction du passe) Paris, Fayard 1966. : J.H.W.G. Libeneschuetz : Antioch. city imperial administration in the Later Roman Empire, Oxford, The Clarndon Press 1972. ; A. Bernard : Alexandrie La Grand (Signes des temps, 19) Paris Arthaud 1966. : P.H. Frazer Alexandria Ptolemaica, Oxford 1972. ; E. Bernard : Inscription metrique de L'Egypte greco-romaine, Recherches sur la poesie epigrammatique des Grecs en Egypte (Annales litter, de L'Univ. de Besancon, vol 98) Paris, Les Belles-Lettres 1969.

H.C.Youtie, Between literacy and illiteracy as aspect of Greek Society in Egypt, Akten Des XIII internationalen Papyrologen Kongress, Munchen 1974; J. Lindsay, Leisure and Pleasure in Roman Egypt, New York, Barnes & Noble, 1966. E. Wipszycka : L'industrie textile dans L'Egypte romaine worclaw Ossilineum. P.R. Swarney: The Ptolenaic and Roman iodios logos : (American Studies in Papyrology vol. 8) Toronto 1970 = cf. J.E.A, 58 (1970), pp 329-330 (by J. David Thomas), N. Lewis, An Inventory of Compulsory services in Ptolemaic & Roman Egypt, Toronto 1968; D. Crawford " Garlic growing in Graeco-Roman Egypt, Chronique d'Egypte no 96 (1973) pp 350-363; A Straus, Le statut Fiscal des esclaves dane L'Egypte romaine, Chronique d'Egypte, no. 96. pp 361-369 ; Biezunska-Malwist, I'esclavage dans l'Egypte greco-romaine (Archiwam Filologiczne 30) Warsaw 1974; Alan K. Bowman : The Town-Councils of Roman Egypt [American Studies in Papyrology] Toronto 1971 ; J.D. Thomas, The Epistrategos in Ptolemaic and Roman Egypt, Papyrologicae Coloniensis, 6, Opladen Westdeutscher, Verlag 1975 ; Bernard, Recueil des inscription grecques du Fayoum, 1. La Meris d'Herakleides, Leiden, Brill, 1975. Erwin Seidl, [Unter Mitarbeit vor. Dr. Lother Muller] Rechtsgeschichte

Aegyptens als roemischer Provinz (Die Behauptung des aegyptischen Rechts neben dem roemischen) sankt Augustin 1973.; G. Chalon : I'edit de Tibere Julius Alexander, Paris 1964 ; M. Humbert, La Juridiction du prefet d'Egypt d'Auguste a Diocletien" Aspects de I'Empire romaine; Paris 1964. ; O.W. Rheinmuth, The prefect of Egypt From Augustus to Diocletien, Klio, Beiheft XXXIV, (1935). A. Stein, Die Praefekten von Aegypten in der roemischen Kaiserzeit (1950) ; S. Wallace Taxation in Egypt From Augustus to Diocletian, 1938.

وعن مشاكل الإدارة الرومانية لمصر وعدم كفاءة الولاة لنقص الخبرةالكافيه ولأن الأباطرة إعتمدوا على رجال الثقه اضعفاء خوفاً من إستقلال مصر ، فضلاً عن صعوبة إدارة ولاية مزدحمة بالسكان مثل مصر ومصدراً يمد الإمبراطورية بثلث ما تستهلك من القمح ، وضرورة أن يلم واليها بالخبرة العسكرية والقضائية والإدارة الماليه ولقصر مدة توليهم التى لم تتجاوز ثلاث سنوات ، مما أدى إلى إعتمادهم على موظفين بيروقراطيين مستغليين انظر المقال الطريف :

P.A Brunt, "The Administrators of Roman Egypt, J.R.S, LXV (1975) pp 124-147.

فضلا عن قائمته بأسماء وتواريخ توالى الولاة من ٣٠ ق . م وحتى عام ٢٣٦ م
.وعن الفنون فى مصر الرومانية : انظر :

Harden : Roman glass from Karanis, An Arbor, 1963.
Parlasca. "Reportorio d'arte dell, egitto greco-romana, voll. I, (palermo 1969).

H.W. Peck. Mummy Portraits From Roman Egypt (Detroit 1967).

H. Zaloscer, Portraits aus den Wustensand, (Vienna - Munich 1961) .

Kater-Sibbs (G) and M F Vermaseren : Apis, I The monuments From Hellenistic and Romar period, From Egypt; II monuments outside Eg ypt (etudes preliminaires aux religions orientales dans l'empire romain, 48) Leiden, brill, 1975 .

وعن الحمامات الرومانية فى اقليم الفيوم والضرائب المفروضة عليها خاصة حمام مدينة كرانيس (كوم اوشيم) انظر الدراسة الأثرية الوثائقية :

S. El-Nassery et G. Wagner et G. Castel, Un Grand Bain Greco-Romaine a Karanis B.I.F.A.O, Tome LXXVI (1976) pp, 231-275,

وعن القبور وهندستها فى مصر الرومانية وبالذات فى مقبرة كوم أبو بللو مع أنواع وأشكال شواهد القبور والنقوش التى عليها انظر :

West and Johanson, Currency in Roman Egypt, London 1952. ; J.G. Milne,

وعن النقود فى مصر الرومانية انظر :

Roman Cionage in Egypt in relation to native economy, Aegyptus vol 32, (1952) pp 143 ff.

تاريخ الإمبراطورية الرومانية وحضارتها

الفهرس الموضوعي

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة ت : ٥٨١٧٥٥٠٠